



UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM



كلية الآداب العربي و الفنون
Faculty of arabic literature and Art

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس – مستغانم –

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم موسومة بـ:

أثر الثقافة الإسلامية على الأدب الإنجليزي الحديث رواية ملك الخواتم
لجون رونالد رويل تولكين – دراسة مقارنة –

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد قادة

إعداد الطالبة:

أمينة دحو

السادة أعضاء اللجنة المناقشة:

جامعة مستغانم	رئيسا	أ/ د مكاوي خيرة
جامعة مستغانم	مشرفا ومقررا	أ/ د قادة محمد
جامعة الشلف	عضوا مناقشا	أ/ د توزان عبد القادر
جامعة سعيدة	عضوا مناقشا	أ/ د بلقندوز هواري
جامعة مستغانم	عضوا مناقشا	د. خطاب طانية
المركز الجامعي آفلو	عضوا مناقشا	د. زرارقة الوكال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

الآية 32 من سورة البقرة

شكر وعرفان

" لئن شكرتم لأزيدنكم " صدق الله العظيم

الحمد والشكر لله الأكرم الذي علّم بالقلم وأفاض على عباده بموفور النعم وأنار سبل سائليه
للعلم ونزاهة الذمم.

الحمد والشكر لله أن أنار العقول وألان القلوب برسالة سيد الخلق معلم البشرية جمعاء محمد
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

شكر خالص وعرفان صادق بوافر الخدمات وجميل العطاءات التي شرفني بها أستاذي
الدكتور المشرف محمد قادة ولو أن الشكر في كلمات لا يفي بحق مقامه الرفيع لكن حلمه
وأناته تملي عليّ القول " أدامك الله تعالى ذخرا معرفياً وسندا فكرياً لكلّ طالب علم

الشكر والعرفان موصول للسادة الأساتذة الدكاترة الأفاضل أعضاء اللجنة المناقشة على أن
منحوني شرف التصحيح والتوجيه نحو الصواب. شكر لأساتذة معهد الآداب واللغات
بالمركز الجامعي أحمد زبانة غليزان، ولكلّ من أنارني بفكرة، سدّد خطاي، دعا لي بدعوة
صادقة إلى أن استقر هذا البحث على ما هو عليه.....

إهداء

من نحبهم سنحذف من حق قدرهم إذا اكتفينا بذكر أسماءهم في صفحة واحدة...
من نحبهم حضورهم كان مع بداية كل حرف من البحث وذكرهم حاضر بالوجدان
إلا أن والدي خاطبا قلبي فأجابهما طوعاً: لن تكون الحروف ساكنة، ستخلق في
فضاء المعاني، عبد القادر وتيرس عائشة، من ضياء كما، تعاقبكما على حياة البحث
استمرّ..... بارك الله في عمريكما.

لشقيقتي.. لك أنت يا مريم حضورك لا يحصر في كلمات.. لأحباب الروح
ملاك، يحي عبد الرحمن، سمية، عائشة هاجر... محبتكم بعد حركات وسكون حياتي..
وفي حضرة بن ديدة محمد دحو وقفت المعاني إجلالا لمقام نزاهته الفكرية،
فمن شهد كفه نور وإبصار..

لكل من يسعى لتحرير الثقافة الإسلامية من تابوت التبعية..

لا أعرف شيئاً ولا أملك شيئاً أجمل وأغلى

من الرغبة في المعرفة

أدونيس



بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين هداهم وطهرهم وبصحبته خصمهم وآثرهم وسلم تسليمًا كثيرًا وبعد:

إنَّ جَوْهر كُلِّ هويَّة وروح كُلِّ أُمَّة، ينبثقان من الخصوصية الثقافية التي عدَّت بمثابة الركيزة الرصينة لبناء الأمم وتقدمها، فهي وعلى غرار ما يُعتقد أنها تنحصر في مجموعة من الأفكار، تُبث أنها تتعداها إلى نظرية في سلوك المجتمعات ومجموع المقومات التي تميزها عن بعضها البعض بتلّس العقائد، اللّغة، المبادئ، السلوك والتجارب...

فهي إذن ظاهرة إنسانية تمثل ذات المجتمع وتعبّر عن توجهاته بطرق مُثلى، يتسنى من خلالها تجسير معبر الالتقاء والارتقاء بالمعارف. فتعبّر كل أُمَّة عن كيانها وتدوّن في سجلها التاريخي عطاءاتها المعرفية. فيتسنى لها الاطلاع على ثقافات الآخر، الاحتكاك بها والتفاعل معها، لتتقارب من بعضها البعض بعد أن تكتسب مناعة تُمكنها من التناغم مع ما يقابلها. ولم تكن الثقافة الإسلامية يوماً منطوية أو راكدة أو عقيمة - كما يزعم بعض من المتعصبين - بل كانت ولا تزال كذلك، نابضة بالحياة تستمر وتواكب كل المستجدات الفعّالة مع الحفاظ على خصوصيّتها، هذا لأنّ مصدرها إيمان مُستنبط من الوحي الإلهي المقدّس والفكر المحمّديّ، لهذا تمكّنت من تحقيق التوازن بين الجانبين - العقلي والوجداني - بمعنى أنّها واجهت وجابهت إعلاء المعتزلة للعقل والصوفية للوجدان،

فتأكّد المتلقي وتيقّن أن العقل يُغذيها والنفس البشرية تمدّها بالأحاسيس النّابعة من الذوق الرفيع والضمير المستنير.

وقد أدلى سليمان حزين في الفصل العاشر من كتابه أرض العروبة رؤية حضارية في المكان والزمان بقوله " إنّ الثقافة تتصل بالضمير والضمير أعمق وأروع من العقل « فلا مندوحة من الاعتراف بأنّ ثقافة الوجدان الإنساني تنبع من الضمير الإسلاميّ ولا شيء غيره، الأمر الذي يدفعنا بالقول أن الثقافة الإسلامية تعلو بروح الضمير، فله كل الفضل في فسح أرضيّة الحوار الحضاري بين الثقافات. كما أنّ أيّ رهن ثقافيّ محكوم عليه بالحوار الرّشيد والتّفاعل البناء لإعلاء صرح البشرية بما يخدم المجتمعات قاطبة. فتلاقي الثقافات وامتزاج بعضها ببعض خاصيّة تنامت مع الوقت الحالي بفضل التّجسير الشاهق لمعبر التأثير والتأثر، وقد حظيت الثقافة الإسلامية بتأثيرها على عديد المجالات الفكرية للأمم والشعوب الأخرى.

إذ لا شكّ أنّ الحضارة الأوربيّة ما هي إلّا وليدة حركة تأثيرات كبيرة بفعل الرابط الترجمي للتراث الإسلامي، وليس أدلّ على هذا القول أكثر من التراجم العديدة لذخائر الفكر العربيّ بكل ما حواه من آداب وعلوم وفنون استنارت بها مكاتب متعددة على المستوى العالمي، وهذا يعدُّ بشريّ للدراسات المقارنة. الأمر الذي يحيلنا إلى فكرة مفادها أنّ التجربة الأدبيّة كل متشعب الظواهر جدير بالفحص والدراسة وبتعبير جليّ، الحقل

المقارناتي هو رحلة كشف من ناحية ورحلة لإجراء روابط فكرية من ناحية أخرى قد لا تكون معروفة من قبل، توريها لنا وبإدراك قضيتي التأثير والتأثر. وقبل هذا وذاك فالإلمام بالمعارف اللغوية والتعمق بالثقافة تعمقا راسخا هي نقطة البدء في البحوث المقارناتية. فالارتواء من نبع التأثير والتأثر يسهم وبصورة جلية في تفتق العبقريات الفكرية، ولما اكتسبه هذا المحور، "محور التأثير والتأثر" من مدراج بحثة سامية بدى لنا أنه حتى لو تعمقنا في جانب من جوانبه وأقمنا دراسة بالتحليل والشرح، فإننا قد لا نوفيه حقه من البحث. فارتأينا أن يكون الباب المتناول للدراسة من أوسع أبواب الحقول المعرفية. إنه باب الثقافة الإسلامية وليس هناك ما هو أثري في هذا الباب من القصص القرآني والليالي العربية - بحسب الترجمة الإنجليزية - باعتبارهما ثقابة الحضارة الفكرية من جهة ومنهلان للنهضة الأدبية الغربية من جهة أخرى. وعلى وجه الخصوص لدى الإنجليز نظرا لاهتماماتهم المميزة وبحوثهم الدقيقة حول ثراء الأدب العالمي - أدب الليالي العربية - وفي هذا الصدد يقول المترجم الأنتروبولوجي ريشارد بورتن Richard Burton في خاتمة كتابه Arabian's night

« *This delightful selection of tales from the thousand and one nights are masterpieces of the art of story telling; it continues to captivate readers as they have done for centuries* »

- هذه المجموعة القصصية الشيقة لألف ليلة وليلة هي واحدة من روائع القصص المروية

- التي أسرت القراء وكأنهم عادوا إلى قرون خلت.

وعليه فقد تصدرت هذه الليالي السمرية كل الكتب الفريدة في تأثيراتها على القراء وكذا القصص القرآني وتأثيره البليغ في المسلم وغيره، فارتأينا أن يكون موضوع الطرح موسوماً بـ:

أثر الثقافة الإسلامية على الأدب الإنجليزي الحديث رواية ملك الخواتم جون رونالد روبيل

تولكين - دراسة مقارنة

فذاك الثراء الفكري لا يمكن أن نعدّه بآباً من أبواب المعرفة الفكرية، بل المعرفة ذاتها التي ينظر إليها من عدة نوافذ " سياسية، اجتماعية، نفسية، دينية " بمنظور الذهول بفضل المغنطة السردية. واعتبر التأثير والتأثر الدراسة الأجدد التي انفردت بتبيان معالم فكرية ما كان لها أن تظهر، فأبيّ تقرير عنه يعدّ مجهوداً مورثاً منذ أقدم العصور، مما ينبئنا عن مدى توغل جذوره، ولتكون هذه الدراسة إضافة نوعية لا كمية فحسب، أملى علينا الطرح تبني الإشكال المبني على جملة التساؤلات الآتية:

- إلى أي مدى تحققت الوصلة الرصينة بين حركتي التأثير والتأثر وحقل الدراسات المقارنة؟

- هل يمكن حصر مفهوم الثقافة الإسلامية بانتسابها للبلدان الإسلامية؟ إن كانت الإجابة

بنعم فهل الظفر بالمكانة يكون مرهوناً بالانكفاء على الذات والمناشدة بالأنا؟

- لماذا أضحت تجليات التأثير بالثقافة الإسلامية في الرواية أكثر من أي جنس أدبي

آخر؟ أم أن للرواية أوجه أدبية أخرى أكثر تأثيرا واقتربت بها لدرجة عدم درء التداخل بينها كالملمحة والفتازيا!!

- ما هي مظاهر التأثير الإسلامي في الرواية الإنجليزية الحديثة؟ بالتحديد رواية ملك الخواتم لجون رونالد رويل تولكين.

ولم يكن اختيارنا لهذا الموضوع عبثيا، بل عن تفكير ودوافع أملت علينا التصويب نحو هذا الطرح. فكان من جملتها:

أ/ الأسباب الذاتية:1- إن الفطرة الإسلامية والهوية العربية، فرضا وجودهما في الذات دون أن نبحت عن محلّهما، فكان من المنطق أن يكون إفراز الاهتمام المعرفي حول أثر الثقافة الإسلامية.

2- الرغبة الفائقة والتعطش لقراءة الليالي السمرية منذ الصغر.

3- الوقوع في شباك السحر الشهرزادي.

ب/ الأسباب الموضوعية: 1- انبهار العالم برُمته بتلائية ملك الخواتم The lord of the

rings التي تصدّرت روائع الأدب الإنجليزي وتأهّلت بكلّ قوّة للظفر باثني عشرة جائزة

أوسكار بعد أن تمّ تحويلها إلى فيلم بثلاثة أجزاء عام 2001. وإنّ كل متأمّل فطن إلى

خلفيات الرواية أو حتى الفيلم يغار إلى حدّ ما من اكتشاف الآخر لكنوز ثمينة مفاتيح

صناديقها عربية محضة. فأين هم النقاد الروائيون والسينمائيون من هذا؟

2- تظل ألف ليلة وليلة أثرى من أن تحتويها دراسة واحدة أو مجموعة محدّدة من الأطروحات

3- لا يختلف اثنان في أنّ اللغة العالميّة من حيث التداول والانتشار هي اللغة الإنجليزية كما يترجم من اللّغات الأخرى إليها بغية العالمية وقد تنافست عديد الأجناس الأدبيّة لتحظى بالترجمات إلى اللغة الإنجليزية ومع هذا احتلت الرواية الصدارة حيث إنّها تتركز حول المضمون أكثر من الشكل ولأنّها كذلك تلي حاجيات المتلقي بالصورة التي تتناسب وكل أفراد المجتمع، الأمر الذي أكسبها ثقلاً أدبياً. وعليه فرضت الرواية ذاتها في كل الدّراسات البحثية. فما الحال برواية تعمّر على النّقاد تصنيفها إلى أي إطار تنتمي، الملحمي أم الفانتازي أم رواية لا تختلف عن الروايات الأخرى!! أضف لهذا أنّها مكتوبة باللّغة الإنجليزية للأديب البريطاني رونالد تولكين. الأمر الذي زاد من الإصرار على تبني هذا الطرح الساري على الخطة الآتية:

مدخل: التأثير والتأثر. تضارب الآراء بشأن المصطلح

تخوّر حول ماهية التأثير والتأثر في الأدب المقارن، من خلال التّطرق إلى مفاهيم أخرى زاحمته مثل: المحاكاة، التضمين، التّناس، التّقليد أم ؟؟؟.....؟؟

* الفصل الأول: الحركة الثقافية لمنازل الإشعاع الإسلاميّة

المبحث الأول: مفاهيم الثقافة وموضوعاتها.

المبحث الثاني: الثقافة الإسلامية أمام الغيرية وصلتها بالعلوم الأخرى.

المبحث الثالث: الفضل الترجمي في الإثراء المعرفي.

*الفصل الثاني: تجليات الثقافة الإسلامية، تبات وعالمية

المبحث الأول: المنار البياني للقصص القرآني

أ- التنبيه وقوة التأثير / ب- آراء العرب والغرب

المبحث الثاني: مكانة الليالي العربية من العالمية

أ- تاريخية الحكايات وعوامل عالميتها / ب- الليالي العربية أمام المترجم

الفصل الثالث: الرواية الإنجليزية الحديثة، مفاهيم واستحواذ للعالمية

المبحث الأول: الرواية الإنجليزية الحديثة بين تعددية المفاهيم.

المبحث الثاني: علاقة الرواية بالملحمة، الفانتازيا.

المبحث الثالث: نماذج من روايات انجليزية عالمية.

الفصل الرابع: دراسة مقارنة بين نماذج إسلامية وغربية

المبحث الأول: استحضار ملخص قصتي سيدنا سليمان - عليه السلام - ويأجوج

ومأجوج

المبحث الثاني" عرض حكاية الصياد والعفريت، ألف ليلة وليلة

المبحث الثالث: ملخص رواية ملك الخواتم The lord of the ring

المبحث الرابع: إبراز أوجه الائتلاف والاختلاف.

وحيث إنه يستوجب على الدارس المقارن التقصي والتحري في جزئيات النصوص بغية الوصول إلى نتائج أكثر دقة، فرض الطرح التطرق إلى الجانبين - الإسلامي والروائي الإنجليزي - حتى تكون النتائج المتوصل إليها قريبة إلى حد ما من الإيجاب. ففرض البحث منها تاريخياً، وصفيًا فقارناتياً. مستندين على الإجراء التحليلي ورؤى استدلالية، لتكون سنداً في إقناع المتلقي بالأفكار المرجو إثبات معالم حقيقتها.

ويمكن لقارئ هذه الدراسة أن يعتبرها وفيّة إلى حد ما لبنود المدرسة الفرنسية. هذا لأن الطرح أخذ بعين الاعتبار الفارق الزمني بين النصوص كما ارتكز على تشخيص علاقات التأثير والتأثر التي اعتبرها شيخ الأدب المقارن بول فان تيجم Paul Van Tieghem أنها الدراسات المقارنة بذاتها - وقد تمّ التطرق إليها في المدخل - إضافة لهذا عرض ملخص النص الأجنبي بلغته الأصلية - الإنجليزية - . أمّا عن استحضار ما يقابله بالعربية، فلغاية تيسير التلقي للقارئ وتذليل المقاصد له بمنهجية جدلية بُنيت على الشك بغية استثارة التوجه الفكري واستنارة الرؤى النقدية ليسيراً جنباً إلى جنب مع حال الدارس المقارن ويتوصل الاثنان معا إلى نتائج نأمل أن تكون نوعية وفاقحة لبحوث أخرى لا تحول أمامها الصعوبات التي واجهها الطرح وسعتُ جاهدة لتجاوزها. عسى يكون هذا التدليل شفيحاً أمام نقائص أو ثغرات تكون قد اعترت هذا البحث. وكان من جملة هذه الصعوبات:

1- عدم العثور على مصادر أو مراجع مطبوعة تؤيد فكرة تأثر الكاتب الإنجليزي رونالد تولكين بالقصص القرآني أو بالليالي العربية، وما أقحم الطرح معوقات أخرى، هو أن من الأدباء اليونان من أقرروا بأن الأديب الإنجليزي تولكين في روايته ملك الخواتم كان متأثراً بالأساطير اليونانية ولم يطلع بتاتا على النصوص الإسلامية. وكان منهم الأستاذ المحاضر في تاريخ الفن اليوناني يانيس ستيفانكيس Yannis Stefankis بلقاء معه بالعاصمة الجزائر بمهرجان دوليّ بشعار " استطراد " بالمتحف الوطني للفن الحديث والمعاصر بتاريخ 21 نوفمبر 2015.

2- اعتماد كاتب الرواية رونالد جون رويل تولكين على لغات انبهرت صراحة بعدما علمت أن أشخاص قلائل جدا عبر العالم يتقنون هذه اللغات المندثرة منها لغة الكنيان والسيندرين والفيش.

بالنسبة لأبجدية «الكنيان» مستوحاة في الأصل من اللغة الفنلندية، تعدّ بمثابة لغة الجن كما استخدمها قوم الأورك والأقزام أثناء تحاورهم في بعض المقاطع في الرواية، ويستعان بها أثناء التحضير للسحر. بينما تمثل «السيندرين» والمستوحاة بدورها من لغة إقليم ويلز. ونظرا لصعوبتها فقد أدلى محوّل الرواية إلى فيلم - بيتر جاكسون - بحسب موقع **Internet Movie Database - IMDB** قاعدة بيانات الأفلام على الانترنت أنّه استعان بالتسجيلات الصوتية للكلمات من الروائيّ رونالد تولكين كي يعينهم على النطق

الصحيح. وممن أقرّوا بعدم تمكّنهم منها رغم سماعهم لطريقة تلفظها Liv Tyler أثناء مقابلة لها مع مجلة Flaunt ب 07 جانفي 2015 صاحبة دور الجنيّة النيرة. هذا الأمر عسّر فهم العديد من الفقرات، فكان لزاما عليّ تتبّع ترجمتها من خلال مشاهدتها فيلما.

3-التسلسل الزمنيّ والحبكة السردية المترابطة، جعلت من الطرح مشدوها ومضطرا لمواصلة قراءة جزئيّ-البرجين وعودة الملك-الأمر الذي استغرق وقتا طويلا لتحليلها.

وعملا بقول رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ﴿من لا يشكر الناس لا يشكر الله﴾ ولوافر العطاء المعرفيّ الذي حظيت به من قبل أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور محمد قادة والتوجيه والتصويب نحو طرح عمليّ نزيه، أعرب عن شكري العميق الموصول بخالص امتناني له والذي لن يوف بحقه أمام حلمه وتشجيعه للمضيّ بجثي هذا قدماً مذ كان فكرة عام 2009.

كما أتوجّه بأسمى المعاني الشرفيّة وامتناني المسبق للسادة الأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة على ما ستفضل به من ملاحظات توجيهيّة وآراء سديدة ستكون بصمات مشرّفة على هذه الطرح المتواضع.

أمينة دحو/ غليزان 04 يناير 2018

محل

التأثير والتأثر

تضارب الآراء بشأن المصطلح

إنّ ميلاد أيّ علم من العلوم- إنسانيّة كانت أم علميّة- يكون سابقا للمصطلح الموسوم به ذاك المولود الفكريّ، بمعنى وضع المصطلح يكون تال لنشوء العلم. وفي هذا الصدد تشير معظم الدراسات إلى أن تسمية الأدب المقارن تعتبر حديثة، بدليل أنه لم يرَسَ عند تسمية محدّدة وهو بين مدّ الأدب المقارن **litt comparée** وجَزُر الأدب المقارن، بفتح الراء **litt comparative**. بل إن هناك من أنسبه إلى مجموع حركات التأثير والتأثر. فمن يكون هذا الحقل الذي تمكّن من أن يُضاهي الأدب المقارن في منزلة التسميّة؟ ما المقصود به؟ ما الفرق بينه وبين التقليد واصطلاحات أخرى مثلا التضمين، الاقتباس، المحاكاة، كيف يمكن درء التداخل بينهم؟؟

ما هو شائع على مستوى الحقول المعرفيّة، أن الترجمة هي الباعث الحقيقيّ لِلذّة البحث في الأدب المقارن، باعتبار أنها تمكّن النصوص من اجتياز حواجز الزمان والمكان. لكن، ببعض من الإمعان في هذه الفرضيّة، يتكشف لدى كل مُتلقي لنصٍّ أدبيّ مترجم أيّا كان جنسه " شعرا أو نثرا " أن الملكة اللغويّة التي يكتنزها المترجم وحدها ليست كفيلة لإجراء العمليّة الترجميّة ما لم يمتلك رصيда معرفيّا لثقافات الشعوب والأمم. وأنه ما كان ليُترجم لوما تفاعل مع فكرة النص (الأصل) ناهينا عن إشكاليّة الأمانة والتصرف. أي لا يمكن الجزم بتاتا أن الترجمة أمينة في كل الأحوال " إن

عدم الترجمة أقصى درجات إضفاء الطابع الأجنبي، يُسبب الأذى للغة الهدف أكثر حتى من الترجمة غير المنظمة (التقريبية) وفي بعض التقاليد الأدبية فإن أكبر التأثيرات يدخلها عمل غير محلي يحتفظ بلغته الأصلية¹

لهذا فالاعتماد عليها ليس الطريقة الوحيدة لاكتمال فكرة النص المترجم ما لم تقوم قضيتا التأثير والتأثر على وجههما الصحيح. الأمر الذي يؤهّبنا للرغبة في المزيد من التسلح بما يمكننا الغوص في هذا الميدان.

فلا مندوحة عن الاعتراف بأن أي نشاط على مستوى حركتي التأثير والتأثر يكون محورا أساسا لدائرة المبادلات المعرفية، وفي هذا السياق يجدر بنا التنويه إلى أن الذات النصية قد لا تتضح إلا من خلال ما يقابلها، بتعبير أجلى. الفرد قد لا يدرك نقائصه إلا من خلال المرأة، فنظرة الآخر إلينا مهمة في تطوير مهارتنا الإبداعية. مفاد القول أن حقل الدراسات المقارنة «يهتم بالعلاقات التي تقوم بين أدب وطني معين كتب بلغة قومية وبين أدب أو آداب بعيدة عن تلك اللغة الوطنية، وتهتم أيضا الدراسات المقارنة بالصلات بين أدباء وكتّاب وشعراء يتشابهون في إنتاجهم الأدبي لكنهم يتباينون في اللغة الحضارية وينتمون إلى أعراق وقوميات تفصل بينها حدود

¹ سيزر دومينيغيز، هاون سوسي، داريوفيلانوفيا، تر: فؤاد عبد المطلب، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس 2017، ص 15

جغرافية وسياسية»¹

وبهذا تسقط جدلية الانكفاء والتشبث بالأننا- تشبثا يعيق الانفتاح على الآخر- من مزاياها تطوير القدرات الباطنية والمحافظة على الهوية!!

« والمُهمّ في التأهب للإقدام على الأدب المقارن أن يجمع الدارس بين قدرتين قلّما يجتمعان في الشخص نفسه وهما التعمق في الثقافة تعمقا راسخا والقدرة على الاطلاع بتوسع لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية² » وعلى الرغم من التقارب بين الفعل الترجمي وحركتي التأثير و التأثر حول إثراء الساحة الأدبية المقارنة، فإن البعض يجمع على أن اكتساب السبق في الريادة إلى مدرج هذا الحقل الثريّ هو من نصيب محور التأثير والتأثر بدليل أن العديد من رواد الأدب المقارن أدلوا بهذا الاعتراف من خلال طروحاتهم حول تحديد مفهومه، كان منهم جوزيف تكست **Joseph text** الذي سار على خطى أستاذه **برونو تيير** وتولى منبر ليون المؤسس عام 1896، إذ يقول عن هذا الحقل المعرفيّ إنه دراسة العلاقات المتبادلة ما بين آداب شعوب مختلفة.

وممن دَعَم هذا الطرح ماريوس فرونسوا غويار **Marius François**

Guyard حيث وسّع المفهوم إلى أنه «تاريخ العلاقات الأدبية الدولية فالباحث المقارن

¹ ريمون طحان- الأدب المقارن والأدب العام- دار الكتاب اللبناني- بيروت- ط1- 1972- ص 8

² مجدي وهبة - الأدب المقارن - الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان- دار نوبار للطباعة- مصر، ط1، 1991-

يقف بين أدبين أو عدة آداب»¹

فلا مندوحة عن الاعتراف بأحقية إتباع المنهج التاريخي في إقامة العملية المقارناتية - من منظور المدرسة الفرنسية - فالأدب المقارن لا يعنى بدراسة التيارات الفكرية والأجناس الأدبية والقضايا الإنسانية فحسب، بل يكشف عن جوانب تأثير الأدب القومي بالآداب العالمية، وهذا ما عبّر عنه الناقد الفرنسي فيلمان **Villemain** في محاضراته في السربون عام 1828 بالسرقات الأدبية الأبدية التي تتبادلها الدول. " فلا يعد من الأدب المقارن في شيء ما يعقد من موازنات أو مفاضلات بين كتاب من آداب مختلفة، ما لم تقم بينهم صلات تاريخية حتى يؤثر أحدهم في الآخر نوعاً ما من التأثير أو يتأثر به " ². فمثلاً ما يعقد من موازنة بين الشاعر الإنجليزي جون ميلتون **John Milton** 1606 - 1674 وأبي العلاء المعري (973 - 1057م) ليس له من الأدب المقارن من صلة سواء من قريب أو من بعيد، هذا لأن كلاً منهما لم يعرف الآخر ولم يتأثر به وتشابه آرائهما وظروفهما أو مكانتهما الاجتماعية ليس له قيمة تاريخية، بل إن أشعارهما كانت نتاج تشابه العمى الكلبي. وممن كان له فضل في توضيح علاقة الأدب المقارن بحركة التأثير عند العرب، محمد غنيمي هلال الذي استند إلى مصادر فرنسية، إذ

¹ Joseph T shiply , Dictionary of world literary terms , London ,1979 : P 601

² بيير برونيل، كلود بيشوا، اندريه ميشيل، ما الأدب المقارن؟ تر، غسان السيد، دار علاء الدين، دمشق، ط 1 ، 1996، ص 142.

يرى أنه: « يدرس مواطن التلاقي في حاضرها أو في ماضيها وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير وتأثر أيّا كانت مظاهر ذلك التأثير أو التأثر»¹ لهذا فإن من البنود التي دعا إليها محمد غنيمي هلال في مرافعته عن الأدب المقارن أن:

الحقل المقارناتي لا يقتصر على دراسة انتقال الأفكار والموضوعات والنماذج الأدبية من أدب لآخر، بل يشمل أيضا دراسة نوع التأثير الذي اهتم به وانساق له الكاتب في لغته التي يكتب بها بعد أن استفاد من أدب آخر. على سبيل المثال: تأثر متصوّفي الفرس لتفاسير القرآن الكريم، بتضمين الكثير عن فلسفة أفلاطون ومبادئ من التصوّف الهندي. الأمر الذي فسح مجالا كبيرا من التأويل لهذا فهم متأثرين بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية عن طريق التأويل.

ينتمي إلى الأدب المقارن نوع آخر من التأثير العكسي، كأن يُواجه أو يُجابه الكاتب، تأثر كاتب آخر في أدب أمة أخرى، فيكون أثر المجابهة في النتاج النصي، ومن أوضح الأمثلة *مسرحة كليوباترا*² لأحمد شوقي، والتي قام فيها بتصحيح صورة كليوباترا

¹ محمد غنيمي هلال- الأدب المقارن- دار العودة والثقافة- بيروت- ط5- ص9.

² * نال موضوع كليوباترا في الآداب الأوروبية بما لم يكن يظفر به موضوع آخر في عدد من المسرحيات التي ألّفت فيه، وفيها جميعا وصفت كليوباترا مثال المرأة الشرقية أو المصرية في نظرهم. فهي مستهترّة ولوعة بالملذات تتخذ إلى غايتها طرقا ملتوية غير مستقيمة، وكان أوكتافوس مثال العقلية الغربية قبل معرفته لكليوباترا، وبعد اللقاء بها، صار مثلها إذ فقد ما كان يتصف به من عزم وقوة بتأثير سحرها. من هذا الأساس قام شوقي بتصحيح تلك

عند الغربيين. وهنا يعد شوقي متأثراً بأولئك الكتاب أو الشعراء تأثراً عكسياً. ومع أن المنطلق هذا يوضح أن محور التأثير والتأثر من أهم محاور الحقل المقارن، إلا أن البعض من يقرنهما ببعضهما البعض لدرجة اعتبار أن الأدب المقارن هو في معناه التأثير والتأثر. عن هذه الازدواجية يقول شيخ الأدب المقارن بول فان تيينم: «إنه دراسة التأثيرات والتأثرات... فيتناول النتائج التي ينتهي إليها مؤرخو الآداب الأخرى ويرمي إلى تكميلها وتنسيقها وضّمها بعضها إلى بعض ويعقد فيما بينها وفوقها خيوط تاريخ أدبيّ أعم»¹

من هذه الآراء المختلفة و الرؤى المتعددة، نستشف أن حركتي التأثير والتأثر بقدر ما حيّرت دارسي الأدب المقارن حول إشكالية اصطلاحه ومفهومه أو إدراجه كمحور في الحقل المقارن أم أنه بذاته دراسة مقارنة، فإنه بلا ريب يعاني من انجذاب التضمين وانسياق المحاكاة والتقليد المتصرف فيه، الأمر الذي ولّد خلافاً واسعاً لدارسي الأدب المقارن حول معنى هذا الاصطلاح واستخدامه، ممّا أنتج مدّاً كبيراً في المواقف النقدية تتراوح بين الرفض التام لفكرة التأثير إلى قبول ما يسمّى بدراسة التوازي، عن مشكلة التوازي بين الأعمال الفنية يقسم ج.ت.شو دراسات التوازي إلى مجالين أساسيين:

النظرة الخاطئة وعرضها على حال المرأة التي ترى في الوطنية مدرجا لا يضاهيه موقف ولو على حساب حبها الشخصي.

¹ - بول فان تيينم - الأدب المقارن - تر: سامي الدروبي - دار الفكر العربي - القاهرة - ص 16.

الأول هو دراسة المادة الأساس التي توضع على محك التقييم لتخضع فيما بعد للمقارنة في عملين أدبيين أو أكثر. ويتعلق هذا العمل بالموضوعات المتشابهة في المضمون لدرجة عدم التمكن المباشر من درء التداخل بينها.

أما عن المجال الثاني فمتعلق بدراسة عناصر الشكل التي يمكن مقارنتها في عملين أو أكثر، وفي كلا المجالين فإن التوازي لا يرجع بالضرورة إلى علاقة فعلية بين المؤلفين أو أعمالهم. هذا لأن قيمة الدراسات النقدية ترتقي إلى قمة النزاهة، عندما يلقي أحد العمالان الخاضعان للمقارنة الضوء على الآخر أو يبتدئ من حيث انتهى لينتج في الأخير تكاملاً أدبياً يرتقي إلى مقام المقارنة بين الخصائص المميّزة لكل منهما. ودراسات التوازي هي ثمرة من ثمار المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن التي تحاول كما يقول هنري ريماك **Henry remak** أن تربط بين النقد الأدبي والتاريخ الأدبي لا أن تفصل بينهما. ولتأكيد هذا تؤكد المدرسة الأمريكية عدم تشجيع دراسات المصادر والتأثير الفعلي القائم على صلات حقيقية والترويج للدراسات المقارنة القائمة على التوازي بين الأعمال الأدبية والدراسات الأسلوبية ودراسة الأجناس.

ولأن مثل هذه الدراسات تهدف إلى إبراز القيم الفنية للعمل الأدبي، فليس من الضروري أن يكون بين الأعمال أية صلات حقيقية موثقة. فالتأكيد واقع على المقارنة

دون النظر إلى أن المؤلف الأول إن كان على صلة بالمؤلف الثاني أو أعماله عندما كتب العمل. ويصل الأمر بين كبار منظري الحقل المقارن، إلى درجة الخلط بين التأثير ودراسات الاستقبال، أي تلك التي تعنى باستقبال العمل الأدبي ودراسته خارج حدود لغته القومية. ويصرّح رائد الأدب المقارن بول فان تيجهم **Paul Van Tieghem** "نجد أن دراسة تأثير كاتب ما في بلد أجنبي، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بدراسة استقبال أعمال هذا الكاتب وتذوقها في ذلك البلد الأجنبي حتى أنه يصبح من المستحيل في أغلب الأحوال الفصل بين الآتين " أمّا جويار فيتفق مع فان تيجهم في النظر إلى التأثير بوصفه واحداً من عدة ظواهر أدبية متشعبة يجب دراستها في إطار استقبال أعمال الكاتب خارج حدود بلادهم. ويمكن أن يكون قد قدّر لهذا المحور – التأثير والتأثر – عند رواد المدرسة الفرنسية عدم الثبات عند مصطلح معين، إذ نجد جون ماري كاري يلقي ضلالاً وارفة من الشك على دراسات التأثير، ويصفها بأنها غالباً ما تكون خداعة أو على أقل تقدير صعبة التناول " مفاد قوله أن ميدان دراسات التأثير لا يمكن أن يصل فيه الباحث المقارن إلى شيء من اليقين العلمي. من جانب آخر، يرى بعض دارسي الأدب المقارن ومنهم الدارس الأمريكي هسكل بلوك **Heskell Block** أن دراسة التأثير داخل أدب قومي معين لا تستطيع أن تحيط بالأجناس الأدبية التي هي –

منطقيًا- ليست ملكا لأدب قومي واحد. فعلى الرغم من أن دراسة تأثير إيتيان مالارمي **Etienne Mallarmé** على بول فاليري **Paul Valéry** مثلاً تقع في نطاق الأدب الفرنسي، فإننا إذا تناولنا مثل هذه الدراسة من منظور دارسي الأدب المقارن، سوف يتكشف لنا الكثير عن الحركة الرمزية بوصفها حركة من حركات الأدب الأوروبي أو بالأحرى، كجزء من الأدب الغربي ككل.

من جهة أخرى، نجد أن الأدب المقارن عند المدرسة الفرنسية، تعتبره ميدانا للدراسات التاريخية وليس للدراسات الجمالية وأنه - أي الأدب المقارن - يجب أن يهتم بالحقائق الثابتة، أي الحقيقة التي يمكن التأكد من وجودها بين الأدباء وأعمالهم والمتلقين من الجنسيات المختلفة. الأمر الذي أدى إلى ظهور مفهوم للتأثر والتأثير، إذ يحتم وجود علاقات يقينية مما يمكن البرهنة على وجودها بالدليل القاطع.

بمعنى أن المدرسة الفرنسية ترى أنه من مهام دارسي الأدب المقارن، ترقب كل أنواع المعلومات بما فيها الخطابات المتبادلة والاتصالات الشخصية التي تثبت وجود التأثير على وجه اليقين.

انطلاقاً مما سبق، يتضح أن ذاك المنهج يتجاهل القيمة الجمالية للعمل الأدبي لأجل التوثيق التاريخي. لهذا نجد أن بول فان تيجم **Paul Van Tieghem** يلحّ على

ضرورة دراسات الاستقبال وأنه لا يمكن فصلها عن دراسات التأثير إذ يقول «ومحمل القول، أن لفظة الأدب المقارنة يجب أن تعرّى من كلّ معنى جماليّ، وأن تأخذ معنى تاريخيّاً فقط، وأن الوقوف على أوجه الشبه والخلافات من خلال كتابين اثنين أو أكثر أو من المشاهد والمواضيع في لغات مختلفة، ليس سوى نقطة انطلاق ضروريّة من شأنها أن تسمح باكتشاف بواعث التأثير وآثار الاقتباس وبالتالي الشرح الجزئيّ لمؤلف بمؤلف آخر»¹

فما هو باد بجلاء، أن بول فان تيينم أكّد على عدم الأخذ بعين الاعتبار دراسة القيم الجماليّة للنص الأدبيّ. ولذلك نجده يحث على عدم اللجوء إلى البحث المسطح لوجود تفاصيل متشابهة بين نصّين أدبيين تجري بينهما العمليّة المقارناتية. ولبرهنة أن علاقة هذا المجال - التأثير والتأثر - بالحقل المقارن هي بالفعل تلتقي في محيط معرفيّ واحد، إلا أنه لكل منهما تيار يجذبه وفق منظور روافد فكريّة متعدّدة. نجد أن جون ماري كاري «يفرق بنوع من الشدة بين المقارنات الأدبيّة غير القائمة على الصلات والعلاقات وبين الأدب المقارن الذي يعتمد على مفهوم التأثير والتأثر، ويرفض

¹ بول فان تيينم، الأدب المقارن، تر: الحسام سامي مصباح، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، (د. ت. ط) ص 19

من جهة فكرة التطابق بين الأدب العام والأدب المقارن»¹

نستخلص أن التأثير والتأثر من منظار جون ماري كاري، محور هام يرتكز عليه الحقل المقارن، وفي الوقت نفسه، لا أساس لعمليّة مقارناتية غير قائمة على صلات وعلاقات، والدارس المقارن على دراية أن هذه الأخيرة - الصلات - تتأسس في مجملها عبر خيوط تاريخية. والدراسة تقتضي هذا التأسيس لبيان أن ما نشأ عند الرومانيين حين تحدثوا عن الكتاب اليونانيين وقارنوه مع مؤلفيهم كان من باب المفاضلة. كما أن تقييم البابليين لما هو سومريّ وبابليّ، إنّما هو موازنة.

أمّا عن السرقات الأدبية فإنها لا تمت بعلاقة نزيهة مع التأثير والتأثر، حيث إن لهذا الأخير - التأثير والتأثر - مقومات وأسس شرّعت لخدمة الدراسات المقارنة. الأمر الذي يمكن من استخلاص نتائج تشابه واختلاف محضة. بينما تتأسس السرقات الأدبية أحيانا على ضعف في تلقي النص المتأثر به فيتولد نقلا مباشرا. وفي أحيان أخرى، يكون بذكر ما تأثر به من النص المؤثر دون الاعتراف بذلك. ويذهب بعض المؤرخين إلى أن بداية الاهتمام بالدراسة المقارنة والاجتهاد في التنظير لها، كان بفرنسا في القرن التاسع الميلادي، ثم زاد الاهتمام أكثر في القرن الثاني عشر والسادس

عشر والسابع عشر. " أمّا نقاد القرون الوسطى في أوروبا بذكر ما أخذه كتابهم من

¹ ينظر: حسام الخطيب - آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً - دار الفكر - دمشق، سوريا 1999 - ص 27

الأدب الإغريقيّ أو الكلاسيكيّ، فكان البحث أقرب إلى السرقات الأدبيّة»¹

ولتتضح فكرة الاهتمام بهذا المحور المعرفيّ، من الضروري التنويه إلى أهم وسائله والتي كان من جملتها: الإمام بالمعارف اللغويّة، دراسة التراجمة بين الأدبيين، أدب الرحلات... وفي هذا الصدد تقول المستشرقة الألمانية سيغريد هونكه: «إن أبناء موسى بن شاعر قاموا بإيفاد الرسل على نفقتهم إلى بلاد الروم بحثا عن المخطوطات الفلسفيّة والفلكيّة والرياضيّة والطبيّة القديمة ولم يتوانوا عن دفع المبالغ الطائلة لشراء الآثار اليونانيّة و حملها إلى بيتهم»²

فامتداد جسر التأثير والتأثر على المدى العربيّ يعكس ما يعكس من رغبة فائقة في الاحتكاك بالفكر اليونانيّ، والتشوق إلى الاطلاع على الآخر، بدليل دفع المبالغ الطائلة لاقتناء الآثار اليونانيّة، مع مراعاة النوعيّة حتى لا يكون العرب تبعاً - أو فيما نبذ ذكره سابقاً من السرقات الأدبيّة - بل إنهم كانوا مبدعين في حملهم للعلوم السابقة، وقد حفظوا لنا العلوم التي درسوها كما وسعوا من رقعتها وهو ما أفاض فيه العلامة ابن خلدون في الذرة النفيسة " المقدمة " حينما قال: « ثم جاء الله بالإسلام وكان لأهله الظهور الذي لا كفاء له، وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه للأمم، وابتدأ

¹ ينظر: داود سلوم- الأدب المقارن- مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة- ط 1 2003- ص 16

² سيغريد هونكه - شمس العرب تسطع على الغرب- تر: فاروق بيوض وكمال الدسوقي - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط 7- 1982 - ص 124

أمرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع، حتى إذا تبجح من السلطان والدولة وأخذ الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الأمم وتفننوا في الصنائع والعلوم، تشوّقوا في الاطلاع على هذه العلوم الحكيمية بما سمعوا من الأساقفة والأقسّة المعاهدين، بعض ذكر منها وبما تسمو إليه أفكار الإنسان فيها، فبعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث بكتب التعاليم مترجمة، فبعث إليه بكتب إقليدس وبعض كتب الطبيعيات، فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصا على الظفر بما بقي منها، وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان يتحله، فانبعث لهذه العلوم حرصا وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين واستنساخها بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك، فأوعى منه واستوعب وعكف عليها لنظار من أهل الإسلام وحذقوا في فنونها وانتهت إلى الغاية أنظارهم فيها»¹.

الأمر الذي يعكس حركية التأثير والتأثر الموصولة بالترجمة، وعلى الجهود العربية الحثيثة في ترصين مكانتهم والسمو بشخصهم الأدبي والعلمي، وكان منهم خالد بن يزيد بن معاوية والذي لقب بحكيم آل مروان، وقد قال عنه ابن النديم: «كان فاضلا في نفسه، و له همّة محبة للعلوم، خطر بباله الصنعة، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممّن كان ينزل مدينة مصر، وقد تفصّح بالعربية وأمرهم بنقل الصنعة من

¹ ابن خلدون - المقدمة - طبعة دار الجليل المصورة - بيروت - (د.ت) - ص 531.

اللسان اليوناني والقبطي إلى العربية»¹.

كما أن هناك العديد من الأمثلة التي تبرز مدى تفتح العرب القدامى على فكر الآخر والانتفاع منه، دون إحداث شروخ في الهوية العربية أو طمس لفكرها المتقد. والحال نستجليه في تأثر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين من منطق اليونان في كتاب العبارة لأرسطو وكتابه فن الشعر وتأثيره في فلسفة عد القاهر الجرجاني البلاغية. وكثيرة هي المناهل العربية التي غرفت من روافد فكر الآخر. - إلا أن طبيعة الدراسة تقتضي الاكتفاء بذكر البعض تفاديا للإطناب والذي يمثل بحد ذاته ثراء لا يمكن حصره - انطلاقاً مما تأسس، يتجلى لنا لحد اليقين، أن مفهوم التأثير يفترض مسبقاً وجود علاقة بين كاتبين أو عمليين أدبيين ينتهي كل منهما بما يختلف عن الآخر أحياناً وقد يتفق معه أحياناً أخرى. والأمر هنا لا يقتصر على منهجين من مناهج البحث ينماز أحدهما عن الآخر بأنه يدرس أعمالاً مكتوبة بلغتين مختلفتين - مع أن هذا التميز يحفز الدارس المقارن على اجتياز الحاجز اللغوي، وبالتالي تخطي عتبة الزمان والمكان - هذا لأن التأثير قد يكون داخل أدب قومي واحد وأن المتأثر ينتهج نفس مسار المؤثر، مع التأكيد على التمييز بين أعمال الكاتب المؤثر وثقافته القومية - باعتباره المصدر - وعمل المتأثر حتى لا ينجم خلط بين دراسات الاستقبال والتأثير. ولتفادي الوقوع في

¹ ابن النديم - الفهرست - طبعة دار المعرفة - بيروت - ص 338.

الشك عن المصدر الأصلي للنص المؤثر، هذا لأنه قد يذيع صيت كاتب ويتلقى شهرة في بلد آخر غير موطنه، مثلما حدث مع الكاتب الفرنسيّ روسو **Rousseau** وكتابه هلويز الجديدة **La nouvelle Heloise** ، لاقى صيتا ما حظي به في فرنسا إلا بعدما طُبِع أكثر من مرة في هولندا بأفريل 1960.

وتوضح الأستاذة أنا بالاكيان **Anna Balakian** في معرض مناقشتها عن الفرق بين التأثير والاستقبال بوصفهما مفهومين مختلفين من مفاهيم الأدب المقارن، لاستقبال العمل الأدبيّ أن يصبح تأثيرا حقيقيّا، لابد من أن يمر بعدة مراحل حتى يصبح في النهاية جزءا لا يتجزأ من ديالكتيك الإبداع الخالص. وفي هذا الصدد تستشهد الأستاذة بالاكيان بتأثير الكاتب الأمريكيّ ادجار آلان بو **Edgar Alan Poe** على بودلير **Bodlère** بوصفه دليلا مادّيّا على الفرق الجوهريّ بين الاستقبال وبين تأثير أساسي حقيقيّ. كما أنه لا يمكن مثلا اعتبار ترويج السيّدة دي ستال **De Steal** للرومانسيّة الألمانيّة في فرنسا تعصيذا لفكتور هيقو **Victor Hugo** وستندال **Standal** وغيرهما من الرومانسيّين الفرنسيّين الذين كانوا يناشدون بتحرير الأدب الفرنسيّ من التقاليد الكلاسيكيّة. فعند محاولة من رواد المدرسة الفرنسيّة لتحويل الأعمال الأدبيّة إلى علم يفرض التنقيب أثناء دراسته، تشبّثوا بضرورة الاعتماد على

الأدلة حتى تكون البرهنة يقينية. من جهة أخرى اعتبروا أن تقييم العمل الأدبي جماليًا، ضرب من ضروب الولوج في البحث عن احتمالات قابلة للتصديق أو الكذب، ومن ثم فهي غير علمية. فالأدب المقارن في المدرسة الفرنسية بما تميل إليه من التبع العلمي في البحث، تنظر إلى الأعمال الأدبية بوصفها مادة أولية موضوعية قابلة للبحث العلمي لا تنفصل على التأصيل التاريخي.

ولعل الاعتراف الصريح والشهير الذي أدلى به أمبير في حق مفهوم الأدب المقارن حين قال: «أيها السادة سنقوم بهذه الدراسة المقارنة التي بدونها لا يكتمل تاريخ الأدب»¹.

دليل قاطع على تشبه رواد المدرسة الفرنسية بالمنهج التاريخي للعلمين المقارنين، كما يدلي بدلوه في ذات السياق جون ماري كاري **Jean Marie carie** " إن الأدب المقارن فرع

من التاريخ الأدبي لأنه دراسة العلاقات الروحية الدولية والصلات الواقعية"²

فأي حديث عن التأثير والتأثر في الأدب المقارن يستوقفنا بالحديث حتما عند منهجين مختلفين في تناول العملية المقارناتية. الأول يتعلق بالبحث التاريخي في أصول التأثير، والثاني منهج نقدي صرف. يفترض المنهج الأول مسبقاً أن حركة التأثير هي من كاتب إلى آخر. أمّا المنهج النقدي، فيعتبر أن التأثير الحقيقي لا بد أن يتجلى في الأعمال

¹ بول فان تينغيم، الأدب المقارن، تر: حسام سامي مصباح، ص 129

² شفيق البقاعي، الأنواع الأدبية مذاهب و مدارس في الأدب المقارن، عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1،

الأدبية ذاتها. بمعنى أن حركة التأثير الحقيقي هي من عمل أدبيّ إلى عمل آخر وليس من شخص إلى آخر. وهذا ما يحتسب على أنصار الاتجاه التاريخي في دراسة التأثير والتأثر إذ غيّبوا الجوانب الدوقية ولم يولوا عناية فائقة بالجوانب الجمالية " لقد حوّل التوجّه التاريخيّ الوضعيّ عالم الأدب المقارن إلى مؤرّخ بالمعنى الصارم الضيق للكلمة. أي إلى شخص يجمع الوثائق والمصادر والمنابع والوسائط المرتبطة بالعلاقات الخارجية للآداب ومنعه من عقد أيّ مقارنات خارج ذلك الإطار بمعزل عن علاقات التأثير والتأثر، بدعوة أن ليس لتلك المقارنات قيمة معرفيّة " ¹

نستخلص من هذا الرأي، أن دارس التأثير لا ينبغي عليه تتبع العلاقات التي يمكن إثباتها والبرهنة عليها بالدليل المادي فحسب، وإنما عليه أيضا أن يستخدم المقاييس النقدية للتقييم الذي يفضي بدون شك، إلى إزاحة الضبابية أو استدراك النقائص، وبالتالي عرضه في الصورة التي تمكنه من أن ينال حظ المقارنة مع النصوص العالمية. وعلى الرغم من أن حقل التأثير والتأثر هو فضاء فسيح، وتليق في حقه دراسة مخصصة له و عليه، فإن هذا الطرح يوجب تفادي الإطناب لإتاحة فرصة التعمق أكثر لدراسات لاحقة من جهة، ولطبيعته التي اقتضت تناوله لتقديم صورة عنه حتى يتسنى للمتلقي

¹ عبود عبده، الأدب المقارن، مشكلات و آفاق، اتحاد كتّاب العرب دمشق، 1999، ص 28

استيعاب الفصول اللاحقة.

كاستخلاص لما تأسس، يتضح لنا أن الحقل المعرفي المقارن إن لم يرس عند تسمية ثابتة، فهذا راجع إلى عدم ثبات محور التأثير والتأثر عند مفهوم مؤكد وتعرضه للمد المتشدد للمدرسة الفرنسية والجزر غير المتأصل للمدرسة الأمريكية إضافة إلى هذه الأسباب، فإن الترجمة هي كذلك من أهم محاور الحقل المقارن، وهي في تعريفها علم وأدب وفن. فلماذا إذن نحكم على هذا الحقل بالأدبية؟؟

وإذا سلمنا جدلاً بأنه دراسات مقارنة، فأني نوع من الدراسات هو؟؟

ألا يجدر بالدارس المقارن قبل كل شيء أن يبدي برأيه في النصين المطروحين أمامه؟ أي له الحق في أن ينتقد، خصوصاً إذا ما تواجد بين النصين تأثير مباشر لأحدهما بالآخر دون أن يكون هناك اعتراف. مثلما هو الحال مع الأثر الجلي لقصتي ياجوج ومأجوج وسيدنا سليمان- عليه السلام- والليالي العربية في رواية ملك الخواتم لروناند تولكين.

أمام هذه المعضلة، تتبادر لدينا تسمية قد تكون أقرب إلى مفهوم هذا الحقل المعرفي.

ألا يجدر أن يكون نقداً ثقافياً مقارناً؟؟ إن الطرح لا يزال عند نقاط من الاستفهام...

الفصل الأول

الحركة الثقافية لمعارات الإشعاع العربيّة

المبحث الأول: مفاهيم الثقافة وموضوعاتها

المبحث الثاني: الثقافة الإسلامية أمام الغربيّة

وصلتها بالعلوم الأخرى

المبحث الثالث: الفضل الترجميّ في الإثراء الثقافيّ

المبحث الأول: مفاهيم الثقافة وموضوعاتها

« كانت العلوم الإسلامية وهي في أوج عظمتها تضيء كما يضيء القمر، فتبدد غياهب الظلام الذي كان يلف أوروبا في القرون الوسطى »

المستشرق الإنجليزي توماس ارنولد Tomas Arnold

لا مواربة في أن الراهن الحضاريّ أضحى موصولا بمسايرة الثقافات، وفي الوقت نفسه هذه الضرورة الحتمية تملي على ذوي الألباب التريث للتمحيص فيما ينظر لتلك الأخيرة - الثقافات الوافدة - فدعت النخبة منهم إلى استيعاب أهميتها ومعرفة دورها وقبل ذلك، إدراك حقيقتها. فقد تلفظ بها العرب ووظّفوها في عدّة معان مثل الحدق، الفطنة، الذكاء وسرعة التعلّم. أضف إلى هذا، فإن مصطلح الثقافة ذو أبعاد ودلالات واسعة تجلّت في تيمّم العلماء والمشايخ بضبطه بما يوفي بالمدلول الثقافيّ، الأمر الذي فسح مجالا للإدلاء بجملة من التعاريف.

الثقافة لغة: أصل الثقافة في اللغة العربية مأخوذ من الفعل الثلاثي ثقف بضم القاف¹ يقال ثقف الشيء أي حذقه ورجل ثقف حاذق فهم ويقال: رجل ثقف إذا كان ضابطا لأمواره ويقال: ثقف الشيء والمقصود كذلك سرعة التعلّم والاستيعاب. يقال أيضا: ثقف في موضوع ما، أي ألمّ أو ظفر به وأدركه وفي القرآن الكريم

¹ لسان العرب: لابن منظور، المجلد التاسع، ص: 19، المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرون، ص: 98

﴿نخذوهم واقتلوهم حيث ثقتموهم﴾¹ أي ظفرت بهم.

وهذه المعاني قريبة من بعضها البعض، فالحدق والفتنة سبيل إلى سرعة التعلم، وبه يكون الضبط لما يتعلمه، والظفر به وإدراكه.

الثقافة اصطلاحاً: لقد اختلفت وجهات نظر العلماء والمشايع في تعريفها ونظراً إلى هذه التعددية، يمكننا صياغتها وفق ما تمليه القواعد المؤسسة لمفهوم الثقافة والتي من جملتها أنها:

- تصقل شخصية متفتحة ومتمكنة للفرد وبالتالي تسهم في تباث ركائز الأمة.
- يتشبع الفرد ويتشبت بروح الانتماء، فتذكي فيه دافع العطاء.
- الثقافة روح تفاعلية تجسّد القيم والمبادئ من صور ذهنية إلى واقع ملحوظ.
- الثقافة إجمالاً تشتمل على الجوانب المعنوية (المبادئ، القيم، الأفكار...) والمادية (العلوم المبتكرات...). ويدلي المفكر الراحل **مالك بن نبي** " إن الثقافة هي الجوّ المشتمل على أشياء ظاهرة مثل الأوزان والألحان والحركات وعلى أشياء باطنة كالأذواق والعادات والتقاليد بمعنى أنها الجوّ العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معيّن وسلوك الفرد فيه بطابع خاص يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع آخر " ²

¹ الآية 91 من سورة النساء

² من محاضرة المفكر الراحل مالك بن نبي في ندوة خاصة بطرابلس - لبنان يوم الأحد 28 حزيران - 1959. أعيدت

إن هذا الإدلاء يوضح لنا نظرة المفكر مالك بن نبي عن أساسيات تشكيل مجتمع ثقافي، إنما ينبع من الداخل، وتعود إلى عقليات وشخصيات الأفراد وهذا ما يميز المجتمعات عن بعضها.

وعليه فتباين التعريفين اللغوي والاصطلاحي للثقافة يمهّد لتأسيس أولي - ذكرنا أولي لأنه لم يتحدّد حتى الآن مفهوم محدّد متفق عليه - لمصطلح الثقافة الإسلامية، لهذا سنحاول إيضاح مفهومها بالتوقف عند مركّب المصطلح. فماذا أضيف لمصطلح الثقافة؟

إن إضافة لفظة الإسلام تحمل ما لا تتبناه كل الأطروحات المخصصة لهذا المفتاح السماوي، هذا لأنه اشتمل على كلام الله - عزّ وجلّ - وهو القائل وقوله الحق: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾¹

فالفكر الإسلامي محيط أعمق ممّا يتصوّره العقل البشري، هذا لأن تيّاراته أكبر من أن تستجيب لها مجموعة محدّدة من الدراسات. ومن الجدير بالذكر أن العلماء القدامى لم يهتموا ببيان رسم الثقافة الإسلامية بقدر ما اهتم بها فقهاء وعلماء الثقافة الإسلامية حديثاً، بدليل تبني وزارات الثقافة للدول الإسلامية نتاجاً فكرياً

¹ الآية 109 من سورة الكهف

موحّداً، تجلّى في المنظمة الإسلاميّة للتربية والعلوم والثقافة ايسيسكو *unesco*. الذي انماز بحرصه على تعزيز الحوار بين الثقافات والأديان وعلى ضرورة تنفيذ استراتيجية ثقافيّة موحّدة داخل العالم الإسلاميّ للتصدي لظاهرة الإسلاموفوبيا المسوّقة للصور المشينة عن الرسالة المقدّسة الجامعة لكافة الأديان " رسالة الإسلام " وما حيك ضدها من أفكار عنصريّة وأحقاد تاريخيّة. فمثل هذه البادرة النيرة لم يدع لها صيت من قبل. كما كان السيد سيد مخدوم رهين ممّن دعوا إلى الالتزام بالثقافة الإسلاميّة وعدم الأخذ من الثقافة الغربيّة إلا بما يخدمنا، كما أضاف أن الثقافة الإسلاميّة تبقى الأشمل والأنسب لكافة الأزمنة والعصور¹. إلّا أنّ المناشدة بإقامة استراتيجية ثقافيّة إسلاميّة موحّدة، كان من المفروض أن تسبقها مناشدة بالاتفاق على مدلول موحّد لمفهوم الثقافة الإسلاميّة، خاصة وأنّها لم تجمع بعد في كتاب مخصص بشأنها" وأن معظم ما كتب عنها هو عبارة عن شذرات ومقتطفات ذكروها في ثنايا كتبهم مع أنّها فضاء معرفي فسيح يستحقّ النهم من كافة الدراسات الفكرية.

ولم يوجد حتى الآن مفهوم محدد متفق عليه لمدلول المصطلح الثقافة الإسلاميّة، وإنما هي اجتهادات دُرّة من العلماء والمفكرين. من هنا، فقد تعدّدت المفاهيم لهذا المصطلح تبعاً لتعدد اتجاهات أولئك العلماء والمفكرين التي يمكن إجمال معظمها

¹ المؤتمر الإسلاميّ السابع لوزراء الثقافة، تلمسان 19/18 ديسمبر 2011.

فيما يلي:

1- تيار يرى أن " حياة الأمة الإسلامية " بحد ذاتها قاعدة أسس لأجلها المفهوم.

وقد حدّد هذا الاتجاه نظرتة إلى الثقافة الإسلامية على أنها:

معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة، بتفاعلاتها بين الماضي والحاضر من دين لغة، تاريخ، حضارة، قيم وأهداف مشتركة تخدم الفرد أينما كان وتعزّز وجود ذاته المعرفية.

بمعنى يقتضي إلقاء نظرة شاملة على حياة الأمة الإسلامية من جميع جوانبها، حيث إنها عنوان عبقرية الأمة ونتاج اجتهادها عبر تاريخ الإنسانية.

2- تيار يرى أن " العلوم الإسلامية " أساساً يرتكز عليه التعريف. بهذا تكون الثقافة الإسلامية مرادفة " للدراسات الإسلامية " من خلال الاكتساب الشامل لمقومات الدين الإسلامي والمصادر التي نهلّت منها تلك المقومات.

بمعنى مفهوم الثقافة الإسلامية مقترن بدراسة العلوم الإسلامية بجوانبها المتعددة والمستمدة - بطبيعة الحال - من القرآن الكريم والسنة النبوية، وما أضيف من قبل علماء الكلام والتفسير والحديث والفقه والسيرة.

3- تيار أدلى بأن الثقافة الإسلامية علم جديد، ينماز عن غيره من العلوم

الإسلامية بموضوعات خاصة به على غرار العلوم الإسلامية كالحديث أو التفسير أو الفقه أو الأصول، فهو علم وليد الدراسات المعاصرة ونتاج أحداث الراهن الثقافي. لهذا فإن مفهوم الثقافة الإسلامية تمثل لديهم في أنه: معرفة التحديات المعاصرة المتعلقة بمقومات الأمة والدين الإسلامي، ليخلصوا في الأخير إلى أنه:

علم كليات الإسلام في نظم الحياة كلها بترابطها .

والمقصود بكليات الإسلام، أصوله ومقوماته في جميع نظمته، النظام الفقهي، نظام العبادات. أمّا عن نظم الحياة كلها مترابطة، فاشتمال لعموم كليات أسس الحياة البشرية بصورة شرعية تتمثل في عدة أبواب منها باب العلاقات القضائية: أحكام قانونية، تنظيمات قضائية، علاقات دستورية.. " باب العلاقات الاجتماعية: " التفقه في شؤون الأسرة وما تعلق بحال الإنسان وصلاته بذي القربى ". باب العلاقات الأخلاقية: الاعتدال في الأمور، روح السلم، السلوك الحسن...

باب العلاقات الاقتصادية: تنظيم العلاقات المالية، الإشهاد على الدين بالعقود، التكليف بالعمل قدر الاستطاعة...

باب العلم: دراسة البيان، البلاغة، اكتشاف الحقائق العلمية كالأحياء وكذلك الإشارة إلى طبقات الأرض والجاذبية ..

الأمر الذي يجعل من هذا المفهوم أقرب إلى الصحة لسببين:

1- لأنه أبان على الثقافة الإسلامية كعلم مستقلّ جديد له موضوعاته الخاصة وأسلوبه الخاص وكتابه المتخصّصون له. فهو خارج من رحم التحديثات المعاصرة للإسلام والمسلمين.

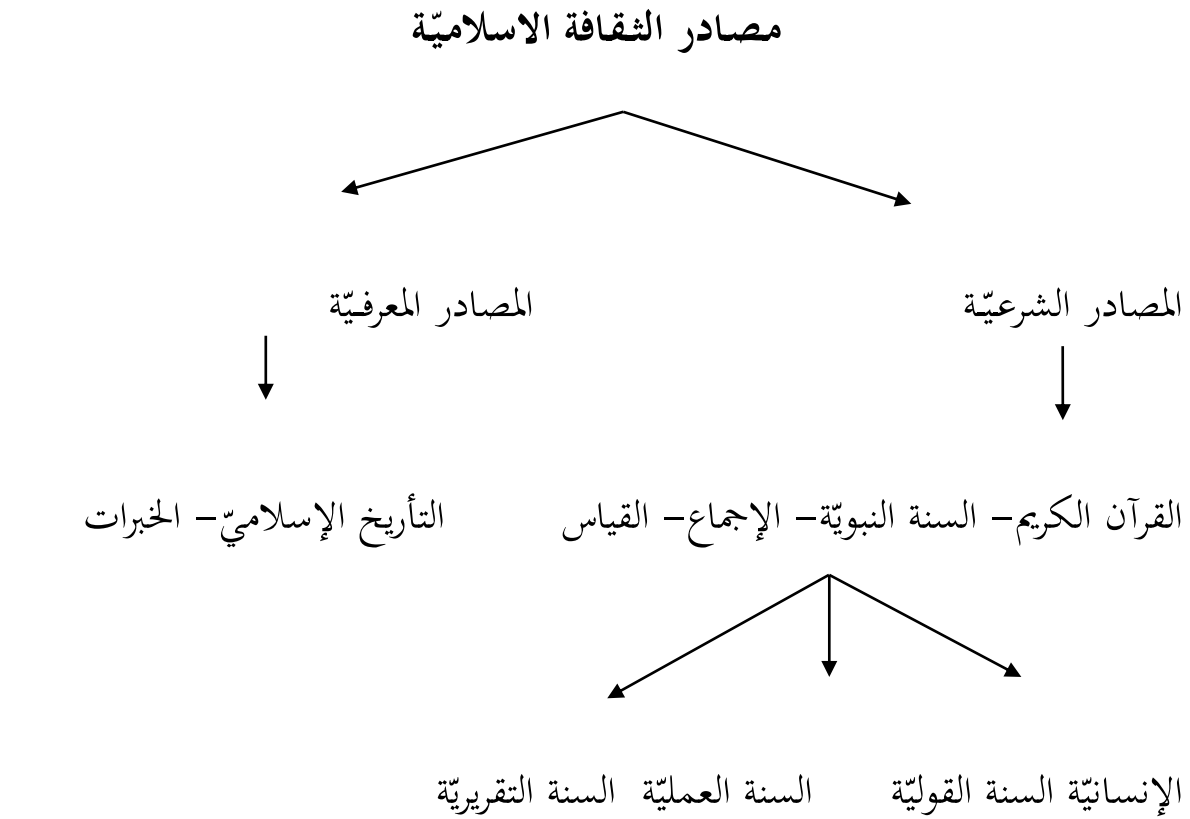
2- لاشتماله على موضوعات الثقافة الإسلامية الرئيسة، ولأنه تعريف كلي وليس جزئي. لهذا فقد يرسى مفهومها عند جملة العقائد والتصورات، الأحكام والتشريعات، القيم والمبادئ، العوائد والأعراف، الفنون والآداب التي تشكل شخصية الفرد وهويّة الأمة وفق أسس وضوابط الإسلام¹

مصادر الثقافة الإسلامية: حيث إن مصطلح الثقافة أفاد بالإمام الشامل والإدراك الفكريّ لشتى المعارف، فإن إضافة ملفوظ الإسلام إليها، يعمّق ويوثق أيّما توثيق لمناهل الثقافة الإسلامية والتي توجب التوجه إلى:

أولاً: المصادر الشرعيّة وهي الكتاب والسنة النبويّة الصحيحة.

ثانياً: المصادر المعرفيّة والمتمثلة في التأريخ الإسلامي والاجتهادات والخبرات الإنسانية.

¹ مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية" مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد 2، محرم 1410 هـ. ص 89.



وبما أنّ المصدر الرئيسي لها هو قاعدة شرعية، فهي بدون أدنى شك، ثقافة قوة وبأس لا ثقافة ضعف وبؤس. كما يستنبط من تلك المصادر الشرعية فروعاً من خلالها لا تكتسب الثقافة الإسلامية مناعة فحسب، وإنما تمتلك القدرة على إعلاء صرحها وأن ترمي بظلالها على المستوى العالمي. ومن بين الأعمدة التي تنفّرع عن تلك الجذور:

1- أن تكون الثقافة ذات أفق مفتوح ورؤية شاملة، لها قابلية للتفاعل مع الثقافات الأخرى ولها استعداد كامن في أصولها للتعامل مع الثقافات الإنسانية من هذه الانطلاقات.

2- أن تكون الثقافة ذات منحى إنسانيّ تتخطى به المجال المحلي أو الإقليمي إلى

الآفاق العالمية من دون أن ينال ذلك من خصوصياتها، أو يؤثر في طبيعتها، فتكون بذلك ثقافة تواصل بشري وتجاوز إنساني¹

كما أوضح المفكر الراحل مالك بن نبي في دعائم الثقافة الإسلامية:

أ / الدستور الأخلاقي. ب / الذوق الجمالي. ج / المنطق العملي. د / الصناعة أو التقنية² وإذا تمّ الارتكاز على تلك المصادر والأخذ بهذه الفروع، فإنها ستحقق حتما قوة حضارية بكل المقاييس التي تؤهلها لتصدر العالمية.

خصائص الثقافة الإسلامية:

لا مناص من الاعتراف أن سرعة التواصل – التي نحياها – مع مختلف الشعوب والاطلاع على فكرهم، تجعلنا نعيش عصر المتأثرة. وأمام سرعة الاحتكاك الذي قد يؤدي في معظمه إلى التأثر، فإنه لزاما علينا معرفة ميزات الثقافة الإسلامية، هذا لأن الاطلاع على خصائصها يجعل – بلا ريب – المتلقي مؤثرا في الغير لا متأثرا، كما أنها الأولى بالإتباع من غيرها من الثقافات، هذا لأنها تنماز عنها ب:

¹ فهمي جدعان – أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – ط 2 / 1981 - ص 423 / 424

* الثبات * الألوهية * التوازن * الشمول * الإيجابية * الواقعية¹

فكيف لها أن لا تعلق وهي الحاملة بين طياتها أسمى المعاني الواردة في الذكر الحكيم بآياته الجليلة وحججه الصادقة ودلالاته الناطقة. الأمر الذي جعل مواضيع الثقافة الإسلامية — وإن بدت عند البعض متشعبة — فإنها متعددة غزيرة.

قد يتساءل المتلقي وقد يكون في تساؤله استفاضة عن مظاهر التعدد والغزارة للثقافة الإسلامية دون سواها من الثقافات الأخرى. ولا بأس من الإشارة إلى أنه من بين أسرار تميزها، أن الإجابة عن تساؤل عنها تفضي إلى تساؤل آخر، الأمر الذي يحقق لها الاستمرارية في البحث والتأمل المفضيان إلى النهم مع كل مولود معرفي يطرح.

موضوعات الثقافة الإسلامية:

من الركائز المؤسسة للنهوض بالعلم والتماس نتائجها، هي طبيعة موضوعاته حيث إنه من خلالها يتمكن الدارس من الوصول إلى حلول ملموسة ونتائج تفعيلية لعدد المسائل والقضايا وبتحديد موضوعات علم الثقافة الإسلامية وبيان محتواها، يحق لنا الجزم بأن الإسلام هو الحياة عامة بشقيها " الدنيوي و الماورائي ". وتتضح هذه

الحقيقة في النظم الآتية:

أ- نظام العقيدة : يتطرق إلى العقيدة الإسلامية مفهوماً و أركاناً و المسائل المتصلة بها.

¹ - [http://www.elc.edu.sa/auto/islamic studies](http://www.elc.edu.sa/auto/islamic%20studies). P 10

فيتناول: " الوجود والإنسان أصلاً ومصيراً وحكمة وجوده والكون، أصلاً، حكمة، ونهاية. والحياة - دنيا وآخرة - "

ب- نظام العبادة: يتناول مفهومها، مقامها في الدين، آثارها، حكمها وشعائرها الكبرى.

ج- نظام الدعوة والحسبة: يبحث على أهمية الدعوة، وحدة الأمة، حكمها ومنهجها، وأهدافها وحركاتها التجديدية، وفقه الدعوة والجهاد

د- النظام العلمي: يتناول العلم ومفهومه، مصادره، مناهجه، العلاقة بين العلم والإيمان، المنهجية الإسلامية والتفكير المنهجي

هـ - النظام الخلقي: يتطرق إلى الشعور الخلقي، معيار القيم، أسس الأخلاق وخصائصها، أصول الأخلاق الإسلامية

و - النظام الاقتصادي: يتناول أسس الفكر الاقتصادي ومزاياه، فيعالج ماهيته، أهميته وأهدافه، العمل ومجاليه، حقوق العاملين، قانون الملكية، التضامن الاجتماعي

ز- النظام السياسي: يتناول الحكم، السلطة، الإدارة، نظرية السيادة، مفهوم المخالفة..¹

¹ رجب سعيد شهوان وآخرون. "مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية" مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد 2، محرم 1410 هـ ص 36 .

هذه هي النظم التي تبناها ودرسها علم الثقافة من حيث مصادرها، أسسها، خصائصها، أهدافها وآثارها. أمّا تفاصيل كلّ نظام وجزئياته فمن شأن المتخصّصين بذات المجال.

المبحث الثاني: الثقافة الإسلامية أمام الغيرية وصلتها بالعلوم الأخرى

" إذا حكمنا على العظمة بما يتركه العظيم من أثر، كان محمد صلى الله عليه وسلم من عمالقة التاريخ " ول ديورانت Will Durant

إن أية محاولة لإجراء مقارنات أو مقاربات تهدف إلى تجسير ثقافة الذات بالآخر، توجب حتمية تحصين الهوية أيًا كانت طبيعتها، حتى يحدث ترسيخ مكن للقيم الذاتية تفاديا للتأثر السلبي. يقول غاندي **Gandi** " إنني أفتح نوافذي للشمس والرياح ولكني أتحدى أية ريح تحاول أن تقتلني من جذوري".

في الوقت نفسه، التشبث بالمبادئ يجنبنا الانسياق نحو ما لا يتوافق وقيمنا. إذ أنه يكسبنا ثقة مطلقة في المجابهة الفكرية أمام كلّ وافد وارد إلينا، وقد أوجبت تلك الضرورة تبعا لطرائق التعامل مع تاريخ المسلمين والتي كان منها:

1- استعماله مشوّها ومحرفا - أداة للعبئة الجماهيرية عاطفيا وفكريا عبر قرون للاحتكاك بين العالمين الإسلامي والأوروبي.

2-توظيف قصة ظهور الإسلام والعبادات الإسلامية كأسلوب للبرهنة على أن معتقدات المسلمين لا تختلف كثيرا عن المعتقدات الروحية للتقليد الديني اليهودي

المسيحي، الأمر الذي انطوى على التفكير بإمكانية كتب المسلمين للمسيحية وكان وراء إطلاق فكرة التبشير المسيحي في العالم الإسلامي.

3- استحضار شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته كسلاح في الصراعات الطائفية والفرقية بين أتباع كنائس في أوروبا وبخاصة بعد ظهور حركة الإصلاح الديني وتكون الكنيسة البروتستانتية على يد **Martin luther** الأمر الذي زاد من وكيل التشوهات للإسلام ولمادته الأصلية¹

أمام هذا التوظيف السلبي لتاريخ العرب والمسلمين، كان لزاما على الطرح رصد وتحليل التأريخ الأوربي للإسلام والعرب منذ العصور الوسطى، حيث إن هذه الفترة شهدت تعاملًا متعالياً مؤسساً على الهيمنة على أقاليم العالم الإسلامي. اتجاه هذه النظرة السلبية، تستوجب ضرورة إمطة اللثام عن مسببات الإساءة الغربية للعالم الإسلامي والتي يرجح بعض السوسيوسيايين معظمها إلى:

متاخمة الأقطار الإسلامية:

الموقع الجغرافي لأوروبا المحاط بالعالمين العربي والإسلامي كان أشبه لدى سكانها بالحصار

¹ - محمد الدعيمي - الاستشراق (الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي) مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2006، ص 8.

العسكريّ. خصوصاً وأن السليقة الصلبة للعربيّ آنذاك وكذا هيبته مكانته، أكّدت فكرة الخناق على أوروبا. أضف إلى هذا، المناخ الإقليميّ القاسي المحيط بها. إذ كانت تغطّي شمالها أقاليم ثلجيّة شاسعة، بينما مثّل المحيط الأطلسي كامل حدودها الغربيّة. ومن ناحية أخرى، كانت حدود أوروبا العصور الوسطى يعمّها الإسلام. فجنوبها تتمثّل في البحر المتوسط الذي تتزعمه قوى بحريّة عربيّة وبخاصّة بعد الفتوحات العربيّة الإسلاميّة لإسبانيا وأراضي أخرى في آسيا الصغرى. أمّا حدود أوروبا الشرقيّة، فكانت في احتكاك مباشر مع المسلمين أو مع أقوام أسلمت فيما بعد كالمغول والقبائل التركمانيّة.

الأمر الذي ولّد فكرة الحراك السياسيّ، العسكريّ وكذا الثقافيّ، فكان من جملة الإفرازات عن اعتقاد وجود خناق عربيّ إسلامي، نصبا وعيًّا فكريًّا لدى المجتمع الأوروبي.

مواجهة أوروبا للفكر الإسلاميّ:

لقد كان تأكيد أدبيّات عصر الثورة الصناعيّة على " السيف الإسلاميّ " لهذا تمّت كتابة جلّ التواريخ الأوروبيّة عن الإسلام تحت ظلّ الخوف من الطاقات العسكريّة العربيّة الإسلاميّة وبخاصّة بعد استقرار الخلافة العربيّة الإسلاميّة، مع أن الإسلام لم ينتشر بتاتا بالسيف — على حدّ اعتقاد الآخر — ويوطّد هذا الطرح المفكّر الراحل أحمد ديدات

في مناظرته المدونة " المسيحية و القرآن " بقوله « وكذلك سيّد المسلمون الهند منذ ألف عام وأخيرا عندما نالت شبه القارة في عام 1974 حصل الهندوس على ثلاثة أرباع الدولة والمسلمون على ربع. لماذا؟ لأن المسلمين لم يفرضوا الإسلام في حلوق الهندوس. فالمسلمون في الهند واسبانيا كانوا أمثلة للفضيلة»¹ وتبلور الحالة كظاهرة تفوّق شامل. ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا هائمة في عالم الخرافات وتلاعب رجال الدين بصكوك العفو والمغفرة، تمكّن العالم الإسلامي من أن يكون الوريث الحقيقي لحضارات القدماء - شرقية أم غربية - وكانت المراكز الحضارية الكبرى مثل بغداد والقاهرة ودمشق لا تمثل رموزا للتقدّم للاقتصاديّ فحسب، وإنما منارات للإشعاع الفكري الذي عدّ رواده مدارس لكلّ متعطّش للارتواء من نبع الثقافة العالمية. أمثال: ابن سينا، ابن رشد وابن الهيثم وغيرهم. كلّهم أسماء لامعة شكّلت فضلا في تفاخر الحضارة العربية الإسلامية. وفي الوقت نفسه عدّت بصمات ركود أوروبيّ، هذا لعدم امتلاك - أوروبا - ما يضاها ويجاها علماء العرب. لقد كتب روجر بيكون **Roger Bicon** - باحث العصر الوسيط - موضحا مسلّمة لا جدال فيها قائلا: " إن الفلسفة هي الحقل الخاص بالمؤمنين،

¹ أحمد ديدات - الاختيار بين الإسلام و النصرانية - تز: أكرم ياسين الشريف - مكتبة العبيكان - الرياض - ط 1 -

نأخذها كاملة منهم " ¹

وما هو معلوم أن الفلسفة أم العلوم، إذ نجد الفلكي فيلسوفا في مجاله، عالم الرياضيات، المختص النفسي، الناقد، اللساني.... كل منهم سيحلل في مجاله، يستقرأ، يفسر، يفهم فيؤول. ليتولد في الأخير نهما نصيا في تخصص أي باحث بمجاله المعرفي.

إن هذا الطرح لقضية الثقافة الإسلامية ومدى تشرب المسلم من نبعها، دفعت به إلى فهم طبائع مختلف الأمم وعديد الشعوب والاطلاع على أفكارها، بُغية معرفة ما هم عليه، تحقيقا لمبدأ التعارف المنصوص عليه في القرآن الحكيم.

ولقد تحقق عن ذاك التفاعل بين الثقافة الإسلامية مع الثقافات الأخرى، تحرير الشعوب من بدع الخرافات والوثنيات، فامتد مسار الاستقامة لحدّ بلغ إعلاء كلمة الحق، بعد أن استمدّ الآخر ثقافته من النص القرآني المقدّس وما حواه من " عبادات ومعاملات وأخلاق ونظام مجتمع، ومنهج حياة جامعة بين العقل والقلب والروح والجسد والدين والعلم والدنيا والآخرة " ²

لهذا، فإنّه من ميزة الحضارة الإسلامية، التفاعل الثقافي، حيث إن هذه الأخيرة —

¹R.W.Southern Western views of islam in the middle ages- Combridge- Harvard university press - 1978 p 59

²أنور الجندي - معلة الإسلام - المجلد الأول - المكتب الإسلامي - بيروت - 1980 م - ص 528

الثقافة الإسلامية - لم تسدّ يناييعها المعرفة أمام الآخر، بل أفاضت بها عليه للتشرب منها والتي كانت مناراتها في الشام، مصر. أما لدى الآخر فتألفت عند اليونان.

لقد حققت الثقافة الإسلامية بتلك الوتيرة التي سارت عليها من التسامح وقابلية الانفتاح، الانتشار والامتداد لعديد فروعها وغرس جذورها في أقاليم مختلفة. يقول كولر يونغ "T.C Young" إن الدين الثقافي العظيم الذي ندين به للإسلام منذ أن كنا نحن المسيحيين داخل هذه الألف سنة، نساfer إلى العواصم الإسلامية وإلى المعلمين المسلمين ندرس عليهم الفنون والعلوم وفلسفة الحياة الإنسانية، يجب التذكير به دائما.

وفي جملة ذلك تراثنا الكلاسيكي الذي قام الإسلام على رعايته خير قيام، حتى استطاعت أوروبا مرة أخرى أن تتفهّمه وترعاه. كل هذا يجب أن يمازج الروح التي نتجه بها - نحن المسيحيين - نحو الإسلام¹

لقد أثرت الثقافة الإسلامية بوضوح في عديد المجالات العلمية، الرياضية، الطبية، وشتى العلوم الإنسانية، وكان لأسبقية علمائها الفضل في اكتساب التأثير في الآخر. فكان لابن سينا كتاب "القانون في الطب" الذي أضحي مرجعاً أساسياً في ذات

¹ من بحشعنوان The cultural contribution of islam to christendom نقلا عن كتاب " أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، الشعة القومية المصرية للتربية والعلوم والثقافة - القاهرة 1987م - ص 5

المجال لفترات طويلة، كما عدّ ابن خلدون أول من تكلم عن علم العمران، ويعتبر بذلك مؤسس علم الاجتماع الحديث. أما ابن الهيثم فيعتبر المؤسس الأول لعلم المناظر ومن رواد المنهج العلمي. في حين أنّ الخوارزمي ومن خلال كتابه حساب الجبر والمقابلة، قدّم أول حلّ منهجيّ للمعادلات الخطية والتربيعيّة. بينما تألّق الإدريسي في الجغرافيا ورسم الخرائط. وفي هذا السياق يجب علينا التنويه إلى ما خفي عن العديد في أن سيّدنا يوسف - عليه السلام - أول مؤسس لعلم السيميائيات القائم على دراسة العلامة أو الإشارة. يقول الله تعالى في منزل كتابه الحكيم ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾¹

أي علّمه علماً. علم التأويل، والتأويل يكون تالياً للتفسير والفهم للإشارة وإن الله تعالى كان بقدرته أن يرّمز عن إخوة سيّدنا يوسف - عليه السلام - بإحدى عشر شجرة أو قلماً أو طيراً... لكن شبّههم بالكواكب لإبلاغنا برسالة عن علم الفلك أن عدد الكواكب إحدى عشر عن طريق رؤيا وردت شيفراتها بعلامات ورموز وأعداد منذ عهود طويلة. وبينما كانت أوربا ترتع في متاهات الخرافات وإن سعت فإنّها تسعى وراء تحقيق الماديّات وبيع صكوك الغفران من الكهنة، كانت الحضارة الإسلاميّة في أوجّ

¹سورة يوسف، الآية 6

ازدهارها. يقول ول ديورانت **Will Durant**: "عندما تقدّم روجر بيكون **Roger**

Bacon بنظريته في أوروبا بعد 500 عام من ابن جبير. قال إنه مدين بعلمه إلى

المغاربة في اسبانيا الذين أخذوا علمهم من المسلمين في الشرق. وعندما ظهر النوابغ

والعلماء في عصر النهضة الأوروبيّة، فإنّ نبوغهم وتقدّمهم كانا راجعين إلى أنّهم وقفوا

على أكتاف العمالقة من العالم الإسلاميّ" ¹

إن مثل هذا التصريح، يؤكّد أن الثقافة الإسلاميّة هي ثقافة فعّالة هادفة،

خصوصاً وأنّها كانت في خدمة الإنسانيّة جمعاء تعمل على تحقيق الرقيّ المرفوق بتهذيب

النفس. ونظراً للتطوّر الذي شهدته مختلف شبكات التواصل عبر العالم، فقد استحوذ

التطلع من قبل الآخر حول اكتساب الريادة الثقافيّة على المستوى الدوليّ، فتفاقت

الصراعات الفكريّة، وسعى العديد إلى إحداث هدم خارجيّ للبنى التحتيّة للركائز

الإسلاميّة بطرق تكاد تكون أشبه بدس السمّ في العسل. هذا لتمسك الآخر بفكرة كي

تعارض شخصاً أو فكرة أو حزباً، انتم إليه. فاستغل - الآخر - العديد من نقاط

الضعف، منها تأخر العالم الإسلامي عن مواكبة وسائل الاتصال التكنولوجيّة، وهيمنة

¹ ريتشارد نيكسون - الفرصة السانحة - تر: أحمد صديقي مراد - دار الهلال - القاهرة - د، ت - نقلاً عن ول

ديورانت - عصر الإيمان ص 138

الآخر¹ على بنية مصادر التمويل الدوليّة. يذهب الكاتب الأمريكيّ هيربرت شيلر **Schiller Herbert** في كتابه "الاتصال والهيمنة الثقافيّة" إلى أن الامبرياليّة الثقافيّة تنمو تحت راية نظام عالميّ موحّد بسبب الناتج الإعلاميّ الثقافيّ، ليخلص إلى الإدلاء بأنّ "الامبرياليّة الثقافيّة هي جماع العمليّات التي تستخدم لإدخال مجتمع ما إلى النظام العالميّ الحديث، ولاستماله الطبقة المهيمنة فيه والضغط عليها وإجبارها ورشوتها أحياناً، كي تشكّل المؤسسات الاجتماعيّة في أنساق مع قيم المركز المهيمن في النظام وبناءه أو حتى الترويج لها"²

إنّ ما صرّح به الكاتب الأمريكيّ، يؤكّد محاولة طمس الهويّات الثقافيّة والقضاء على السمات الحضاريّة للشعوب الأخرى، تحت راية نظام عالميّ موحّد. مع أن من سنّ لهذا النظام الموحد، سنّ قانوناً موثقاً في كلّ اللوائح الدوليّة بضرورة احترام الهويّات الثقافيّة للمجتمعات والأمم كيفما كان حالها!! أمام هذا التضاد المتداخل، يستوجب على المسلم المثقّف أن يعيد ترميم ركائز ثقافته، هذا لأنها قد تضعف بضعفه. إنّه الضعف الناجم عن تفريطه وإهماله المتعمّد للأخذ بأسباب الرقيّ الحقيقي الضارب في

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² هيرتشلر، الاتصال والهيمنة الثقافيّة، تز: وجيه سمعان عبد المسيح، سلسلة الألف الكتاب الثاني، رقم 135، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، سنة 1993، ص 21

جذور وأصول ثقافته، وبالتالي تتولد العديد من الجوانب السلبية التي لا تنسجم ومقومات الأمة الإسلامية، فلا يحمل المثقف المسلم رسالته الحضارية التي أسسها السابقون وحملت على أكتاف مفكري الوقت الراهن.

إزاء هذا الناتج السلبي، تصبح الثقافة الإسلامية غير قابلة للمنافسة، ولا تملك حتى القدرة على طرح الجديد، بل يشملها الانحسار ويحدّها الانحصر على فئة معيّنة ممن يخدمها. وعليه لا تتدافع حضاريًا ولا تتأثّر لها أشكال الحوار إن لم تتمّ العودة إلى الأصول وإحياء الجذور. هذه الأخيرة - الجذور - التي بفضلها تستطيع وتتمكّن الثقافة الإسلامية من المواجهة لا في ساحة النزاع وإنما في التواصل والتدافع الحضاري. ليس لأنها تمتلك إرثًا غنيًا فحسب، بل لأنها تحمل قيما سامية وتحتل مبادئ معقولة، إن لم تكن في الشكل والمظهر ففي العمق والجوهر اللذان يشعّان بالحوار الذي يُعتبر سنة الحياة، أمّا الصراع فهو يعود إلى التراث الإغريقي والروماني المبني على أساطير صراع الآلهة ولا يعبر عن الفطرة الإنسانية. ولأنّ الراهن في ظلّ القانون الدوليّ يقتضي الحوار الثقافي لا الصراع، على المتلقي المتشبع بالثقافة الإسلامية، أن يستدلّ بوسائل الإعلام الثقافية المعاصرة لمواكبة المستجدات من جهة وإمكانية نشر وإيصال أفكاره ورؤاه من جهة أخرى... هذا لأنّ الحضارة المعاصرة تركز على التكنولوجيا باعتبارها أداة للتحكم وتتبع

سياسة التهميش للاتجاهات والفكر التأملّي، النقديّ، والجمالي في النفوس البشريّة. وفي هذا الشأن، يدلي عبد الوهاب المسيري بقوله «أن الإنسان لا يستخدم كلّ إمكاناته الإنسانية (النقدية والجمالية... إلخ) في تنظيم المجتمع، ويركّز على الترشيد على هدى متطلبات النظم الإداريّة والاقتصاديّة والسياسيّة التي يفترض أنها ستزيد من تحكّمه في الواقع. ويؤدّي كلّ هذا بالطبع إلى ضمور حياة الإنسان ويصبح الترشيد هو استعمار عالم الحياة»¹

الأمر الذي يجعل معظم الثقافات المعاصرة، تنهل من نبع الحضارة الغربيّة الحديثة التي أزاحت الدين من شتى المعارف. الأدب، الفنّ، العلم ... وإجمالاً من كل عمل ثقافيّ إبداعيّ وعدم الاكتراث بالقيم المعنويّة كالشهادة والتقوى. في ذات الحين تركّز على التكنولوجيا وكلّ ما هو ماديّ وأن الغلبة والتفوّق دائماً للقوى الماديّة والملموسة وبالفعل هذا ما نراه و مجبرين على أن نقنع به. لأن الواقع يصرّح بأن النظام العالميّ الجديد بقيادة محور قوّة واحد - الولايات المتحدة الأمريكيّة - يقول إدوارد سعيد:

" يتوجّب أن لا تغيب عن بصرنا الحقيقة الساطعة بأن الولايات المتحدة تحكم رباطا متينا حول العالم. وأن المسألة لا تعود إلى ريغان أو كلينتون ونفّر من شاكلة كير

¹ عبد الوهاب المسيري - الصهيونيّة والنازية و نهاية التاريخ - رؤية حضاريّة جديدة - دار الشروق - القاهرة - 1997 - ص 251.

كباترك فقط، بل تعتمد كثيرا على الخطاب الثقافي وعلى صناعة المعرفة وإنتاج النصوص وتسويقها. إنها باختصار لا تعتمد على الثقافة كميدان أنثروبولوجي عام يناقش ويحلل روتينيا في دراسات ثقافية،¹ وفي خضم هذا التلاطم الثقافي، لم تبرأ الثقافة الإسلامية من التأثير بثقافة العصر، وتُقاس شدة ذاك التأثير بمدى البعد عن الجذور والأصول، وكلما ابتعدنا عنها، تتهددنا التحديات الغربية التي تحمل في معظم مضامينها، كل ما هو غريب ودخيل على الثقافة الإسلامية.

لهذا علينا دائما بتحسين مقوماتنا وإقامة الاعتدال بين الأصالة والمعاصرة، بعدها نتواصل عن طريق الحوار واحترام رأي الآخر حتى وإن كان هناك اختلاف، هذا لأن الغزو الثقافي يسايرنا في حياتنا اليومية، بشقيه الإيجابي والسلبي.

أمام هذا الطرح، لا ينبغي أن نتراجع أو ننهر من الوضع، ولكن يجب علينا أن نعي طبيعة العصر لنعدّ العدة بالعمل الهادف والمثمر ونقنع به الآخر عن طريق الحوار العقلاني، لأنّ هذا ما أوجبه الراهن. فالثقافات المعاصرة محكوم عليها بالحوار فثمة التعايش في نطاق ما يفرضه الشرع.

¹ ادوارد سعيد - تعقيبات على الاستشراق - تز: صبحي حديدي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - 1966 - ص 78.

المبحث الثالث: الفضل الترجمي في الإثراء الثقافي

لقد أدركت الشعوب القديمة لما للترجمة من فضل في التعرف على آداب وحضارات بعضها البعض، هذا ليقينها بأهمية التلاقح الفكري والتلاحم الحضاري. وإذا ما تصفح الباحث لتاريخ الحضارات في العالم القديم، يتضح له أنّ الإرهاسات الترجميّة موعلة في القدم. فمن أشهر الأعمال التي وصلت إلينا: "حجر الرشيد، ألواح الحيتيين، تلّ العمارنة وألواح مدينة نينوى" ^{1*}

أمّا عن المطبّات التي اعترت النشاط الترجمي آنذاك، فقد اقتضت على صعوبة الاتصال وبُعد المسافات على غرار الوقت الراهن الذي يشهد ثورة في وسائل تكنولوجيا الاتصال والإعلام، بحيث ازدادت أواصر الربط بين مختلف الثقافات وبالتالي تهيئ الظروف للارتقاء بأدب عالمي مشترك. لهذا، عدّت الترجمة ولازالت بمثابة الجسر الذي من خلاله تعبر مختلف العلوم والآداب والفنون، سواء عن طريق الإشارة أو الكلام أو الكتابة، الأمر الذي نتج عنه التزاوج الثقافي الحضاري. هذا الأخير - التزاوج الحضاري - الذي يسبقه حتما قابليّة الحوار "فنظرية حوار الحضارات" ^{2*} باتت اليوم نظرية عالمية تحظى باهتمام واحترام وتقدير العديد من أصحاب الفكر والرأي في العالم، لاسيّما المنظرين

¹ التوضيح بالمسرد

² ينظر- سالم العيس، الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، اتحاد الكتاب العرب- 1999م - ص 13.

والمفكرين منهم". وفي هذا السياق لزاما علينا التنويه إلى أنّ جوهر الإسلام قائم على الحوار الذي يركز أساسا على المعاملة مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "الدين المعاملة" ولتحقيقه يستوجب الاقتناع بضرورة التنوع والتعددية والتميزات الفكرية. وبالتالي تأسيس أرضية صلبة تركز عليها الترجمة الأمينة والتي بدورها تضمن الارتقاء بدعائم نهضوية فكرية لمختلف الشعوب. ففي بدايات العصر الإسلامي، أدرك المسلمون ضرورة المسايرة الثقافية لمختلف الأمم، حينها تدفقت الوديان الترجمة إلى النهر العربي. فالترجمة هي الوسيلة المفضلة للتعرف على ما لدى الآخرين من تقنيات وأفكار مفيدة وغنية، وبالمقابل أيضاً لتعريف الآخرين على ما لدى الشعوب، كون الثقافة أخذ وعطاء وليست مسيرة وحيدة الاتجاه، وهي بمجموعها مرحلة متتابعة باستمرار لا بدّ من المرور بها لترجمة وتعريب كل مفيد من علوم وتعليم، ولإثراء اللغة وجعلها في عداد اللغات العصرية بعلومها وآدابها وفنونها وتقنياتها المتعددة. إذ أنّ الترجمة ملازمة لتاريخ الإنسان، لأنّ تعدّد الشعوب واختلاف اللغات التي برزت نتيجة المناخ والبيئة والغذاء والتناسل، أسهم في الحضارة الإنسانية وجعل ظاهرة الترجمة الأداة الوحيدة لسد حاجة التواصل بين البشر فرادى وجماعات وفي كل أنواع التبادل.

لقد عرف الإنسان المتحضّر فضل الترجمة منذ زمن بعيد، فهي الجسر الذي تعبر

عليه ثقافات الأمم فتزيد المعرفة وتعمّق متعة الحياة في التطلع لما للآخر من أفكار وثقافات. وعليه، كلّما تفاعلت الحركة الترجميّة، ازداد توسّع اللغة والفكر وثقافة الأمم وبالتالي احتكاكها ببعضها البعض، لتتشكّل فيما بعد مصلحة مشتركة هي الارتقاء بالحضارة الإنسانيّة. وبالقدر الذي تساعدنا به الترجمة على معرفة الآخر، فإنّها تعيننا كذلك على معرفة أنفسنا من منظار الغيريّة. إذ أنه ومن خلال تعريف الترجمة لنا بالآخر، يمكننا أن نستخلص أوجه التشابه والاختلاف فيما بيننا وبينه، كما أن نظرتنا للصورة التي يرسمها الآخر عنّا، تعيننا على الوقوف عند نقاط الضعف والقوّة فينا. وكما سبق الذكر. — قد لا أعرف مساوئي إلا من خلال نظرتي للمرأة.

ولا مندوحة من الاعتراف أن هناك ارتباط وثيق بين ما تترجمه الأمم من أعمال وبين ما تحرزه من تقدّم وازدهار، وأكثر الشعوب التي تحيا في رخاء وازدهار معرفي، تلك التي تترجم أكثر من غيرها. كما أن للترجمة دورها الأساسي في تطوير المحتوى اللغوي، إذ تدفع اللغة المستقبلية إلى استحداث ملفوظات لم تكن موجودة مسبقا في محتواها، وبقدر اتساع هذا المحتوى اللغوي، تتمكّن اللغة المتلقية من استيعاب المعاني والدلالات للألفاظ المستحدثة. كما أن الترجمة تُعين اللغة المرسلّة على نشر مصطلحاتها وتبيان رقيّها الثقافي. ولا يقتصر تأثير الترجمة على المكوّن اللغوي، بل يمتدّ ليشمل كلّ أنشطة المجتمع بما فيها

الحركات السياسية والاجتماعية التي يعيشها وقتنا الحالي، يتجلى فيها أثر الترجمة للمحتوى الفكري الناجم عن الاحتكاك والتفاعل. فتسهم إسهاما بليغا في بناء حضارة عالمية مشتركة.

هذا لأن الأفكار تلاقت وتلاقحت عبر الجسر الترجمي، لتتولد أفكار ومفاهيم جديدة تدعم البنى الحضارية. فالترجمة توفر العديد من قنوات الاتصال، الحوار، التطلع المفضي إلى إبراز الفوارق التي تميزنا عن الآخر كما تسعى إلى غرس روح التقبل للتعاش مع المجتمعات الأخرى، بعد أن تعزز فينا ضرورة المواكبة الحضارية. أما بالنسبة للنص فإنها تضمن له الخلود والاستمرارية، بدليل أن هناك العديد من النصوص الأصلية فقدت، بينما بقيت ترجمتها إلى اللغات الأخرى، كما هو الحال بالنسبة للمؤلفات المكتوبة باللغة اللاتينية أو اللغات القديمة، وفي ذات السياق علينا التنويه إلى أن اللغة العربية في أمس الحاجة إلى الثبات عند ركائزها وكذلك مواكبة التحديث، هذا لأنها تتهم بالجمود والتقصير ولم تتمكن من حفظ العلوم، مع أنها قامت بتعريب العديد من المعارف الأخرى. يدلي عبد العزيز محمد حسن بقوله " إذ لم يمكن لها - اللغة العربية - قبل الإسلام علم بالمعنى المعروف، ولكنها بشجاعة نادرة وب عقل متفتّح، نقلت لغتها على اليونان والهند، فعربت طبّ أبوقراط وجالينوس وفلك بطليموس وهندسة إقليدس

ورياضيات أرشيميدس... ولم يكتف العرب بما نقلوا، بل أضافوا إليه وأبدعوا فيه وحفظت

العربية هذه العلوم لتنتفع بها الإنسانية طوال حقبة مديدة من الزمن¹

بالفعل لا أحد ينكر دور العرب في التعريب لأمّهات المعارف، لكن هذا لا يعني

أنهم اكتفوا بالتلقّي، وإنما تمحوروا كذلك في دائرة العطاء. ولقد كانت حركتي النقل

والترجمة من أهم محطّات الحضارة الإسلاميّة، بخاصّة بعدما توسّع نطاق أقاليمها، فأولوا

العرب المسلمون أهميّة بالغة للترجمة التي ابتدأت بواكيرها في عهد بني أميّة إذ كان يزيد

بن معاوية أوّل من ترجم كتب الطب والكيمياء.

ولتبيان الضرورة التي نص عليها الإسلام لتعلّم اللغات، فقد روى الترمذيّ بسنده

عن زيد بن ثابت قال: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ وَقَالَ إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنْ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي، قَالَ فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهَا لَهُ... " فكان زيد بن ثابت بن الضحّاك الأنصاري أبو خارجة هو الصحابي الذي

أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بتعلم السريانية حتى يقرأ له الكتب التي تأتيه بهذه اللغة.²

وقد امتدّ المسار الترجميّ إلى عهد العباسيّين وبلغت قوّته في عهد المأمون الذي

بنزغ واشتهر العديد من المترجمين في عصره. كما استعان قبلهم العرب الأوائل في الترجمة

¹ عبد العزيز محمد حسن - اللغة العلميّة في القرن 19 - مجلّة كليّة دار العلوم - العدد 31 - القاهرة - 2004 م - ص 49

² - fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php

بعلماء سريانيين، فارسيين ويهود لنقل مختلف معارفهم " فخلّفت هذه الترجمة حركة علمية واسعة النطاق، استطاع العرب بما عندهم وبما ترجم لهم أن يقيموا حضارة علمية يشهد لها. وكانت الكتب المترجمة في الفلسفة والعلوم والطب والحيوان والفلك والرياضيات ¹"

فعرفت الثقافة الإسلامية حينها تلاخماً عميقاً بين الأقاليم العربية وتراث الأمم المتاخمة لحدود بلدانها، و قد شجّعها على ذلك التعاليم الإسلامية التي لا تعارض لمبدأ التعارف مع الآخر مصداقاً لقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا^ج إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ²﴾ وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " أطلبوا العلم ولو كان في الصين "

وبالتالي عرف العرب أضخم نشاط ترجمي انطلق أواخر القرن الأول الهجري أيام الدولة الأموية، بينما عرفت أوجّها أيام الخليفة العبّاسي هارون الرشيد ومن بعده ابنه المأمون الذي وكل مهام ترأس بيت الحكمة لحنين بن إسحاق الذي أثري اللغة العربية بعدد ضخم جدا من المصطلحات العلمية بترجمتهم للعلوم الطبية المعروفة آنذاك. ولم تتوقّف هذه الوثيرة الفعّالة إلا في منتصف القرن الهجري. لكنّ بعدها انتعشت وازداد توسّع نطاقها بعد أن عني بها أبو جعفر المنصور: " وهو أوّل خليفة ترجمت له الكتب

¹ علي بن الحسن المسعودي - مروج الذهب و معادن الجوهر/ 5 - موفم للنشر- الجزائر - 1990م - ص303

² الآية 13 - سورة الحجرات

من اللغات الأعجمية إلى العربية، ومنها كتاب كيلة ودمنة وكتاب السند هند وترجمت له كتب أرسطوطاليس من المنطقيات وغيرها، و ترجم له كتاب المجسطي لبطليموس وكتاب الأرخميطي وكتاب إقليدس¹

غير أن العرب تَوَانَوْا بعد أن سَمَوْا إلى أعلى مدارج الحضارة، واكتفوا بالوقوف عند سفح جبلها الشاهق للاطلاع على ما بينه الآخر فوق ركائزها الموطدة من قبل العرب الأوائل وأضحوا يميلون إلى السعي وراء البذخ المادي، وانعكس تأثرهم الإيجابي نحو السلبي بعد أن أصيبوا بداء التبعية والتقليد لكل وافد بعد أن خرجوا من دائرة العطاء واكتفوا بالأخذ. فما كان للآخر سوى أن يستلم مشعل الحضارة بشروع الأوروبيين ودأبهم في حركة عكسية، تمثلت في نقل نفائس المعارف الإسلامية التي كان لها بالغ الفضل في إخراجهم من نفق العصور الوسطى الحالكة، فنقلوا علوم الطب، الصيدلة، الزراعة، الحيوان، البصريّات، الكيمياء و الفلك. كما استعانوا بالفكر اليوناني الذي ترجمه وشرحه العرب.

وتوالى موجات الترجمة في القرون التي جاءت بعد اجتهادات الكاهن جيريير دي أوريلياك **Gerber de luriak** الذي انبهر بالتفوق الفكري لدى عرب الأندلس

3 محمد فضل الله - أثر الترجمة في الأخطاء الشائعة في اللغة العربية - أطروحة دكتوراه - جامعة الخرطوم - السودان - نوفمبر 2009 م - ص 85

فنقل نماذج من علومهم أكسبته التقدير الذي أهله لكرسي البابوية، فأسهم في وضع حجر الأساس للنهضة الأوروبية. وتعتبر الأندلس، صقلية، جنوب فرنسا، جنوب إيطاليا ومنافذ الشام هي الأبواب التي دخل منها الأوروبيون و اطلعوا على مكاسب الحضارة الإسلامية وإنجازاتها. كما أتاح الاحتكاك المباشر للطلبة الأوروبيين بالمجتمعات الإسلامية القائمة في هذه المناطق انتقال الثقافة العربية الإسلامية إلى أرجاء أوروبا التي غاصت في بحر الظلمات. في نهاية القرن الثالث عشر، بزغ شعاع الثقافة عند أبواب طليطلة وشق الطريق إلى أنوصل " اللورين **Lorraine**، ألمانيا وأوروبا الوسطى وعبر القناة إلى إنكلترا. وكانت مرسيليا **Marseille** وتولوز **Toulouse** ومونبيلييه **Montpelier** مراكز فرنسية للفكر العربي. وفي شرق فرنسا كان دير كلوني **Clonie** الذي ضمّ عددا من الرهبان الإسبان، مركز إشعاع لنشر العلوم العربية برئاسة بيير لوفينيير **Pierre louvinière** الذي أشرف على أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم. فالعلوم العربية التي دخلت اللورين في القرن العاشر جعلت من هذه المنطقة مركزا للنفوذ الثقافي " بحيث أصبحت لبييجوغورز وكولون وغيرها من المدن أرضا خصبة لنمو المعرفة العربية ومن اللورين انتقلت إلى أجزاء أخرى من ألمانيا ومنها إلى إنكلترا النورماندية¹ "

ولا شك في أنّ أكثر البلدان إسهاما في إيصال التراث الحضاري الإسلامي إلى

¹ fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php

أوروبا هي الأندلس بحكم اتساع مساحتها، وازدهار العلوم و الآداب العربية فيها، واستقطابها لعدد القسيسين والطلبة الذين قصدوها بغية طلب العلم: " فقد تأسست في كثير من المدن الكبرى في الأندلس معاهد عليا يمكن مقارنتها بجامعاتنا في العصر الحاضر، ولا شك في أنها النماذج التي قلدها أوروبا عندما أسست جامعاتها. إذ كان في كل من مدن قرطبة واشبيليا وغرناطة، جامعة تحتوي على أقسام للفلك والرياضيات والكيمياء والطب والحقوق والفلسفة إضافة لعلوم الدين وكان عدد طلابها يبلغ الآلاف وشهاداتها تمهد الطريق للوصول إلى أعلى المراتب. وقد تدفق على هذه المؤسسات

العلمية الكثير من القشتالين وغيرهم من الطلاب الأجانب لا من إسبانيا فحسب بل من أوروبا وأفريقيا وآسيا"¹

وبعد الانحسار الذي شهدته بلاد الأندلس باستيلاء ألفونسو الثالث - ملك قشتالة على مدينة طليطلة بعد انتزاعها من أيدي العرب المسلمين عام 1085م، أمر بترجمة المخطوطات المخبأة في الخزائن والتي كانت تحتوي على ملايين الكتب الأدبية والعلمية والطبية. ولم يكتف بذلك ، بل شمل نشاطه الترجمي المكتبة العامة لمدينة قرطبة التي كانت تحتوي على أكثر من نصف مليون مخطوط عربي بحيث أن فهارسها ملأت

¹Ibid – P 159

مجلدين يحويان أكثر من ألفي صفحة. وقد أُملي تعلق الملك بالثقافات الأخرى، إلى توسيع حركة الترجمة، فأقام لأول مرة في أوروبا، ورشات ترجمية، يتعلم أفرادها اللغة العربية أولاً، ثم يشرعون بترجمة عدد من المخطوطات العلمية الشهيرة من العربية إلى اللغة العامية القشتالية كلغة وسيطة لتتم بعدها صياغة تلك الترجمة باللغة اللاتينية الفصحى، حيث إنها كانت اللغة الرسمية للعلم والكنيسة في أوروبا.

وتذكر كتب التاريخ أن الإسبان بعد سقوط قرطبة، باعوا الكتب إلى الباعة المتجولين، كما باعوا مكتبة طليطلة وغرناطة "وحمل الباعة أحمالهم على ظهور البغال في قوافل طويلة، عبروا بها الهضبة الإسبانية وجبال البرانس، وانتشروا بها في أوروبا يبيعونها للطلبة والمترجمين والدارسين"¹.

" أمّا صقلية فكانت حياة البلاط فيها وبخاصة في عهد روجر الثاني (1130-1154 م) وفردريك الثاني (1194-1230 م) تتسم بالرفاه والأبهة التي قصد بها أن تقارب قرطبة، واتخذ الملكان الملابس وطريقة الحياة العربية، وكان لحكام صقلية النورمنديين مستشارون وموظفون من العرب والمسلمين، وانضم تحت لوائهم علماء من بغداد وسوريا. وقد حرص روجر الثاني على ترجمة أعداد كبيرة من الكتب العربية ومن أشهرها كتاب

¹ نصر الدين البهرة- الحضارة العربية والترجمة - مجلة التراث - اتحاد الكتاب العرب- دمشق- العدد 63 - أبريل 1966
- ص 96

المجسطي والبصريّات المنسوبة إلى بطليموس وكتاب كليلة ودمنة وكان الرحّالة والجغرافيّ

العربيّ الإدريسيّ معاصرا له ، واتخذ من صقلية مستقرا له لمدة طويلة " ¹

فقربه إليه الملك وكلفه بعديد الأعمال المثمرة، وبالفعل أدّى المطلوب خير تأدية."

رسم مجموعة من الخرائط شاملة للعالم المعمور ضمت سبعين خريطة إضافة إلى كتاب

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المشهور بكتاب روجار. ظل الأوروبيون يستقون منه

معلوماتهم الجغرافية مدة طويلة" ². يقول المؤرخ جورج سارتون **George Sarton** كان

أكثر حكام عصره تنورا وقد استطاع أن يجعل من صقلية في مدة قصيرة أرقى وأغنى دولة

في أوروبا ³.

لا مناص من الاعتراف أن أوروبا ارتوت من الينابيع الإسلاميّة، ولا تزال الأبحاث

تتوّه بعمق الأثر الذي بصمته نفائس الفكر العربيّ في النهضة الأوروبية الحديثة. ومن بين

تلك الذخائر الإسلاميّة «كتاب الحاوي للرازي والذي ترجم للاتينية بأمر ورعاية

شارل الأول سنة 1279م ثم انتشر في القرون التالية على شكل مخطوطات لا عدّها

وابتداء من سنة 1486 م أخذ يطبع باستمرار وكان أثره في الطب الأوروبي جد عظيم.

¹ الملا أحمد عياد - أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبيّة - دار الفكر - بيروت - ط 3 - 1417هـ - 1996

م - ص 120.

² عياد كامل - أثر صقلية في نقل الحضارة العربيّة الإسلاميّة إلى الأوروبيين - ضمن أبحاث المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربيّة الإسلاميّة - دمشق - أبريل 1981 - ص 11.

³Published by Williams and Wilkins Company. Baltimore. P 1931 - 339

ومنها أيضا كتاب " القانون " في الطب لابن سينا، والذي عاش مدة أطول من أي كتاب آخر كمرجع أوحده في الطب، وقد وصل عدد طبعاته إلى خمس عشرة طبعة في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن السادس عشر الميلادي وازداد عدد هذه الطبعات أكثر في القرن السابع عشر¹، و قد أسهم هذا الكتاب في وضع حجر الأساس للثورة العلميّة التي تجلّت خلال القرن الثالث عشر.

ولا يقلّ شأنًا كتاب المناظير لابن الهيثم «الذي بنيت عليه جميع دروس وأبحاث البصريّات في القرون الوسطى خصوصا أعمال روجيه بيكون في القرن الثالث عشر، ومنها القسم الخاص بالجراحة من كتاب التصريف لأبي القاسم الزهراوي الذي طبع في البندقية عام 1497 وفي بال عام 1541 وفي أكسفورد عام 1778، وبقي كتابا مدرسيا للجراحة قرونا عديدة في مدرستي سالرنو ومونبيلييه². والرسالة الخوارزمية الشهيرة في الحساب و التي نقلها جيرار دوكريمون إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، فأثرت أيّما تأثير على الرياضيات الأوروبيّة. وبوساطة هذه الرسالة دخلت الأرقام العربية والصفّر وبوساطة هذه الرسالة دخلت الأرقام العربية والكسور العشرية الحساب الغربي كما نقحت جداوله

¹ أرنولد سير توماس -تراث الإسلام - عربيه وعلق حواشيه جرجيس فتح الله - دار الطليعة - بيروت - ط 3 يوليو 1978 - ص 465.

² George Sarton- Introduction to the history of science - Vol 2. Part 1

الرياضية من قبل الجريطي وترجمت إلى اللاتينية عام 1126م¹

وقد أسهمت منافذ الشام خلال الحروب الصليبية في تسريب الأثر العربي الإسلامي إلى أوروبا. ومن كان النظام العلميّ التعليميّ من جملة ما نخله الأوروبيون، أضف لهذا " كيفة تدرّس العلوم، وإجازة الأطباء، وطرق العلاج، والمؤسسات العلاجية، وخاصة نظام المستشفيات (البيمارستانات)². أضف لهذا، أخذت أوروبا عن العرب الصناعات منها صناعة النسيج إلى فرنسا. أمّا عن طريق مراكش - المغرب - فنقلت لأول مرة صناعة الورق إلى إسبانيا في منتصف القرن الثاني عشر ومنها إلى إيطاليا على يد مسلمي صقلية عام 1270 ومن إسبانيا انتقلت هذه الصناعة إلى فرنسا ومنها انتشرت في أوروبا. ولم يقتصر تأثير الثقافة العربية الإسلامية المترجمة على العلوم التطبيقية فحسب ، بل تعدّتها وتجاوزتها إلى استلهام الرؤى الجماليّة النقديّة بفتح سبل النقاش الفكريّ بشتى محاوره، ومنها فلسفة ابن رشد الشارحة لفلسفة أرسطو. كما أثر التوجه العقلاني الذي انمازت به الحياة الفكرية الإسلامية، تأثيرا عميقا لدى الأوروبيين، وانعكس مبدأ الكنيسة (أؤمن كي أعقل) إلى (أعقل كي أؤمن).

¹ Aziz Atiya. Crusade. Commerce and culture. Indiana- university Press Bloomington - 1962

2- أرنولد سيرتوماس - المرجع السابق - ص 508

فما سبق ذكره من أمثلة وغيرها من التي لا يمكن حصرها ولو استجمعناها في
عديد المؤلفات، تثبت لنا أن للترجمة دور جدّ هام في إنارة العقول وتلقيح لأفكار
الشعوب المتباعدة، فتتوحد معرفة إنسانية ساطعة بأشعتها على المستوى العالمي،
ليستفيد الجميع من ثمرات الجهود البناءة والمتضافرة، بغض النظر عن أية نزعة عنصريّة.

الفصل الثاني:

تجليات الثقافة العربية الإسلامية. ثبات وعالمية

المبحث الأول: المنار البياني للقصص القرآني

أ - التنبيه وقوة التأثير.

ب - آراء العرب والغرب.

المبحث الثاني: مكانة الليالي العربية من العالمية

أ - تاريخية الحكايات وعوامل عالميتها.

ب - الليالي العربية أمام المترجم الدولي.

المبحث الأول: المنار البياني للقصص القرآني

أ -التنبيه وقوة التأثير.

ب- آراء العرب والغرب.

«كُلُّمَا ندقق في القرآن نرى كماله وعلوه.. يجذب المرء أولاً ثم يهده ويحيره ويجعله شغوفاً به، يجبر المرء على احترامه وبذلك ترى تأثيره في الأعماق»

ادموند بيرك Edmund Burke مفكر انجليزي

تنوّعت الدراسات وكَثُرَت الأبحاث حول النص القرآنيّ خدمةً له وسعيًا لاكتشاف
ذره النفيسة. فمن مجتهد في تفسيره وباحث في إعجازه ومتخصّص في علومه الفقهيّة،
الصوتيّة، البلاغيّة.... حول كتاب الله تعالى ومع هذا فهو أثري من أن يحيط بوصفه
على الإطلاق اللسانيّ الفصيح والأسلوبيّ البليغ.

فتعدّدت المدارس والاتجاهات لدراسة الإعجاز القرآنيّ، وتباينت الآراء في تحليل
سرّ الإعجاز. ليخلُص معظمهم إلى القول بأن القرآن معجز ببلاغته، أسلوبه، بيانه،
مستوياته الصرفيّة، الدلاليّة..... وبإعجازه العلميّ، الفلكيّ، الغيبي، التشريعيّ.... وكل
مجاميع الإعجاز هذه، تنبع من بوثة قوة التأثير، كيف لا والمصدر ربّاني. فالمحتوى

المعرفي لأي علم من العلوم يركز كلياً على مصدر تلك المعرفة السماوية، ويضطرد معها اطراداً مباشراً؛ هذا لأنه ملّم بكل جزئية في كل العلوم، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ."

وعليه فإن من إيجابيات هذا المصدر المباشر أن المتلقي للمعرفة يشعر بأمن واطمئنان في أنه سيجد الإجابة من هذا المصدر عن كل سؤال يخطر على باله، كالظمان الذي يبحث عن قطرة ماء فيجد أمامه نهراً عذبا ليرتوي منه ¹ يقول الإمام السيوطي: إن كتاب الله تعالى اشتمل على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل، إلا وفي القرآن شرح أفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها ². كما أن كل ما تعسر فهمه على النظر واختلف فيه الجمع، بالمعقول و اللامعقول، فإن رموز ودلالات ما صعب الوصل إليه نجد لها في النص القرآني ، يختص أهل الفهم بإدراكها.. وإلى يومنا هذا ومستقبلا، نبقي نستمد منه الدروس والعبر إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

¹ مبارك محمد علي مجذوب، خلق الإنسان في القرآن - معهد إسلامية المعرفة، جامعة الجزيرة - دار المركز الإسلامي الأفريقي - السودان - 1994م - ص2

²الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين (بيروت: دار الآفاق للطباعة والنشر) 135/3

«فمن ابن عباس - رضي الله عنهما- أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال له: " يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطونه، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله، قال: علمت قريش أني من أكثرهما مالا، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وكاره، قال: وماذا أقول؟؟ فو الله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزة ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه يعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، فقال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر بأثره عن غيره¹ فنزلت الآية الكريمة: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾²

وكمحاولة لمعرفة مدى قوة التأثير للنص القرآني، استخدمت أجهزة المراقبة الإلكترونية لقياس الذبذبات والتغيرات الفسيولوجية لدى متلقين لاستماعهم تلاوات قرآنية... وقد تم تسجيل وقياس أثر القرآن عند عدد من المسلمين الناطقين باللغة العربية وبغيرها للمسلمين وغير المسلمين، فقد تليت عليهم آيات من القرآن الكريم باللغة العربية،

¹ ابن هشام، السنة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط1 (الرياض: دار الفنى للنشر والتوزيع، 1999م)

² سورة المدثر- الآية 11.

بعدها تُلِيَتْ عليهم مترجمة باللغة الإنجليزية، " فأثبتت التجارب المبدئية وجود أثر مهدئ للقرآن بنسبة 97%.. وهذا الأثر ظهر في شكل تغييرات فسيولوجية تشير إلى مستوى تأثر الجهاز العصبي التلقائي. وتفاصيل هذه النتائج المبدئية عرضت على المؤتمر السنوي السابع عشر للجمعية الطبية الإسلامية بأمريكا الشمالية الذي عقد في مدينة سانت لويس، في أغسطس 1984م، ولقد ظهر من الدراسات المبدئية أن تأثير القرآن على التوتر يمكن أن يُعزى لعاملين" ¹

1- صوت القرآن الكريم بملفوظات عربيّة، بغض النظر عمّا إذا كان المستمع غير مؤمن أم العكس.

2- معاني الآيات القرآنية التي تليت، حتى ولو كانت مقتصرة على الترجمة الإنجليزية بدون الاستماع للكلمات القرآنية باللغة العربية.

3- مثل هذا الأمر يحيلنا إلى الرجوع لتلك النظريّة الإعلامية البشريّة والتي مفادها: إن الرسالة الإعلامية ينبغي أن تتجانس مع مستقبلها، وإنها تؤثر على مستقبل معين دون أن تؤثر على مستقبل آخر ذي خصائص مختلفة. إلا أن الإعجاز الإعلامي للقرآن القائم على التأثير النادر يقدم إطاراً من نوع آخر، فهذا الكتاب السماويّ يخاطب كل

¹ - محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمي في الإسلام ، ط2 (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 1993) ، ص 307

البشر، بكلّ مقاماتهم، وبمختلف أحوالهم. فالمؤمن غير المستقر لظرف ما، إذا سمع القرآن يشعر بالسكينة.

والحال نفسه للمتعليم وغير المتعلم، الرجل والمرأة، العجوز الشاب... إلخ.. أي أنهم سيتأثرون حتماً على الرغم من اختلاف لغتهم، ثقافتهم، بيئتهم وحالتهم النفسيّة. " فالقرآن يخاطب في البشر ما لا يعلمه البشر بدقة، ويعلمه الله، فالله - عزّ وجلّ - يخاطب في النفس ملكات يعلمها، وتتأثر به، ونحن نفسر هذه الأمور وفقاً لعلمنا المحدود"¹

انطلاقاً ممّا تقدّم يعتبر القرآن الكريم رسالة تأثيريّة إقناعيّة خاطبت العقل البشري من خلال استراتيجيات مميّزة اكتشفت في الوقت الراهن. وعليه فإنه القرآن الكريم مثلما سبق الاكتشافات العلميّة والفلكيّة الحديثة بآلاف القرون، فإنه قد سبق أيضاً أسس النظريات التأثيريّة بالقدر ذاته.

وفي سياق الحديث عن التأثير والإقناع، يجدر بنا التنويه إلى أنّ محاولة تغيير الحالة النفسيّة للفرد، بإثارة حاجياته، دوافعه أو اتجاهاته، تعدّ من بين نقاط الإقناع. أضف لهذا، إثارة توقعات المستقبل بأن قيامه بسلوك محدّد، سيجنّبهُ مخاطر أو بصفة عامّة سيبعده عما يسعى لعدم الوقوع فيه. أي على المحتوى أن يركّز في هذه الحالة على النتائج غير المرغوبة إذا لم يستجيب المتلقي لتوصيات الرسالة الإقناعيّة. والقرآن الكريم لم يخل من هذه

¹ محمد علي العويني، الإعلام الإسلاميّ الدوليّ بين النظرية والتطبيق، ط2، القاهرة 1986، ص 191

الاستراتيجية، فتضمّن آيات الترهيب والترغيب وهي كثيرة غالبية في النص القرآني عامة والقصص القرآني بخاصّة. ومقصدها استخلاص العبر والزجر من ارتكاب المحذور، أو الحث على امتثال الأوامر، والغاية من هذا صلاح العبد وفوزه ونجاته من النار، قال الله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾¹

وفيما يلي نعرض قبسا من الآيات القرآنيّة والتي نستدلّ بها على سبيل المثال لا الحصر توضيح استخدام القرآن للاستراتيجية الديناميّة، مع بيان تفسير هذه الآيات عند ابن كثير. يقول الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾²

إن الأثر المترتب على إصغاء آدم إلى إبليس هو الشقاء المتمثل في التعب طلبا للقوت الذي يسعى له وحده دون امرأته³. فالرسالة الإقناعيّة في هذه الآيات تخاطبا لاحتياجات بهدف الوصول إلى سلوك عليّ مرغوب فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾⁴

¹ الآية 9-10 سورة الإسراء

² سورة طه الآية 117-118-119

³ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل - بيروت: دار الفكر، د، ت 69

⁴ أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم - دار الفكر - بيروت ، 1412هـ - 1992م - ص -707/2

معنى الآية كما قال ابن كثير: أي لا تحملنكم عداوتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح وهود وقوم لوط. كما احتوى النص القرآني على آية تشمل التأديب، التنبيه و التهديد للمنفعة في الدنيا والآخرة يقول الله تعالى ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾¹

" قال الإمام أبو حامد الغزالي اعلم أني تأملت هذه الآية فإذا فيها مع قصرها ثلاث معاني عزيزة - تأديب ، تنبيه، تهديد -

فأما التأديب في قوله تعالى " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ " فلا بدّ للعبد من الامتثال لأمر سيّده والتأدّب له. فأما التنبيه ففي قوله تعالى " ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ " فالتزكية هي التطهير، فنبّه على أنّ غضّ البصر تطهير للقلب وتكثيف للطاعة والدليل على ذلك أنك إن لم تغض بصرك وأزخيت عِنَانَهُ وتنظر فيما لا يعينك، فلا تخلو من أن تقع عينك على الحرام، فإن تعمّدت فذنب كبير فلربما تعلّق قلبك بذلك فتنهلك إن لم يرحمك الله تعالى². وأما التهديد في قوله تعالى " إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ " فمن الآيات السابق ذكرها، يمكن القول: إن القرآن الكريم يسعى إلى التغيير بالإيجاب في نفسية الفرد من خلال إثارة التوتر

¹ الآية 30 - سورة النور

² <http://www.almeshkat.net/vb/showthread.php>

العاطفي، وفي الوقت ذاته تتضمن التوصيات التي يمكن بمقتضاها تجنّب الفرد مصادر ذاك التهديد.

فتحوّل تلك الأخيرة إلى عادات سلوكيّة تتفق وأهداف القائم بالاتصال، وهو النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا جوهر الاستراتيجية الديناميّة النفسيّة للتأثير فهذه المعايير تؤكد أهميّة احتواء الرسالة الإقناعيّة على ضوابط تتفق مع النمط السلوكي للفرد و المجتمع، " كما ترسم للملتقي حدود الاتفاق أو الاختلاف مع هذه القواعد والمعايير والضوابط، وبالتالي التوقعات بالثواب والعقاب الذي يتمثل في القبول الاجتماعي من الجماعة أو المجتمع"¹

بمعنى أن ما تتطلبه الإستراتيجية التأثيريّة الفعّالة، هو تحديد المتطلبات الثقافية التي تحكم طبيعة العمل والعقليّات للجماعة. هذه الإستراتيجية اقترنت بمعجزات الرسل —عليهم السلام — في القرآن الكريم حيث كانت تتفق مع العادات والأعراف السائدة في مجتمع كل الرسل — عليهم السلام — فتوافق وأهل ذاك الزمان. فلقد كان الغالب على زمان سيّدنا موسى- عليه السلام - السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله تعالى بمعجزات شخّصت الأبصار وأذهلت السحرة، فأيقنوا أنه أمر إلهي حينها انقادوا للإسلام. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ * قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ * فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُخًى * فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ * قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ

¹ محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب القاهرة سنة 2000، ص 326.

اَقْتَرَى * فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَوْا النَّجْوَى * قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكَ الْمُثْلَى * فَأَجْمَعُوا كَيْدَ كُزٍّ ثُمَّ اتُّوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ¹

يُخْبِرُنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَا أُيِّدَ بِهِ كَلِيمَهُ سَيِّدَنَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - يُدْحَضُ بِهِ

سحر التخيل لقوم فرعون، فتحدّاهم بضرب موعد يوم الزينة وهو يوم تفرغهم من الأعمال

فيجتمعون فيه، ليشاهد الجمع قدرة الله - عز وجل - ومعجزاته. وقد عرّف المفكر

الراحل أحمد ديدات أنها " حدث يظهر ويتعذّر تفسيره بقوانين الطبيعة حيث يحمل على

أنه خارق للطبيعة في أصله وهو عمل من الله " ²

ولتكون المعجزة ظاهرة للعيان، ضرب معهم موعداً في النهار، ولهذا قال: وأن يُحْشِرَ الناس

ضحى"، لتكون البينة أجلى وأظهر، وهذا شأن الأنبياء، أمرهم واضح، أمّا فرعون فلمّا

تواعد مع موسى - عليه السلام - إلى وقت ومكان معلوم «فَتَوَلَّى» أَيْشَرَعَ مِنْ مَدَائِنِ

¹ سورة طه: 56-70.

² أحمد ديدات - الاختيار بين الإسلام والنصرانية - تر: أكرم ياسين الشريف - مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض - ط 1، 2008 - ص 204.

مملكته حيث كان السحر مستفحلاً. فاجتمع الناس في الميقات المعلوم، وهو يوم الزينة، وجلس فرعون على كرسيه ووقف له أكابر دولته، بينما اصطفّ الرعايا يمينا ويسارا، فأقبل موسى عليه السلام معه أخاه هارون، ووقف السحرة بين يدي فرعون يحرضهم ويحثهم على إجادة عملهم. ففي قصة سيدنا موسى عليه السلام استراتيجية ديناميّة لنجاح العملية التأثيريّة، التي أُحكمت وفق وأنماط سلوكية لمجتمع كان يؤمن بالسحر ويجلّ السحرة.

أمّا في زمن عيسى عليه السلام فقد بعث في زمن الأطباء والمهتمّين بعلم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيّدًا بالوحي، فما من طبيب له القدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص، أو بعث الأموات !!

يقول الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ¹﴾

يُفسّر ابن كثير: كان سيدنا عيسى عليه السلام يفعل بصور الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير بإذن الله عز وجل، عياناً بياناً، فكانت هذه معجزة تدل على أنه مرسل من عند الله عز وجل.. ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ قيل: إنه الذي يبصر نهاراً ولا يبصر ليلاً، وقيل

¹ الآية 49 سورة آل عمران.

بالعكس، وقيل الأعشى، وقيل الأعمش، وقيل هو الذي يولد أعمى، وهو أشبه لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ معروف.. ﴿وَأُخِي الْمَوْتَى﴾، وهذه معجزة تتجانس والزمن الذي بعث فيه سيدنا عيسى عليه السلام، زمن الطب وأصحاب علم الطبيعة ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن وما هو مدخر في بيته.. وكل هذه آيات تدل لكم على صدق ما جئتم به¹

فالمرامي الثقافية في رسالة سيدنا عيسى عليه السلام تهدف إلى إعادة بناء سلوك اجتماعي بتوجيه عقلائي بالبصر والبصيرة نحو الحقيقة الإلهية من خلال رسائل، وكانت المعجزات الطبية التي جاء بها من عند الله تعالى مسرحة لذلك.

أمّا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد بُعث في زمن الفصحاء والبلغاء والمضاهاة الكلامية بين الشعراء. فكان أول مطلب امتثل له، هو أمر من الله تعالى " اقرأ". وقد انخضع لهذه الكلمة الأعاجم وانبهروا من امتثال إنسان لم يقرأ من قبل قد ساد الدنيا بفضلها. وممن أقرّوا بهذا Jonathon bloom و Shaila S Blair في موسوعة التاريخ الإسلامي من خلال الآيات الأولى من سورة العلق:

«Recite in the name of thy lord who created , created man from

¹ أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير- تفسير القرآن العظيم - بيروت: دار الفكر، 1412هـ- 1992م 364/1

clot. recite in the name of thy lord who taught by the pen. taught man what he knew not ». the knowledge of writing distinguishes man from god's other creature . the importance of writing is stressed throughout the quran¹

فالحرص والتشديد على أهمية القراءة والكتابة وردت في القرآن الكريم بصورة جلية ونزل وفق متطلبات الجانبين - العقلي والبيئي - للمجتمع. أمّا عن الأمر الذي يضمن السيورة والثبات وصلاحيته في كلّ مكان وعبر كافة الأزمنة السابقة واللاحقة أنه أخبرنا منذ قرون مضت بما لمنعلم منه إلا القليل الآن من علوم فلكية وحقائق طبيّة واعجازات بيانيّة عبر سور قرآنيّة تحدّي بها الله سبحانه وتعالى الجن والإنس على أن يأتوا بمثله. قال تعالى ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾²

في هذه الآية تنبيه على تحدّي شرف هذا القرآن العظيم، فأخبرنا الله تعالى مباشرة أنه حتى لو نجتمع مع الجن ونتظاهر على أن نأتي بمثله، فلن نقدر أبداً لأنه كلام الخالق الذي لا نظير له. وقد روى ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير، أو عكرمة عن بن عباس قال: إن هذه الآية نزلت في نفر من اليهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنا نأتيك بمثل ما جئتنا به، فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية³

فالمعجزات الإلهية التي أيد الله تعالى بها أنبياءه، تأتي دائماً متجانسة والنمط الثقافي

¹John L Esposito – The oxford History of Islam – Oxford university press – New York – 1999- P 223

²الآية 88 سورة الإسراء.

³ابن كثير - المرجع السابق، 62/3.

والاجتماعي السائد في زمن كل نبي، وأنزل القرآن ليجمع كل الديانات ويختصّ بالمجابهة والسيرورة عبر كافة الأزمنة.

هذا لأن جميع سوره تحمل الخصائص التأثيرية، سواء من خلال الاستراتيجية الدينامية النفسية، أو الثقافية الاجتماعية، أو إنشاء المعاني...، فالقرآن الكريم رسالة اتصالية تأثيرية صُممت للإقناع من خلال الطرح الإلهي المتكامل، الذي يفرض علينا التبليغ من جديد باستراتيجيات محكمة مبنية على التأثير لنقل المعاني والمضامين بأسلوب مقنع، انطلاقاً من قول علماء الأصول: "ما لا يتم الواجب إلاّ به، فهو واجب."

ب / آراء العرب والغرب.

"حين تقرأون القرآن لمرة واحدة بعناية ودقة، تجدون وتظهر لكم المميزات الخاصة به جمال القرآن يختلف عن سائر الأعمال الأدبية الأخرى...ومن أهم خصوصيات القرآن أنه لم يحرف..فن رأينا أن القرآن من أوله إلى آخره مليء بالصدق والإنصاف..فما بعث به النبي عليه الصلاة والسلام وبلغه، حق وحقيقة"

توماس كارليل، مفكر إنجليزي

مما لا شك فيه أن الفكر الإسلامي أسس ركائز بناءة للعلم الحديث، بعد أن طغت عليه حياة مشوبة بالخرافات، الدجل والأساطير، بما فيها الحضارات السابقة التي لم تتمكن من التخلص منها رغم قوتها، كما أنها لم تمتلك مقومات تأسيس فكر علمي يعتمد على الاستنباط الدقيق للظواهر الكونية والنتائج العقلانية. إلى حين مجيء الإسلام وتقديمه نموذجاً فكرياً يركز على العقل ويدعو إلى التفكير والتأمل في أمور الخلق من خلال القصص القرآني على وجه التحديد.

ولكن بعد أن شهد المسلمون حياة التقدم الفكري واعتبروا منابع معرفية يتشرب منها الآخر في كل المجالات، تراجعوا وتقوقعوا على أنفسهم، وبعد كانوا أمة اقرأ، أصبحوا مؤخرًا قلما تجد فيهم من يقرأ!! فاستغل الآخر الحالة هذه وأقنع المتقوقعين أن التقدم الفعلي يتلخص في نقل وترجمة المعارف منهم فقط مع أن المسلمين هم من أسسوا للعلم الحديث.

وفي سياق الحديث عن العلم الحديث وحيث إن الدراسة ستقارن بين القصص القرآني، الليالي العربيّة ورواية من الأدب الإنجليزي الحديث - هذا الأدب الذي تأثر بالفكر العربيّ تأثراً إيجابياً فإن الطرح يملي علينا التطرّق لآراء العرب الحدّاث ومواقفهم ممّا حاولنا استخلاصه من العبر المستخلصة من القصص القرآنيّ. فوجدنا بعض من المشاركة في حالة اجترار لما شكّك فيه بعض المستشرقين. فكان من بين الشبهات التي ألصقوها على النص المقدّس والقصة على وجه التحديد هي ظاهرة التشابه، التكرار، التقليد للكتب السماوية الأخرى.

يقول محمد خلف الله "لماذا كرّر القرآن قصص آدم ونوح وهود ولوط وصالح وشعيب، وغيرهم من الرسل والأنبياء؟ إن الوقوف على تاريخ كل واحد من هؤلاء قد يكفي فيه إيراد القصة الواحدة في الموطن الواحد، وليس يلزم أن تكرر القصة في أكثر من موطن من مواطن القرآن؟"¹

مثل هذا الأمر، أوقع محمد خلف الله في شبهة أسطوريّة القصص، كما قاس القصة القرآنية على القصة الأدبيّة. إذ يرى أن مقياس صدق القصص القرآنيّ والضابطة الرئيسيّة هي اليهود والأخبار. يقول "وتاريخ هذه المسألة إنّما يرجع إلى البعثة المحمديّة أو قبله بقليل،

¹ محمد أحمد خلف الله - الفن القصصي في القرآن الكريم - سينا للنشر القاهرة - ط 4 - 1999 - ص 62

ذلك أنه يرجع إلى ذلك الرأي الديني الذي كانت تقول به اليهود والذي يجعل لهم الحق في معرفة الصادق والكاذب ممن يدعون النبوة ويذكرون للناس أن الوحي ينزل عليهم من السماء، كان من مقاييس هؤلاء في التفرقة بين النبي والمتنبئ، أنّ النبي يعلم الغيب، وأن من علوم الغيب معرفة أخبار السابقين من الرسل والأنبياء، ومن خفيت على الناس أمورهم¹

هذا التشكيك، سوى ليقينهم فيما طرحه بعض المستشرقين من شبهه أن محمد - صلى

الله عليه وسلم - نقل عن السابقين من أهل الكتاب معارفهم، وقد أدلى بهذا مارتن لينغز

² « Muhammad his life based on the earliest sources »

ثم يذكر حادثة الضر بن الحارث التي يذكرها النيسابوري في أسباب النزول، فيقول: (على أن القرآن نفسه اعتمد على هذا المقياس في الإيحاء بنبوة محمد عليه السلام، وصدق رسالته حين ختم بعض الأقايصص القرآنية بآيات يستفاد منها أن الأخبار الواردة في هذه الأقايصص من أنباء الغيب وأنها قد أوحيت إلى النبي عليه السلام. قال تعالى: ﴿ ذَلِكْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَاهُمْ أَيْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾³

¹ المرجع السابق، ص 51.

² عبد النبي اصطيف - صورة محمد - ص - في الكتابات الأنجلوأمريكية - منشورات الهيئة العام السورة للكتاب - وزارة الثقافة - دمشق - 2008 - ص 41.

³ الآية 44 سورة آل عمران.

والظاهرة التي يحسن الالتفات إليها في هذا المقام، هي أن القرآن الكريم حين جعل هذه الأخبار من علامات الرسالة السماوية ودلائل النبوة، جعلها أيضاً مطابقة لما في الكتب السابقة أو لما يعرفه أهل الكتاب من أخبار حتى ليخيّل إلينا أن مقياس صدقها وصحتها من الوجهة التاريخية ومن وجهة دلالتها على النبوة والرسالة أن تكون مطابقة لما يعرفه أهل الكتاب من أخبار " .

لقد تداخلت مقاربات، بقدر ما خدمت النصوص وأسدت إليها جمالية في التلقي فإنها في الوقت ذاته أحدثت تناقضات وجدلا قائما في الذات المعرفية نفسها.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾¹

الأمر الذي يوضح لنا بجلاء أن هناك كثير من العرب لا يشككون في حaxامات اليهود والنصارى وينصتون لهم. كما يدلي خلف الله إلى أن قصص بعض الأنبياء كانت معروفة ومشهورة في الجزيرة العربية، منقولة بالتواتر مستشهداً بكلام الرازي في تفسيره الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾²، من أن " إطلاق الرؤية ههنا على العلم، وذلك لأن أخبار عاد

¹ الآية 94 سورة يونس

² الآية 6 - سورة الفجر

وثمود وفرعون كانت منقولة بالتواتر.... وهذه المعرفة تجعل من غير شك أمثال هذه الأخبار

غير صالحة لأن تكون مواطن التحدي أو دليل الأعجاز"¹

مع أن قصص الأنبياء التي تحدّث عنها أخبار اليهود محرّفة وبها تدنيس كبير لمقام الأنبياء، الأمر الذي سبّب تحريفات وتزييفات. فجاءت القصة القرآنيّة لتكشف عن الحقائق وتجلي السواد عن الوقائع بما يحفظ مقام الأنبياء - عليهم السلام - ويثني عن جهودهم في نشر التوحيد.

كما حاول خلف الله أن يفصل بين المقصد القصصي والحدث التاريخي في القرآن، بعدها أكّد أنّ القصص القرآنيّ إنّما غرضه أمر آخر يوثّقه بقوله "إن أسلوب القرآن في عرض المواد القصصية الجزئية كان أسلوباً أدبيّاً يخضع لمنطق العاطفة والوجدان... ويضيف إن المسألة في القصة القرآنية هي بعينها مسائل الصور البيانية من مجاز وتشبيه واستعارة، وكناية. الخ. وأنها من هنا لا توصف بتصديق ولا بتكذيب، وإنما هي العرض الأدبي الذي يهز العاطفة ويستثير الوجدان."²

وكان أساسه في هذا الحكم الذي يضع أمام المتلقي علامات من الاستفهام والتعجب، أن هناك من القصص القرآنيّ ما تحدّث عن شخصية واحدة مكرّرة بأساليب

¹ محمد أحمد خلف الله - المرجع السابق - ص 69.

² المرجع نفسه - 169.

مختلفة!!! بل ويواصل في أباطيله مؤكداً " إن القرآن يجري في فنه الأدبي البياني على أساس ما كانت العرب تعتقد وتتخيل، لا على ما هو الحقيقة العقلية، ولا على ما هو الواقع العملي"¹. إنه لزعم باطل وأحكام واهية لا تمت بصلة عقلانية ولا بنزعة عقائدية، إنما الأمر يعكس أن هذه الذات اللامعرفية غير مؤصلة بل متفوقة في ترهات شخصية.

كلّ هذه الأحكام و غيرها عن القصص القرآني التي زعمت أنها أساطير تملي على المتلقي الرجوع لقول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ⁴¹ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ⁴²﴾²

فالقصاص القرآنيّ صادر من كتاب سماويّ حق، كما أن من معانيه «الفرقان» أي به

نميز الحق من الباطل. كما أتهمني على حقائق قصصية ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾³.

إن القصة القرآنية أوضحت بجلاء مراحل التطور البشريّ المرفقة برسالات سماوية، جعلها

الله تعالى مصدرا لتعلّم الجاهل، تنبيها للساهي، عظة للبيب وعبرة للحكيم. فالقصاص

القرآنيّ مفتاح للعلوم الإنسانيّة التي فضلنا الله تعالى بها فأورثنا رحاب الأرض.

ومن الآراء العربيّة السلبيّة – التي نأخذ بها لجسّ النبض الفكري في العالم العربيّ

ونقابل بالبيان بما يضحضها- استوقف الطرح كذلك عند محمد شحرور الذي شكك في

1-المرجع السابق- ص 87.

² الآية 41- 42 سورة فصلت.

3- الآية 13 - سورة الكهف.

القصص القرآني من جهة ودعا إلى عصرنتها من جهة أخرى، ورؤيته للسنة أنها مجرد اجتهد لتطبيق حدود الإسلام وفق ما تتماشى به بيئة شبه الجزيرة العربية، وبالتالي فإن السنة غير ملزمة ببقية الشعوب!! وقد رأى أن من بين أساسيات القراءة المعاصرة للقصص القرآني، التأكيد على التحليل اللغوي لألفاظ القرآن الكريم ورفع الأيديولوجية النصية عنه.

يقول: " انتهينا إلى أن القصص القرآني حق وموعظة وذكرى، ولكنه لا ينشئ أحكاماً شرعية ملزمة على وجه التعيين تضبط السلوك الإنساني في مجال افعل أو لا تفعل وقادنا هذا إلى جملة من أخطر الأسئلة التي اعترضت وما زالت تعترض الفكر الإسلامي خلال تاريخه وخصوصاً في الفترات التي نعيشها الآن: هل قوانين الشريعة وأحكامها من السنن الإلهية الثابتة؟ أم أنها تخضع لسنن التاريخ وتطوره؟"¹

فالكاتب قرّن القصص القرآني بالأشخاص الذين دارت حولهم الأحداث وانحصرت بذاك الزمن ولا يمكن لها أن تكون مصدراً للتشريع. ومنشئ هذه الشبهة، تأييده لما طرحه المستشرق تيودور نولدكهو محمد أركون، وعبد الكريم سروش.

كما امتدّ هذا التشكيك للثوابت الإلهية للباحث والمفكر السوداني محمد أبو القاسم حاج احمد الذي دعا إلى الاكتفاء بالقرآن وحده، على أساس أن محمد صلى الله عليه وسلم

¹ محمد شحرور - القصص القرآني - قراءة معاصرة - المجلد 1 - مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة - ط 1 - 2010 - بيروت لبنان - ص 22

نهي عن تدوين الحديث مستندا في هذا على ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن ومن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحاه » وقد علل أبو العيينة نهي الرسول ﷺ عن كتابة الأحاديث خشية اختلاطها بالقرآن ولكن الأمر أخطر من ذلك، فالنهي يراد به الحفاظ على أحكام القرآن و عدم التذرع بالسنة، كما تذرعت اليهود بالتلمود لنسخ التوراة¹ وكأن الكاتب هنا ينكر ما أتى به ﷺ لأنه لا يصدق إلا بالقرآن.

وأوقعه تأثره العكسيّ بمتظاهرات الحداثة في دائرة لولبية بخطّ مُنافٍ لمسارنا المشروع الذي عهدناه بالفطرة ومنه ما كان بالاجتهاد. فنفي أن يكون لسيدنا نوح - عليه السلام - ذرية، وأن خطابه "يا بني" ، ليس ابنه بل هو ابن خطيئة لأنّه من زوجة مضلّة و عليه حرّم التبني و بين مساوئه مستندا كذلك إلى قصّة سيدنا يوسف - عليه السلام - وزليخة التي تبنته بعدها راودته عن نفسه وهما ببعضهما. أمّا عن قصّة سيّدنا إبراهيم - عليه السلام - فيرجح بأنّ التركيب الذهني لسيدنا إبراهيم - عليه السلام - هو الذي جعله يعتقد أن الله تعالى يريد منه ذبح ولده نتيجة ممارساته اللاشعورية للأشياء. زاعما أنّ التراكم المعرفيّ لخليل الله عز وجلّ، هو الذي أوقعه في دوامة من الشبهات، لأن الوحي لا يكون إلا في يقظة.

¹ محمد أبو القاسم حاج أحمد - استيمولوجيا المعرفة الكونية - دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ط1-

فالكاتب حاول التفقه عن دون قاعدة وتشعب في متاهات قبل تحصين الثوابت. وحلل

قصص الأنبياء- عليهم السلام- وفق رؤيته المغشاة بسلبيات الفكر الحديثي، فيصبح الطرح

ملزماً باستحضار قول الله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾¹

ففي هذه الآية حجة الاستناد والأخذ من السنة، لأن العقل قد يقصر عن بيان الآيات القرآنية وتفسيرها. إن ما سبق ذكره من آراء تعتبر انتهاكات مسعورة للنيل من القرآن الكريم، وأمام ما هو متداول بين المجتمعات العربية أن مثل تلك الحملات عهدناها من المجتمعات الغربية، لكن الظاهر أن مضامين القرآن الكريم أربكت مستضعفي الفهم وادّعوا تفسيره بعض من العرب والغرب. لكن وحيث إنه الحق فإن الله تعالى يؤيده بمن ينصره بشاهد من أهله وغيرهم. إذ نجد المستشرق "شيبس": «يعتقد بعض العلماء أن القرآن كلام محمد، وهذا هو الخطأ المحض، فالقرآن هو كلام الله تعالى الموحى على لسان رسوله محمد. وليس في استطاعة محمد، ذلك الرجل الأمي في تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء ويهدي به الناس من الظلمات إلى النور. وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي بهذه الحقيقة. لكن لا تعجبوا فإني درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية والنظم المحكم، وتلك البلاغة التي لم أر مثلاً قط، فجملة واحدة تغني عن مؤلفات»². الأمر الذي يوضح أن الغربي انبهر أمام الرسالة الإلهية بما حوته من إعجاز شامل ولم يجرأ على تحدي نظمها، بلاغته ومعانيه. كما رضح لهذا الإعجاز الباحثة

¹ الآية 7 - سورة الحشر

² محمد أمين حسن محمد بنى عامر- المستشرقون والقرآن الكريم - إربد: دار الأمل ، 2004م. - ص 223. - نقلاً عن محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني. سيرة سيد المرسلين - دار نهضة مصر، القاهرة - ص 18 - 19

والمستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري **Laura VecciaVaglieri** " كيف يكون هذا الكتاب المعجز من عمل مُحَمَّد وهو العربي الأمي؟. وعلى الرغم أنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم دعا خصوم الإسلام إلى أن يأتوا بكتاب مثل كتابه، أو على الأقلَّ بسورةٍ من مثل سُورِهِ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ٢٣. وعلى الرغم من أنَّ أصحاب البلاغة والبيان الساحر كانوا غير قلائل في بلاد العرب، فإنَّ أحدًا لم يتمكَّن من أن يأتي بأيِّ أثر يضاهي القرآن¹. واتسعت دائرة الإنصاف الاستشرافي لتصبح فضاء عمَّ عديد الدول الغربيَّة من ألمانيا، إيطاليا، سويسرا، إنجلترا، فرنسا وأمريكا. فراجع عن الإسلام العديد من الأعلام الذين أشهروا عن اعتناقهم به. ومن الاستزادة النيرة أن نتطرَّق لبعض من هؤلاء الأعلام، إنصافا لحقَّهم ومحاولة لإثبات مصداقيَّة إيمانهم به. فكان من بينهم السويسريَّ جون لويس بوركهارت **J. L. Burckhart** الذي اعتنق الإسلام سنة 1809 وغيَّر اسمه إلى ابراهيم بن عبد الله، ما لبث حتى حج سنة 1814م وأقام بمكة ثلاثة أشهر، عاد بعدها إلى القاهرة، وتوفي فيها، ودُفِن في القرافة الكبرى بسفح المقطم، وكتب على قبره: هذا قبر الشيخ إبراهيم المهدي بن عبد الله بركهت اللوزاني، وله من المؤلَّفات العديدة منها الرحلة إلى بلاد الشام، وقد طبع في لندن سنة 1814، ورحلة إلى الجزيرة العربية (لندن 1829) وسجلات أسفار في الشرق الأدنى، والاتصال بالبدو الوهابيين (لندن 1831) وكتاب الرحلات النوبية وغيرها، وقد وقف ما كان لديه من مخطوطات على مكتبة جامعة كمبردج،

¹ لورا فيشيا فاغليري - دفاع عن الإسلام- تز: منير البعلبكي- دار العلم - بيروت - ط 5 - 1981 هـ. - ص 57 - 58.

وكان ما يزال بعض مخطوطاته لدى ابن أخيه جاكوب بوركهارت رئيس قسم العلاقات الدولية في وزارة الخارجية السويسرية سابقاً.

كما أن هناك من المستشرقين من أحدث إسلامهم ضجة كبيرة لعلو درجتهم العلمية ومكانتهم المرموقة في المجتمع. منهم اللورد هيدلي الذي أدى فريضة الحج وفي طريقه استدعي من قبل مشايخ الأزهر برئاسة الشيخ عبد الغني محمود شيخ علماء الإسكندرية آنذاك. ومما أورده عن سبب إسلامه " عندما كنت أقضي - أنا نفسي - الزمن الطويل من حياتي الأولى في جو الكنيسة كنت أشعر دائماً أن الدين الإسلامي به الحسن والسهولة، وأنه خلو من عقائد الرومان والبروتستانت. وثبتني في هذا الاعتقاد زيارتي للشرق التي أعقبت ذلك، ودراستي للقرآن الكريم، ويقول: "فكرت وصليت أربعين سنة كي أصل إلى حل صحيح.

ويقول: أنه إذا أصبح كل فرد في الإمبراطورية الإنجليزية محمدياً حقيقياً بقلبه وروحه لأصبحت إدارة الأحكام أسهل من ذلك، لأن الناس سيقادون بدين حقيقي"¹.

والحال كذلك نستجليه مع الفونس دينيه **Alphonse Dinnet** أو ناصر الدين

ولد في باريس 1861 وأعلن إسلامه رسمياً بالجامع الجديد بمدينة الجزائر سنة 1927م في اجتماع حافل، وطلب أن يدفن في قبره مسلماً حنيفاً، وهو القبر الذي شيّده لنفسه في

¹ - <http://montada.echoroukonline.com/showthread.php?t=376453>

مدينة " بوسعادة " بالجزائر، " وذكرت صحيفة الأهرام في تلغرافاتها الخصوصية أنه ينقل إليها من فرنسا وفق وصيته، ويقول إنه لم يُسلم لطمع، أو مغنم إنما أسلم إرضاء ليقينه وضميره، وأنه ناقش الطاعنين للدين فخرج من دينه إلى ناصر الدين وكان حجه سنة 1928 ووفاته سنة 1929م رحمة الله تعالى عليه ¹

أمّا عن العالم و الفيلسوف الأمريكي رينيه جيتو **Reneh Jit**، أو الشيخ عبد الواحد يحيى فقد حرّك ضمائر الأمريكيين والأوروبيين للاهتمام بالإسلام فاعتنقوه واقتدوا به، يقول السيد محمود سالم في مجلة المنار عنه قال: " قصدت مدينة بونتارليه لمقابلة د. جرينيه المسلم الفرنسي الشهير الذي كان في السابق عضواً في مجلس النواب، قابلته لأجل أن أسأله عن سبب إسلامه، فقال: إني تتبعته كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية، والتي درستها من صغري وأعلمها جيداً، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأني تيقنت أن محمداً صلى الله عليه وسلم أتى بالحق الصّراح من قبل ألف سنة، من قبل أن يكون معلّم أو مدرس من البشر ²

* مازمادوك وليم بكتول مستشرق إنجليزي ولد في لندن سنة 1875م " ولكنه لم يتابع

¹ زينب عبد العزيز- " محاصرة وإبادة - موقف الغرب من الإسلام " ، ص:40

² السيد محمود سالم، مجلة المنار، مجلد 14، ص518،

تعليمه نظراً لضعف صحته، تعلم الفرنسية في نيوشاتل، كما تعلم الإيطالية والألمانية والإسبانية، فتوجه إلى سورية حيث تعلم العربية، ودرس عادات المشرق، وأعلن إسلامه حوالي سنة 1918م، ثم دُعِيَ إلى الهند حيث تولى رئاسة تحرير صحيفة "حديث بومباي". وفي سنة 1927م أصدر مجلة الثقافة الإسلامية في بومباي، ومن مصنفاته في العربية: الثقافة الإسلامية و ترجمة معاني القرآن "وكان بكثول قد تولى منصب إمام المسلمين في لندن إلى أن توفي سنة 1936م".

* **فريدرش كرنكوف** **Fidrich Krenkov** من مواليد 1872 في شنبرج شمال ألمانيا لقّب نفسه ب **محمد سالم الكرنكوي**. تعلم عدة لغات من بينها الفارسية، وفي عام 1892 انتقل إلى برلين حيث التقى المستشرق **كارل إدوارد ساخاو** **Karl Eduard Sachau**، " وبعد سنوات رحل إلى بريطانيا حيث تجنس بجنسيتها، وما لبث حتى أنشأ مصنعاً للملابس في ليستر، وكان المستشرق **سير تشارلز ليال** **Sir Charles Lyall** يحثه على تعلم العربية والفارسية، فحقق عدداً من المخطوطات، لا سيّما بعد اتصاله بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند، واعتنق الإسلام لما وجدته فيه من أسباب القناعة والإقناع، وسمّى نفسه محمد سالم، وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وكانت وفاته سنة 1953م، ومن أشهر أعماله الأصمعيات بشرح ابن السكيت، وديوان أبي دهب

الجمحي، وكتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني، وكتاب المجتبي من المجتبي لابن دريد، وكتاب التيجان في تواريخ ملوك حمير وغيرها كثير¹

فلا مندوحة من الاعتراف بالفضل الكبير للمستشرقين في فهرسة وتبويب عديد الكتب وتنقيحهم لكل الدراسات الوافدة إليهم، هذا لتمكّنهم من الطرق العلميّة المنهجية في البحث وتعلقهم النزيه في استقطاب المعارف، أضف لهذا الدأب والصبر والتمحيص في تلمّس القضايا الفكرية وهذه المزايا تعكس رقي الضمير المعرفي.

لكنّ بين ما أثرى به المستشرقون - السابق ذكرهم - الثقافة الإسلامية بمدى تأثيرهم بالإسلام و تفاعلهم معه لدرجة يفاخر بها العربيّ المسلم في كلّ ومان ومكان، بينما البقية المتعصّبون أمثال الألمانيّ جوزيف شاخت J. Schacht والفرنسيّ بلاشيرو Blachiro

والألمانيّ اليهوديّ غوستاف فون غرونباوم Gustave Von Grunbaum وغيرهم لا يسع المتلقي سوى أن يتخذ حذره أمام كلّ وافد أيّا كان مصدره، وأن يقتني النافع منها وأن يتفطنّ إلى نقاط التحريف كي يتفادها ويردّ عليها. هذا لأن الساحة الفكرية يلج إليها أناس لهم دور سياسيّ بارز يخوّل لهم فرض أفكارهم ونشرها، والأمثلة عن هذا كثيرة لا يسمح المجال بذكرها كلّها، بل الواقع يفصح عنها، يكفي الطرح فقط بذكر وزير

¹ موريس بوكاي - دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة - دار المعارف - ط 4 - القاهرة - 1977 م -

المستعمرات البريطانية أو مسي غو Omsepe Goo.

مع هذا، فاعتناء المستشرقين بترجمة القرآن الكريم بطريقة تراوحت بين التصرف، الخطأ وتأدية أمانة الرسالة النصية وخصوصا القدسية منها. قوبلت بالمدح والقدح، الاتهام والإنصاف، تبقي الساحة المعرفية في أمس الحاجة لمزيد من الاجتهاد في حق الشهادات التي رافعت عن الإسلام والثقافة الإسلامية. هذا الأخير - الاجتهاد - من شأنه أن يثري مسار الثقافة ويوطد جسر الدراسات المقارنة المفضية حتما إلى السمو للنقاش والحوار بأسلوب حضاريّ يعكس صورة المجتمع أمام الآخر كيفما كانت، مادام الأمر متوقف على ما يصدر من ذات الفرد المثقف، فإن أساس أيّ جسر معرفيّ يُبنى على مقومات ومبادئ كل أمة تعد هي المسؤولة عن ابداء صورتها للغير وعن رفعة مكانتها ويتوجب عليها المحافظة على ما حققه أسلافهم والسعي للمضيّ قدما على خطى سابقهم وهذا ما يخلق وصلة وطيدة بين الأصالة والمعاصرة.

المبحث الثاني: مكانة الليالي العربية من العالمية

- أ- تاريخية الحكايات و عوامل عالميتها.
 ب- الليالي العربية أمام المترجم الدولي.

كيفما كان مدخلنا للحديث عن ألف ليلة وليلة وأنّى سار بنا البحث والتقصّي عن إرهاصاتها، لا بدّ من الاعتراف أنه وعلى الرغم من تعدّد الدراسات التبوغرافية واختلاف وجهات نظر الباحثين عنها. فإن الحكمة المستنبطة منها هي واحدة «بقوّة العقل نتحكم في حضارة القوّة» كيف لا والمملك شهريار في الليالي العربية أبي إلا أن يُصغى لحكايات امرأة في سن السادسة عشر وهو ملك متجبر متغطرس، بعدما اكتشف خيانة زوجته، كما تأتمر بإمرته كلّ الجيوش، وما كان ليحدث هذا لو ما كان لسان شهرزاد ترجمانا لعقلها.

وامتدّت تمظهرات تلك القوّة العقلانية لليالي الخالدة عن طريق الترجمات والنقل لكافة ربوع العالم، فعُني المستشرقون بدراساتها في القرن الثامن عشر كما اجتهد العرب القدماء، الحداثي والمعاصرين بتبيان معالم السرد الغرائبي فيها. ومع هذا فإن كل إجابة عنها تفضي بالمتلقي إلى طرح تساؤلات أخرى، الأمر الذي يجعل الدراسات عنها حتى وإن كانت متداولة فإنها تبقى ولادة. من جملة ما تكرر طرحه على الساحة الفكرية من دون التوصل

إلى إجابات قطعية: هل هذه الذخيرة الفكرية أجنبية تمت ترجمتها إلى اللغة العربية؟ أم هي من نتاج العرب وترجمها الآخر عنهم؟ هل تعدّ من السرود الشفهية المدونة، أم من السرود المؤلفة المكتوبة؟ وما هي هويتها الأصلية؟ إن كانت عراقية لأن شهرزاد وصفت بدقة أسواق بغداد، فكيف نبرّر فارسية المسميات للشخصيات البطولية فيها؟ شهرزاد، شاه زمان، شهریار، دنیازاد...!! أم هي مصرية؟ هندية؟؟

ما لا يمكن نكرانه هو أن الباحثين عن كلّ ما تعلق بألف ليلة وليلة، إرهاباتها، عوامل عالميتها، حقيقة السرد الغرائبي فيها، ولماذا قدّر لها أن تكون لف ليلة وليلة...؟؟ قد اجتهدوا أيّما اجتهد وتقصّوا البحث في الجزئيات والكتليات إنصافاً للمقام الذي حظيت به. فكان من بين المستشرقين إدوارد وليام لين، سلفستر دو ساسي، دير لاين، دنكان مكدونالد ، آدم ميتز وفون هامر، ناهيك عن الموسوعات العالمية . كما عني بها عديد الكتّاب العرب الحداثي والمعاصرين من مختلف الأقطار العربية، نجد منهم محمود تيمور، محمد مفيد الشوباشي، فاروق خورشيد، سهير القلماوي ، أحمد الشحاذ، بيومي السباعي، منير علكي، صلاح الدين المنجد، فاروق سعد ، وهلال ناجي، ومحسن مهدي، فريال غزول، عبد الله إبراهيم، عبد الملك مرتاض، عبد الواحد شريفني وياسمين فيدوح وغيرهم. حاول كل من هؤلاء الكتاب والباحثين الإجابة عن تلك الأسئلة وبالأخص في

كتاب إشكالية الترجمة في الأدب المقارن ألف ليلة وليلة نموذجاً باسمين فيدوح، توصلت إلى نتائج أكثر دقة باعتمادها على الجزئيات. ويبقى المتلقي بين القبول الكلي أو الجزئي بحسب طريقة تلقيه وفهمه للنص.

ووجدتُ أن الطرح الذي بين أيدينا لا يزال يجد مَسُوغاً لوقفة للإدلاء بالرأي الخاص بعد الاطلاع على كتاب إشكالية الترجمة في الأدب المقارن للدكتورة باسمين فيدوح والحدو بما اقتدى به الأستاذ سامي مهدي المتقني لأثر محسن مهدي الذي عمل على استنطاق النصوص القديمة وبناء تصوّر مبدئي عن المصدر الأصلي للكتاب. ولعلّ أقدم ما وصل إلينا من هذه النصوص " أوّلها للمسعودي صاحب كتاب مروج الذهب، وثانيها لابن النديم صاحب كتاب الفهرست، وثالثها لأبي حيان التوحيدي صاحب كتاب الإمتاع والمؤانسة "¹. وما يجدر التنويه إليه أنهم قد عاصروا بعضهم البعض خلال القرن الرابع هجريّ. فالمسعودي من أصل عراقي بابلي كما ذكر في مروجه، وجاء في بعض المصادر أنه رحل إلى مصر وأقام بها. ²ولكن ابن النديم ذكر في 'الفهرست' أنه من أهل المغرب. ³

¹ألف ليلة وليلة قراءة في تاريخ ' الأم القديمة ' وهويتها. سامي مهدي <https://majalatalandalus.wordpress.com/>

²المرجع نفسه.

³ابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق- الفهرست- تحقيق رضا - تجدد المازندراني طهران-1971 - ص 171

وفي كلّ الأحوال أيّا كانت جنسيّته فهو عربيّ امتدّت رحلاته من المغرب إلى الصين قبل ابن بطوطة. أمّا ابن النديم فقد ولد، حسب بعض المصادر عام 297هـ. " ويرى محقق كتابه "رضا تجدد المازندراني أنه شرع بتأليف كتابه عام 340هـ وفرغ منه عام 377هـ وتوفي كما يذكر الصفدي والذهبي والمقريزي عام 380هـ " وأما التوحيدي فقد ولد عام (332هـ) أو (335هـ) ونشأ في بغداد، وقصد الصاحب بن عباد في الري عام (367هـ) ثم انكفأ عائداً إلى بغداد عام (370هـ) وألف الإمتاع والمؤانسة عام (374هـ) وكانت وفاته في شيراز عام (414هـ) حسب محقق كتابه: الرسالة البغدادية " ¹.

وعليه يفترض أن نأخذ بكتاباتهم كمصدر موثوق به في التحقيق عن الليالي الخالدة هذا لأن معلومات المسعودي وابن النديم والتوحيدي واردة من نفس الحقبة الزمنية - القرن الرابع الهجري- وهي أقرب إلى زمن تأليف كتاب ألف ليلة وليلة أكثر من غيرهم. والمتلقّي لكتابات المسعودي وابن النديم يستشفّ أن الناس أولوا اهتماماً كبيراً بالقص، فازدهر وشاع خلال القرن الرابع الهجريّ، إذ ظهرت آنذاك كتب قصصيّة منها المؤلف والمترجم. لقد ذكر ابن النديم في فهرسته عشرات الأسماء منها وقام بتصنيفها حسب

¹ أبو حيان علي بن محمد التوحيدي - الرسالة البغدادية - تحقيق عبود الشالحي - منشورات الجمل كولن ألمانيا 1997 -

موضوعاتها والأمم التي صدرت عنها. وعليه ليست ثمّة صلة بالشكّ في أن ما ذكره ابن النديم من كتب القصص السمرية أو ما ترجم منها كان قد دوّن في القرنين الهجريين الثاني ومجئ الإسلام لتنصبّ في قالب الوعظ والإرشاد، إلا أنّها عدلت عن هذا الأمر نوعاً ما ومالت إلى المؤانسة والإمتاع والشغف لمعرفة أخبار الأمم السابقة، وصار هذا هو مبتغاها الثالث. إذ لم يتوقّف شغف القص والسمر لدى العرب منذ الجاهلية. بيد أنّها تحوّلت بعد الأساس منذ العصر الأموي، - أي منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري في الأقل - وبناء على ما تأسّس، يجوز التصريح بأن حكايات ألف ليلة وليلة ظهرت في حقبة كان القص فيها الشغل الشاغل لعامة الناس بمختلف الطبقات الاجتماعية. وسيقوم الطرح بتبيان ما أغفل عنه مسبقاً - سوى لأن بحر السحر الشهر زادي ما يكاد يأخذ بالباحث عند شطّ فإذا به في شط آخر - فكلما يخلص بأجوبة حول تقدير الليالي بألف ليلة وليلة، تظهر احتمالات تغنيا عن النتيجة المتوصّل إليها مسبقاً. والدليل وجود أكثر من كتاب يحمل عنوان ألف ليلة وليلة منها " ألف خرافة، ألف ليلة، ألف سمر.." قال مسعودي يتحدث عن كتاب اسمه هزار أفسانة ويقول عنه أنّ الناس أسموه ألف ليلة.

أما ابن النديم فيتحدث هو الآخر عن كتاب سماه هزار أفسانة أي الألف خرافة.

وصلة وثيقة بين المصطلحات ومضامينها لدرجة عسرت درء التداخل بين ما ذكر سابقا، «وينبئنا بأن ابن عبدوس الجهشياري عزم على تأليف كتاب يضم ألف سمر من أسرار العرب والعجم والروم . ولكن المنية عاجلته فلم يجمع له سوى أربع مئة وثمانين ليلة كل ليلة من لياليه سمر تام. وعدا ذلك، عثرت الباحثة نبيهة عبود على بقايا ورقة تحمل عنوان كتاب فيه حديث ألف ليلة وليلة وما في أصل الورقة مما له علاقة بهذا الكتاب تعود كتابته إلى أوائل القرن الثالث الهجري»¹

من خلال ما تقدّم، يتجلّى بوضوح أن هناك أكثر من كتاب واحد مؤلف ومترجم في هذا الشأن موسوم بألف ليلة وليلة أو ما يشابهه. إلا أنه لم تصل منها سوى النسخ التي ينحدر من اسم " الأم القديمة ". كما أن الاختلاف في الآراء لا ينحصر في عنوان الكتاب، بل في وصفه أيضا. وما أورده المسعودي أن الناس كانت تسمي كل كتاب من هذا القبيل - أي يروي ويحكي قصص السمر و يعالج مختلف القضايا بطريقة سحرية من خلال المغنطة اللفظية - يسمّى ألف ليلة وليلة . فأيّ حكايات تروى بالليالي في جلسة سمر، يطلق عليها ألف ليلة أو ألف حكاية. ولنعد إلى ما يقال عندما يسعى شخص ما إلى الظفر بشيء مستعصي. أولا يقال عنه " ذهب إلى الثلث الخالي ولم يحصل عليه!! "

¹ ألف ليلة وليلة من أصوله العربية الأولى- حققه وقدمه محسن مهدي - شركة أ.ي. بريل للنشر ليدن 1984 ص 26

فليس المعنى أنّه بالفعل مشى الشخص إلى الصحراء الخالية وعاد، إنّما من باب ضرب المثل على طول المسافة التي قطعها. ويبقى هذا من باب الاحتمال لكنّه يستدعي الإنصاف والتأمل لأنه الأرجح.

وحيث إنّ من واجب الدارس المقارن الاعتماد على الجزئيات للوصول إلى نتائج أكثر دقة، فلا بدّ من التطرق بالبحث في نصوص المسعودي وابن النديم والتوحيدي. كما سبق الذكر أن أقدم النصوص هي للمسعودي " مروج الذهب " المؤلّف عام 332 هـ ثم يأتي بعده كتاب ابن النديم لأنه جمع مادّته عام 340 هـ وفرغ منه عام 377 هـ، و آخرهم هو كتاب التوحيدي الذي ألّفه عام 374 هـ.

يقول الأستاذ سامي مهدي " قد تطرّق المسعودي لهذا النوع من المؤلفات في بضع فقرات جاءت في معرض حديثه عن هياكل العبادات الوثنية التي عثر عليها في بلاد الشام، ومنها الهيكل المعروف باسم جيرون في مدينة دمشق. ويشير إلى حيرة معاوية بن أبي سفيان في أمر هذا المعبد، فقد قيل لمعاوية إنه من بقايا مدينة " إرم ذات العماد " التي ذكرت في القرآن الكريم، ورويت له الأسطورة التي تقول: إن رجلاً من العرب يدخلها سعيّاً وراء جملين تاها من جماله. فيسأل معاوية كعب الأحبار عن ذلك، فيؤكد له كعب الأحبار

ما يقال في الأسطورة، ويشير إلى أعراي كان في مجلسه، زاعماً له أن هذا الأعراي هو من دخلها¹. غير أن المسعودي يشكك في مصداقية هذا الخبر واعتبر أن الفساد دخله إما عن طريق النقل أو يكون من صنيع القاصّ. ثم يقول " وقد تنازع الناس في هذه المدينة "إرم" وأين هي ولم يصحّ عند كثير من الإخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية بأخبار الماضي وسير الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين فيها، إلا خبر عبيد بن شريّة وإخباره إياه عما سلف من الأيام، وما كان فيها من الكوائن والحوادث وتشعب الأنساب ، وكتاب عبيد بن شريّة متداول في أيدي الناس مشهور"²

وقد ورد حديث المسعودي على ما روي من أخبار عن مدينة إرم وأسطورة الأعراي الذي قيل إنه دخلها مقتصرًا. ثم يواصل طعنه فيها فيقول: "وقد ذكر كثير من الناس ممن له معرفة بأخبارهم أن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة، نظمها من تقرب للملوك بروايتها، وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة بها ، وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة لنا من الفارسية والهندية والرومية ، وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب هزار أفسانة وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية ألف خرافة ، والخرافة بالفارسية يقال لها أفسانة. والناس

¹ سامي مهدي - المرجع السابق

² المرجع نفسه.

يسمون هذا الكتاب: ألف ليلة وليلة ، وهو خبر الملك والوزير وابنته شهرزاد¹ شأنه شأن كتاب فرزة وسيماس وما جاء به من أخبار ملوك الهند.

يتضح لنا ممّا تقدم أن إشارة المسعودي إلى كتاب هزار أفسانة، جاءت في معرض تشبيه أسطورة الأعرابي الذي دخل مدينة إرم بالخرافات الواردة في ذلك الكتاب، ولا علاقة لتلك الإشارة بمؤلف ألف ليلة وليلة. فالمسعودي لم يقل إن كتاب هزار أفسانة هو نفسه كتاب ألف ليلة وليلة، بل تحدّث عن الناس التي تسمّيه بذلك الاسم، مع أنّ الفارق بينهما دقيق. و في الوقت نفسه، المعنى يكاد يكون متقارباً لأن معنى كتاب هزار أفسانة باللغة العربية ألف خرافة، ولكن الناس لم تكن تُسمّيه بهذا الاسم ، بل تسمّيه " ألف ليلة وليلة ". والظاهر أن الناس كانت تنسب هذه التسميّة لعدد كتب القصص السمرية.

الأمر الذي يزيد من صعوبة تحديد ماهية، وبالتالي لا نعرف منشأها الأصليّ إلا إذا توفّر الكتاب على المتون والعنوان الذي قد يثير اللبس بدوره إذا ما وجد وحده. وعليه يمكن القول أن كتاب ألف ليلة وليلة ليس بكتاب هزار أفسانة. فلو كان هو نفسه لأخبرنا المسعودي وغيره بهذا، ولا يحتوى الكتاب نفسه على حكايات يعود تاريخها إلى فترات

¹ - المرجع السابق / الرابط الإلكتروني.

سبقت ظهور الإسلام بمدة أطول، وكان الشخصيات البطولية من غير المسلمين، وكانت مسرحه هي المدن الإيرانية، وليست القاهرة ودمشق وحلب وبغداد والبصرة والموصل ولدى محيطه غير البيئة العباسية، ولو وردت فيه أسماء ملوك الفرس ولم يرد اسم الخليفة هارون الرشيد وزوجه زبيدة ووزيره جعفر وخادمه مسرور. ولكن لا علاقة بين المؤلفين وبالتالي تستبعد فارسية أصل الليالي الخالدة. الأمر الذي يرجح أن هزار أفسانة كتاب مستقل بذاته، مثلما هو الحال مع كتاب ألف ليلة وليلة. وحيث إن الشوق والتعويل على معرفة هوية هذا المؤلف يعتبر ضرباً من التسرع في إصدار الحكم على تاريخيته، يستدل الطرح بنصوص أخرى، توطيدا لما سبق وإنصافاً لحق ألف ليلة وليلة، فاعتمدنا على نص ابن النديم لجملة من الأسباب أولها : ابن النديم كان وراقاً مختصاً عارفاً بمؤلفي الكتب ولم يكتب بالتأريخ مثل الرحالة المسعودي. ثانيها: أن كتاب الفهرست ليس كتاباً تاريخياً عاماً كمروج الذهب وإنما اختصّ بفهرسة الكتب. وثالثاً أن ابن النديم قد خصّص لكتب الأسمار والخرافات، مقالا خاصاً بكتاب هزار أفسانة. ما يدلّ أن ما أفادنا به ابن النديم أدقّ وأجلى. ففي مقاله الثامن من كتاب الفهرست يتحدث عن أخبار المسامرين يفصح عن أسماء الكتب المدرجة في الخرافات، فيقول: " أول من صنّف الخرافات وجعل لها كتباً وأودعها الخزائن، وجعل بعض ذلك على السنة الحيوانات ، الفرس الأول ، ثم أغرق في

ذلك ملوك الأشغانية، وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس. ثم زاد ذلك واتسع في أيام ملوك الساسانية ، ونقلته العرب إلى اللغة العربية، فهذبوه ونمّقوه، وصنفوا في معناه ما يشبهه. فأوّل كتاب عمل في هذا المعنى كتاب هزار أفسان، ومعناه ألف خرافة.

وكان السبب في ذلك أن ملكاً من ملوكهم كان إذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد. فتزوج بجارية من أولاد الملوك ممن لها عقل ودراية يقال لها شهرزاد. فلما حصلت معه ابتدأت تحرّفه، وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ومسألتها في الليلة الثانية عن تمام الحديث إلى أن أتى عليها ألف ليلة ، وهو مع ذلك يطأها، إلى أن رزقت منه ولداً أظهرته ، وأوقفته على حيلتها عليه فاستعقلها ومال إليها واستبقاها . وكان للملك قهرمانة يقال لها دنيا زاد، فكانت موافقة لها على ذلك. وقد قيل أن هذا الكتاب ألف لحماني، ابنة بهمن ، وجاءوا بخبر غير هذا. والصحيح إن شاء الله أن أول من سمر بالليل الإسكندر، وكان له قوم يضحكونه ويخرّفونه لا يريد بذلك لذة، وإنما كان يريد الحفظ والحرس. واستعمل لذلك بعده الملوك هزار أفسان يحتوي على ألف ليلة وعلى دون المائتي سمر، لأن السمر ربما حُدث به في عدة ليال وقد رأيت به بتمامه دفعات،

وهو بالحقيقة كتاب غث بارد الحديث ¹

كان هذا جانباً مما كتبه ابن النديم في موضوع بحثه الذي خلص به الطرح إلى:

1- إذا ما أمعنا النظر في قراءة ما ورد، نجد أنّ ابن النديم لم يتلفّظ بكلمة عن كتاب ألف ليلة وليلة.

2- كان حديثه مقتصرًا على أمرين منفصلين أولهما: تصنيف الخرافات والأسمار. ثانيهما أول كتاب صُنّف في هذا الباب وهو كما قال كتاب هزار أفسان.

3- يتّضح من قوله " نقلته العرب إلى اللغة العربيّة " أنّ العرب نقلت فن التصنيف الخرافيّ وليس المقصود أنّها نقلت الكتاب بعينه.

4- قام بتبيان أن هذا الفن الذي نقلته العرب إلى لغتها تناوله البلغاء والفصحاء فهذبوه وأضافوا على أسلوبه السجعة اللفظيّة كما ألفوا ما يشبهه في معناه. الأمر الذي يومئ أن: أ/العرب الذين ألفوا هذا الفن، لم يَكُنوا من الرواة الشعبيين فحسب، بل فصحاء وأهل بلاغة وبيان.

¹ ابن النديم - المرجع السابق - ص 363

ب/ وصف ابن النديم لكتاب هزار أفسان بأنه غث يفتقد للسحر الكلامي المنشود وهذا يدلّ على أنّه لم يكن راضياً عنه.

ج / ذكر أنه رأى هذا الكتاب بتمامه دفعات، إلاّ أنّه لم يوضّح ما إذا كان قرأه بالعربية أم بالفارسية وهذا ما يدفع بالباحث المقارن إلى الانتباه. فابن النديم لم يتحدث بالقليل أو بالكثير عن حكايات ألف ليلة وليلة. إذ أن حديثه قصر على فن تصنيف الخرافات، وكتاب هزار أفسان. وهذا ما يجعلنا نستنتج أن ألف ليلة وليلة كتاب مستقل بذاته، وبالتالي فإنّه من الوهم أن نحسب هذا الكتاب ترجمة لكتاب هزار أفسان. وكل من يظنّ بهذا، فلوجود إشارة إلى حكاية شهرزاد في كلا الكتابين، مع أن هذا ليس بدافع للوقوع في هذا الظن. " على أن ابن النديم بالغ - كما نحسب - في قوله إن العرب نقلت فن تصنيف الأسفار والخرافات عن الفرس، وآية ذلك أن القص والتخريف ليس طارئاً على العرب. فقد كانت لهم أخبارهم وأوابدهم وقصصهم وأساطيرهم وخرافاتهم، وكانوا يروونها في جاهليتهم وإسلامهم، حتى إذا حل النصف الثاني من القرن الهجري بدأوا بتدوينها. وقد بدأ تدوين القصص على عهد معاوية بن أبي سفيان، فقد كان له غرام بالقصص"¹. وإن أوّل من صنّف فيها من العرب هو عبيد بن شريّة، وقد قال المسعودي عن كتاب عبيد في هذا

1 عز الدين إسماعيل - المكونات الأولى للثقافة العربية- ط2- دار الشؤون الثقافية - بغداد - 1986 - ص 135¹

الشأن، أنه كان متداولاً في أيدي الناس ومشهوراً في عصره حتى أن ابن النديم أقرّ أنه رآه. ما يعني أن العرب صنّفوا في الخرافات والأسمار قبل أن يترجم كتاب هزار أفسان إلى اللغة العربيّة. وليس الغرض من وراء هذا أن ننكر أو نستبعد ما تعلّمه العرب من غيرهم في هذا المجال ، ولكن للحدّ من المبالغة في أهميّة ما تحصّلوا عليه من الآخر، خصوصاً أمام بعض من الباحثين العرب الذين حسبوا أن ألف ليلة وليلة هو كتاب مترجم فانشغلوا بالمرافعة عن وصوله إلينا متأخراً، بدلاً من التحقيق في هويّة المصدر الأصلي للكتاب والدفاع عن عروبة الكتاب الأمّ، بسبب القراءة المستعجلة لنصي المسعودي وابن النديم. في المقابل هناك من رأى فيه أنه عصارة جهد جماعيّ لمجتهدين هدفهم الرقيّ الإنسانيّ المشترك. " مثل الراحل جمال الدين بن الشيخ عدّ كتاب ألف ليلة وليلة في الموسوعة العالمية تراثاً إنسانياً " اشترك في تأليفه كل الأمم القديمة وتضافرت على إبداعه مجتمعة، فهو ثمرة من ثمرات التعاون الإنساني الذي لا نستطيع الظفر بمثله اليوم " ¹ هذا ما قاله الراحل ابن الشيخ وكأننا بإزاء ملك مشاع ، أو تركة موقوفة لا ينبغي لأحد أن يبحث عن نصيبه فيها.

كما أن الباحث الفاضل عبد الملك مرتاض، حاول إثبات عروبة الكتاب مستنداً

¹ نقلاً عن د. عبد الملك مرتاض / كتاب ألف ليلة وليلة - دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمّال بغداد / دار الشؤون الثقافية العامة بغداد / 1989 / ص 6

إلى ما جمعه ابن عبدوس الجهشيارى من حكايات عدّت أنها هي الليالي وفق ما صرّح به ابن النديم ولكن في فقرة أخرى يواصل " ابتدأ أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى، صاحب كتاب الوزراء بتأليف ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم، كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره ، وأحضر المسامرين ، فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون، واختار من الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات ما حلا بنفسه، وكان فاضلاً فاجتمع له من فاجتمع له من ذلك أربع مئة ليلة وثمانون ليلة، كل ليلة سمر تام، يحتوي على خمسين ورقة وأقل وأكثر، ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تميمه ألف سمر، ورأيت من ذلك عدة أجزاء بخط أبي الطيب أخي الشافعي ¹

ما هو ملاحظ في هذه الفقرة أنها تتحدث عن كتاب ليس بهزار أفسان ولا بألف ليلة وليلة مثلما أدلى الأستاذ سامي مهدي، لا هو بالمرجم ولا هو بالمؤلف، وإنما مدوّن قام الجهشيارى بجمع مادته من ألسنة القاصّين والمسامرين ومن بطون الكتب المصنفة، آخذاً من هذه الأخيرة أحسن ما لديها. الأمر الذي يجعل المتلقي يرجّح أنّ مؤلفه سُجّر هو الآخر برقم الألف.

¹ ابن النديم - المرجع السابق - ص 363 - 364

وييدي برأيه الأستاذ سامي مهدي فيما جاء به عبد الملك مرتاض " أن حسابه خاطئ لعدد أوراق ما أنجزه الجهشيارى من كتابه هو خاطئ. فقد ظن أن عدد هذه الأوراق يبلغ 2440 ورقة بينما العدد الصحيح هو 24000 ورقة، فهذا الرقم هو حاصل ضرب عدد أوراق كل سمر 50 ورقة في عدد ما أنجزه الجهشيارى من الأسمار 480 سمرًا . (50 480 = 24000) ويواصل قوله: " وعدا ذلك فات مرتاض أن الجهشيارى اختار طريقة للسرد غير طريقة السرد المتداخل التي قام عليها كتاب ألف ليلة وليلة. فقد جعل كتابه في أجزاء، كل جزء منها قائم بذاته لا يعلق بغيره، وجعل من كل ليلة سمرًا تاماً لا يقطعه بغتة صياح ديك الصباح " ¹.

انطلاقاً مما تقدّم من تفكيك لنصّي المسعودي وابن النديم، يمكن القول أن كتاب ألف ليلة وليلة غير الذي تحدثنا عنه في نصّيهما. هو كتاب لم يترجم عن كتاب هزار أفسان. والدليل على ذلك، أن كتاب هزار أفسان الذي رآه ابن النديم يحتوي على ألف ليلة ودون المائتي سمر، في حين أن كتاب ألف ليلة وليلة لا يحتوي على هذا العدد من الليالي حتى بعد ما أضيف إليه من زيادات. بل الظاهر أن نقصان لياليه عن الألف، كان أحد أسباب إقحام هذه الزيادات عليه في الفترات اللاحقة.

¹ سامي مهدي - المرجع السابق

بعدما طرح من افتراضات تحتمل الصحة المطلقة أكثر منها نسبية، نجد أنفسنا أمام التساؤل الآتي: إذا لم يكن كتاب ألف ليلة وليلة هو ترجمة لكتاب هزار أفسان، فمن يكون إذن؟! لقد وجدنا أنّ الطرح هذا، أيّده الأستاذ مهدي سامي وكان له السبق في طرحه، وعليه اقتفينا أثره في الدراسة من باب التوثيق لا الانسياق وراء كل ما ورد عنه، أضف لهذا دمغه لكلامه بالحجة القاطعة والدليل البين. فكان ردّه كالآتي: " أول ما ألاحظه أن المسعودي وصفه بأنه كتاب يحتوي على خبر الملك والوزير وابنته شهرزاد وجاريته دينا زاد، وأوضح أن معنى اسم الكتاب باللغة العربية هو " ألف خرافة " وذكر أن الناس تسمي هذا الكتاب : ألف ليلة وليلة. أمّا ابن النديم فذكر وهو يتحدث عن فن تصنيف الأسمار والخرافات، أن كتاب هزار أفسان — ولم يقل هزار أفسانة كالمسعودي — هو أول كتاب عمل في هذا المعنى . ثم أعطى بعض التفاصيل عن حكاية شهرزاد، وراح يوضح ما بلغه حول تأليفه فقال 'قل إن هذا الكتاب ألف لحمانى بنت بهمن ثم تحوّل وقال " وجاءوا بخبر غير هذا، ولكنه لم يذكر الخبر " وذكر في وصف الكتاب أنّه يحتوي على ألف ليلة ودون المائتي سمر، لأن السمر ربما حدّث به في عدة ليال. وأكّد أنه رأى الكتاب بتمامه ولكن على دفعات، غير أنه وصفه بأنه 'كتاب غث' ¹

¹ المرجع السابق، الرابط نفسه.

أمّا أبو حيان التوحيدي فلم يتحدث عن كتاب حكايات ألف ليلة وليلة، بل اكتفى بذكر كتاب هزار أفسان، وجاء ذكره له على سبيل التشبيه تارة، ولمعرض الاستخفاف به تارة أخرى، فنجدّه يقول: "ولفرط الحاجة إلى الحديث ما وضع فيه الباطل وخلط بالمحال، ووصل بما يعجب ويضحك ولا يؤول إلى تحصيل وتحقيق مثل هزار أفسان، وكل ما دخل في جنسه من ضروب الخرافات"¹.

إنّ ما استدللّ به الأستاذ سامي مهدي، من نصوص عاصر مؤلفيها بعضهم البعض، جعله يشخّص الحالة كراهن فكريّ نعيشه وعلينا أن نعمل جاهدين لتبيان هويّته وتثبيت أصوله وأنّ ما يصل إلينا، قد يكون في كلّ الأحوال سوى فروعا. فخلّص إلى أنّ:

أ / كتاب هزار أفسان كان موجوداً في القرن الرابع الهجري، وقد ذكر ابن النديم أنه رآه بتمامه على دفعات ويحتوي على ألف ليلة ودون المائتي سمر.

ب / أن الكتاب كان معروفاً ومتداولاً في ذلك القرن بدليل أن ثلاثة من كتابه قد تحدثوا عنه. ويرى بعض الباحثين أنه نقل إلى العربية في القرن الثاني الهجري، إما في عهد المنصور،

¹ أبو حيان التوحيدي - كتاب الإمتاع والمؤانسة - صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين - منشورات دار مكتبة الحياة بيروت - ب، ت - ج 1 - ص 23

أو في عهد هارون الرشيد¹

ج / عنوانه هو هزار أفسان أو هزار أفسانة وقد اتفق الكتاب الثلاثة على ذكره بهذا العنوان الكتاب مترجم من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية.

د / أن مؤلف الكتاب كان مجهولاً، ويبدو من ذلك أنه كان من المرويّات الفارسية المدونة.

هـ / أن عصر تدوين الكتاب بالفارسية غير معروف على وجه التحقيق، فقد ذكر ابن النديم أنه ألف لحمانى بنت بهمن ، ولكنه تحوط فقال "وجاءوا بخبر غير هذا".

و / أن الكتاب الثلاثة استخفوا نوعاً ما بالكتاب. فالمسعودي يرى أنه ضرب من ضروب الأخبار الموضوعية والخرافات المصنوعة. وابن النديم يرى أنه كتاب غث بارد الحديث. أما التوحيدي فيقول: إنه لا يؤول إلى تحصيل وتحقيق.

ز / أن المسعودي انفرد وحده بالقول: إن الناس تسمي هذا الكتاب " ألف ليلة وليلة".

ح / هناك اختلافات ضئيلة لا تمسّ بلب الموضوع، بين نصي المسعودي وابن النديم بشأن شهرزاد ودنيا زاد. فشهرزاد في نص المسعودي هي ابنة الوزير ودنيا زاد هي جاريتها، أمّا في

¹ محمود طرشونة / مدخل إلى الأدب المقارن ، وتطبيقه على ألف ليلة وليلة / دار الشؤون الثقافية العامة بغداد/ 1988 /

نص ابن النديم فشهرزاد هي جارية من أولاد الملوك، ودنيا زاد هي قهرمانة لدى الملك، وهذا قد يعني أن لهذه الحكاية أكثر من رواية.

إنّ ما توصّل إليه سامي مهدي، وإن بقي في نطاق المحتمل، إلا أنه احتمال قويّ يقترب إلى الصحة أكثر ممّا سبقه إليه الآخرون، هذا لأنه استنطق النصوص القديمة، فهمها، شرحها، فسرها فأولها/ ممّا ولد لديه نهما نصيّا، غير أن أياً من الكتاب الثلاثة لم يكشفوا عن محتويات كتاب هزار أفسان من الأسمار والقصص. لهذا ظلت هذه المحتويات مجهولة ليومنا الحاليّ. والقصة الوحيدة التي علمنا أنّها موجودة في الكتاب هي قصة شهرزاد، شهريار، الوزير والجارية. وحتى هذه الأخيرة لم يحدثنا عنها الكتاب الثلاثة بالتفصيل الشافي كما وردت في كتاب ألف ليلة وليلة، بل جاءت في خبر موجز، وقد وجد بعض الباحثين أن لهذه القصة أصولاً هندية، وأن الفرس اقتبسوها في عهد ملوكهم. ولنفرض أن ما أدلوا به صحيحاً، فهذا يعني أنّهم بنوا عليها في ما بعد كتاب هزار أفسان.

أمّا خبر ابن النديم عن تأليف هذا الكتاب فهو مستقى من روايات شفوية، وليس من معلومات محققة. "وهو نفسه يتحوط في نقله فيقول: "وقد قيل إن هذا الكتاب ألف لحماني بنت بهمن، ثم يتحوط ثانية ويقول: "وجاءوا بخبر غير هذا. ومع ذلك قد يكون

لخبره أصل ما في التاريخ، أو يكون مجرد أسطورة بنيت حول شخصيات تاريخية، وهذا هو الأرجح في ما يبدو. فقد ورد اسم حماني هذه بأشكال متعددة في المصادر العربية القديمة، منها "خمانى" بالخاء المعجمة ، ومنها "خما جهرزاد" و "هماي جهرزاد". وقيل إن اسمها "شميران"¹. أمّا المسعودي فأسمهاها عندما تحدّث في كتابه عن ملوك الفرس باسم حماية ، فهي عنده 'حماية بنت بهمن بن اسفنديار، وهي من الملوك الزرادشتيين الأوائل، وقد حكمت ثلاثين سنة وقال أنها كانت تعرف باسم أمها شهرزاد. وربما كان هذا هو السبب الذي أدى إلى الربط بين الكتاب الذي اتخذ من حكاية شهرزاد إطاراً له وتلك الملكة الفارسية الزرادشتية التي كانت تعرف باسم أمها!!

أمّا عن اسم شهریار، فلم يرد له ذكره لا في نصّ المسعودي ولا في نص ابن النديم. ولكنه اسم لشخصيّة تاريخيّة هو الآخر. فالمسعودي يذكر اسم ملك بهذا الاسم في موطن آخر من كتابه، «وفي إطار ما كتبه عن ملوك الفرس الثانية والملوك الساسانيين. وهو ملك متأخر يقول المسعودي إنه حكم عشرين عاماً ثم اغتالته ابنة لكسرى أبرويز يقال لها أرزمي دخت»² وهذا يعني أن اسم شهریار الذي ورد في الحكاية الإطارية له وجود في التاريخ. وإذا

1 صباح محمد علي كاظم - حاشية على كتاب الفهرست للنديم - مطبعة شفيق بغداد-1982 - ص 75

²المسعودي - المرجع السابق - 1 / 211

كان كتاب هزار أفسان قد أُلّف خلال حقبة زمنيّة من تاريخ بلاد فارس، كان من المفروض أن تقع الأحداث خلال فترات أقدم منها وأن يكون مسرحها المدن الإيرانية، وتعكس الثقافة الفارسيّة بما فيها المعتقدات الدينيّة!!! فالأرجح أن يكون كتاب ألف ليلة وليلة، لا هو مترجم كما ولا هو من المرويّات الشفهيّة المشتركة، ولعل ممّا يُؤكّد كونه كتاباً مؤلفاً ما جاء على لسان مؤلفه في مفتتح الكتاب قائلاً «وأما بعد فإننا نخبر معاشر الأجواد، والسادة الفضلاء الأجداد، بأن المقصود من كتابة هذا الكتاب الشهي المستطاب، النفع العام لمن يطالع فيه. لأن فيه سير كثيرة الأدب ومعاني فائقة لأهل الرتب ومنها يتعلم الإنسان علم الكلام وما جرى للملوك من أول الزمان على التمام. وسميته ألف ليلة وليلة. ثم يعود فيقول في بداية القص "قال الراوي صاحب التّأليف"¹. فالمؤلف يخبرنا في هذه الفقرة بأنّه هو الذي ألف الكتاب، وهو الذي أسماه بألف ليلة وليلة. وما يستدعي الانتباه هو اهتمام المؤلّف بأخبار الملوك التي تجلّت في حكايات الكتاب بذاته. فمخوّر الحكايات هم الملوك. والحقيقة أنّ الاهتمام بأخبار الملوك لم يكن جديداً عند تأليف الكتاب، فقد كان الأمر سائداً عند العرب منذ بداية العصر الأمويّ وأول من عني بهذه الأخبار معاوية بن أبي سفيان "وقد ذكر المسعودي أن معاوية كانت له ساعات من كل يوم يقعد فيها ويأمر بجلب

¹ ألف ليلة وليلة - مصدر سابق - ص 56.

دفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد، فيقرأ ذلك عليه غلمان مرتبون، وقد وُكِّلوا بحفظها وقراءتها، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات"¹.

ومما كان يرويه كتاب عبيد عن أخبار ملوك اليمن، كان من ثمرات ليالي معاوية. الأمر الذي ينبّه إلى اهتمامهم آنذاك بأخبار الملوك في العصر العباسي، لدرجة أنه شمل عامة الناس. وعليه يكون تأليف كتاب ألف ليلة وليلة استجابة واعية من مؤلف مهتم بهذا الغرض، أي ما ورد فيه من حكايات لم تكن مرويات شفوية مدونة، على الرغم من ارتكازها على ثنائية الراوي والمروي. لهذا يبقى الطرح بهذا الشأن، بين مدّ المقاربات وجزر المفارقات. إذ نجد هذا الكتاب انماز عن غيره بتبنيّه ظاهرة غير مألوفة في الثقافات الشعبية السائدة، إنها " ظاهرة القصّ بالقراءة " وليست بالمشاهدة كما كان معهودا. وعليه، ثمة مؤلف كتبها واختفى وناب عنه قاصّ بحكايتها وقراءتها أمام الملاء. فلا مندوحة من الاعتراف أن الراوي مهما كانت براعته في السرد، فإنه قد استند إلى نصّ مكتوب.

ولم يكن يجالس الحاضرين إلا وهو حامل إيّاه. فالنظام الروائي ههنا، ليس سوى

¹ المسعودي - المرجع السابق 1 / 47

شكلا لتدوينها وأنّ هذا هو الشكل الوحيد الملائم لكتابتها، من حيث كونها حكايات مسامرة ألّفت لتروى في المجالس أكثر من أنها تقرأ في الخلوات مثل كتب السمر الأخرى.

وعليه، فإن بنية النظام الروائي في هذا الكتاب، هي أثر متبقّي من آثار المشافهة لدى الثقافات العربية القديمة، إلا أن هذا لا يجعلنا نجزم أنها مرويات شفهيّة بمجرد وجود

هذه النظام . كما أنّ الراوي أو القاصّ مهما أضاف من زيادات أو تحويرات، يبقى مستندا على مؤلّف مكتوب وكلّ ما كان من دواخل على النص المرويّ، في غالبّيته مقتبس بأيّ شكل من كتب أخرى. مثل:

أخبار أبي نؤاس لأبي هفّان، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني وكتاب مصارع العشاق لابن السراج، وغيرها.

فكتاب مرّ بهذه المراحل واختصّ بما ليس عند غيره لا يمكن حصره في أنه مجرد مرويات شفهيّة تداولتها ألسنة الرّواة، ولأن الرواية لا تكون سابقة للتأليف وإنما لاحقة عليه. أمّا عن هويّة الكاتب، فإنه لم يفصح لسبب من الأسباب إمّا أن يكون سياسيّاً أو اجتماعيّاً. لأن هذا النوع من التأليف لم يحظ بالاهتمام واستخفّ بالأدباء لدرجة محاربتهم

من قبل الفقهاء كما أن كثيرا منهم - أدباء السمر - كانوا وراقين، وهم فئة نادرا ما نجد أحدهم يرقى إلى مستوى الكتاب المعترف بهم، فلا مكانة لهم بين خاصّة المجتمع. «ولعلّ ما لحق بوراقين مثل أبي حيان التوحيدي صاحب الإمتاع والمؤانسة وبديع الزمان الهمداني صاحب المقامات المعروفة باسمه دليل على ذلك. ففي زمن تغطط فيه مكانة التوحيدي حتى يحرق مؤلفاته غيظاً وكمداً، ويضطر الهمداني إلى الكدية في الأسواق، نقول: في زمن كهذا كيف لا تغطط مكانة صاحب كتاب ألف ليلة وليلة إن هو صرح باسمه ؟ ثم أن الكتاب تعرض لهارون الرشيد وزوجه زبيدة، وعاملهم معاملة العامة على نحو لا يمكن لأبنائهما وأحفادهما أن يرضوا به أو يسامحوا عليه، فكيف لمؤلفه أن يصدر كتابه باسمه الصريح ويأمن العاقبة ؟»¹ وعليه كان الكاتب يتحاشى أن يعرف الجميع اسمه. ويوطّد لنا هذا الرأي مهدي سامي عندما قال «ويبدو لي أن كثيراً من مؤلفي هذه الكتب كانوا من عامة الوراقين، وكانوا يضعونها لأغراض تجارية خالصة ، ولم يكن يهمهم أن تعرف بأسمائهم، بل لعلمهم كانوا يتحاشون أن يعرفوا لكي يتخلصوا من المسؤولية. ذلك أن السلطات السياسية والفقهية كانت تحارب القص وتندد به وتمنعه في بعض الأحيان»² فالأرجح إذن، أن تكون

¹ سامي مهدي - الرابط السابق.

² منع المعتضد القص مرتين، مرة في عهد المعتمد عام 279هـ ومرة في عهده هو عام 284هـ . راجع: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي، المعروف بالحافظ الذهبي - كتاب العبر في خبر من غير - تحقيق فؤاد سيد - وزارة

أواخر القرن الثالث الهجري، الحقبة التي أُلّف فيها هذا الكتاب. حيث ازدهر التأليف القصصي خلالها ونشط القاصّون بعد أن تحرّرت ألسنتهم من الأصفاد، فذيع صيتهم في أرجاء البلاد. حينئذ تلتها حقبة كثرت فيها الفتن الداخلية فعمّت الفوضى وقل الأمن وكثرت الحاجة، الأمر الذي جعل هيئة الدولة تتدنّى في نظر الناس، لدرجة أن أصبح خليفة ذو مكانة مرموقة لهارون الرشيد.

وما حقّقه من ازدهار، حكاية تنسج حولها الأساطير ويغدو هو أحد أبطالها. مثلما هو الحال في قصة الحمّال والبنات الثلاث. يتفقّ الرعية ويلج بيوتها ليلاً وأحياناً يسمّر معهم. فأمر مؤكّد أن يكون قد مرّ على وفاة الخليفة الرشيد نحو المائة سنة، لأنها مدّة كافية ليتحوّل فيها الخليفة إلى أسطورة تتداول على ألسنة القاصيّين، فساءت أحوال الناس، وتفشّت الخيانة والغدر وذلّ صاحب المقام وهي البيئة التي عاصرتها مقامات بديع.

ألا يعني أن هذا الكتاب قد أُلّف في العراق؟ مع أن المستشرق الانجليزي إدوارد وليام لين Edward William Lane رجّح أنها كتبت في مصر!! والمستشرق الفرنسي أنطوان إيزاك سلفستر دي ساسي Antoine-Isaac Silvestre de Sacy اعتقد أنها أُلّف في

بلاد الشام!! أساسهم في ذلك، النسخ التي وصلت إليهم، متناسين النص الأصلي للكتاب، بل إن هناك من رأى أنّ التقصي عن الهوية ينحصر على النص لا التاريخ!! وفي هذا الأمر إجحاف بحق ذرة نفيسة من الموروث الثقافي. إلا أن الأستاذ مهدي محسن أدلى بأن منشأها الأصلي هو العراق، وهذا ليس مستبعداً. لأن هذا البلد -العراق- منار ثقافي وإشعاع حضاري لعديد المعارف، وإن كان هناك من يؤكّد أن هذا الكتاب مترجم من لغة أخرى، فعليّ أن أنوّه إلى أن أشهر الأعمال الترجميّة التي وصلت إلينا عن العالم القديم، كانت من ألواح مدينة نينوى " الموصل حالياً " - سبق ذكرها في المبحث الثالث من الفصل الأوّل والتوضيح بالمسرد -

إضافة لهذا، شهدت اهتماماً متزايداً بفن الخرافات والأسمار المكتوبة باللغة العربيّة. يدلي مهدي سامي عن تلك الفترة بأرض العراق " وفيه صنفت عشرات الكتب القصصيّة التي ذكرت في فهرست ابن النديم، فضلاً عما تكشفه قصص الكتاب نفسها من صلة وثيق ببيئته الحضارية العباسية وأسماء مدنه التي دارت فيها أحداث القصص، ونعني بغداد والبصرة والموصل " ¹

¹ المرجع السابق

أمام ما تقدّم، نجد أنّ الطرح ترفع عنه استدلالات كافية ترجّح لأبعد الحدود بأن يكون النص الأصلي قد كتب باللغة العربيّة الفصحى المتجلّية في المقطوعات الشعريّة الفصيحة شأنها شأن الهمدانيّ والحريّ وبالتالي، فإن مؤلّفها يمتلك ناصية في اللغة العربيّة مثلما أشار إليه ابن النديم في فهرسته. ومن هذه اللغة استنسخ القاصّون حكايات أخرى، بلغت للمغرب الأقصى. فكلّما تداولتها أيادي أخرى من حكواتيّين ومترجمين من مختلف البلدان، دخلت عليها أكثر من لغة ولهجة. بدليل مصطلح - الرجايل - متداول عند أهل المشرق أي مجموعة من الرجال المشاة على أرجلهم، لكن بعد تهذيب اللفظة، أصبحت رجايل للابتعاد عن معاني الرج. فيما يعتبره أهل المغرب العربيّ أنه تصغير للفظه رجل لتصبح رجّيل.

بين التخوم في هويّة كاتب النصّ وتقصّي تاريخيّة الحكايات، يتفق على أن ما أهّلها للعالميّة، بل جعلها تُعدّ ذرّة نفيسة للآداب العالميّة، هو التفرد بمقوّمات الإبداع الفنيّ، بما فيه من وصف دقيق، أحكام للتسامح، البهاء الخياليّ، عجب الخوارق والتشخيص الناطق للحوادث الفريدة بمسار سرديّ جدّ متماسك، جعل الملك شهريار وكلّ متلقي شغوبا مشدوها باستمرار حول ما يمكن أن يحصل لاحقا. يقول الرسام والمؤرخ الإنجليزي "وليام

هولمان هنت **William Holman Hunt** " تعدّ الليالي العربيّة واحدة من أجمل الكتب في العالم، لا لسبب أنّ فيها المتعة فقط، ولكنّ المتعة في تناول كلّ من لديه الجسد والروح والخيال...أنت تمتلك هذا العالم كما تمتلك علما آخر...هنا يوجد العجيب في صلب العادي" فيما يُدلي الفنّان الفرنسيّ هنري ماتيس **Henri Matisse** بقوله " إنّ هذا الكتاب هو تاريخ الثقافة الإسلاميّة و سجلّ الذكاء الإسلاميّ المتوقد في أيام عزّة العرب في آسيا، إنّّه يقدّم صورة لحياتهم أكثر حيويّة من جميع التواريخ العادية مجتمعة ".

نستخلص ممّا تقدّم، أن كتاب ألف ليلة وليلة تعود إرهاباته على الأرجح إلى أواخر القرن الثالث الهجريّ - وهذا ما توصّل إليه كذلك الباحث سامي مهدي- كما أنّ العراق أقرب بيئة استوفت المعالم التي اشتملت عليها الليالي الخالدة، أمّا ما وصل إلينا من نسخ خطيّة فكانت مدجّجة بالتصرف أو الزيادات والنقصان. وتبقى هذه الخلاصة من باب الترجيح الأولى وليست من باب التأكيد المطلق.

ب / ألف ليلة وليلة أمام المترجم الدولي.

ممّا لا شكّ فيه أن للحركة الترجميّة بالغ الفضل في توسع الحركة النهضويّة الفكرية بمختلف أنحاء العالم وعبر عديد الأزمنة. ولم يتوان العرب القدامى في التفاعل والاحتكاك بالآخر، إذ لا يخفى ذاك الاهتمام البناء الذي أولاه هارون الرشيد للترجمة في عصره، فأنشأ مدرسة وأمدّ القائمين عليها بالمال وجلب المترجمين الأكفيا من بينهم إسحاق ابن حنين ويوحنا بن البطريق. وبالفعل فقد أسهمت هذه المدرسة في نقل الحضارة الإغريقيّة إلى أوروبا من خلال نقل المعارف إلى اللغة العربيّة ومن ثمّ إلى لغات الأوروبيّين. "وفي مصر أنشأ رفاعه رافع الطهطاويّ مدرسة الألسن عام 1835 وكانت هذه المدرسة قد قدّمت الكثير من الترجمات عن الفرنسيّة إلى العربيّة والعكس، كما أنها قامت بدور مهمّ إبان الحملة الفرنسيّة على مصر"¹ فالترجمة كانت ولا تزال ضرورة حتميّة نأخذ بها في شتى المجالات، هذا لأنّ التقدّم نحو الأمام، يوجب علينا الرجوع دائماً لنفائس الآداب العالميّة. كيف لا والليالي الخالدة لا تزال النقطة المحوريّة لدائرة البحث في الآداب والفنون لدى الغرب. إذ ترجمت إلى عديد اللغات التي أخذت بدورها عن أوّل ترجمة من قبل أنطوان غالان **Antoine Galland** بأواخر القرن السابع عشر، في اثني عشر مجلّداً، إلّا أن أجزاء منها

¹ بقلم سعيد إبراهيم عبد الواحد <https://pulpit.alwatanvoice.com>

نشرت فيما بين 1704-1713، لكنها مالت إلى التصرّف، الإضافة والتحويل. فمن بين ما زيد إليها " علاء الدين والمصباح السحريّ، علي بابا والأربعون لصًا ورحلات السندباد البحريّ " وكانت هذه الإضافات بمهارة وإبداع فائقين، حيث إنّه لم يفكّك من بنية المسار السرديّ، وحافظ على نمطيّة عجب الخوارق، فامتلكها لها يغوص في دوامة السحر الشهرزاديّ. هذا لأن غالان حافظ على شاعريّة الحضور وعفويّة السّمّر كما رسم الصورة الحيّة عن الجوّ الشرقيّ بأسلوب راقٍ، فترجمته أدّت إلى حسم الصراع الذي اشتدّ لدى الفرنسيّين بين أنصار النزعة العقلانيّة ومؤيدي النزعة التجريبيّة وخفّت شدّة تصنيف القديم من الجديد. حقّا كان لليالي دور في التأثير على الفكر الفرنسي عامّة والأدبيّ خاصة.

وفي هذا السياق، نشير إلى أنّ القرن الثامن عشر في فرنسا، الذي عُرف بـ: "عصر التنوير" قد شهد مطاحنات فكريّة وحركات سياسيّة وتدقّق تيّار النزعات الفلسفيّة التي جرفت معها الأدب، الأمر الذي يفصح أن حركة التنوير - التي حمل لواءها الفلاسفة البورجوازيّون - تركت بصماتها في شتى مجالات الحياة الفرنسيّة، بل أنّ الثورة الفرنسيّة لم تحقّق الكثير مما كانت تصبو إليه لولا جهود الفلاسفة الذين أثروا في فكر الفرد والمجتمع.

ومن بين ما خلفته نزعاتهم تلك، فقدان الملكيّة لمكانتها التي سيطرت بها على عامّة

الناس، وترعزت مناصب الباباوات في الكنيسة بعدما استفاق المجتمع وتحرّر من قيودها المبتدعة. «فأصيب "الإكليروس" المتحالف مع الإقطاعيّة بانحيار كبير... لقد أصبحت الحرّيّة مطلوبة في كل الميادين، وانتشرت المفاهيم الجديدة في كل أنحاء فرنسا بسرعة مذهلة، واستطاع فلاسفة التنوير أن يحققوا أهم أهدافهم التي خططوا لها بدقة»¹. فالاستفاقة هذه، هيأت الطريق وأفسحت المجال لإحداث ثورة وتغيير نمط الحكم المستبدّ. حتى أن الأدب الكلاسيكيّ الذي كان حكرا على البرجوازيّة وليس من مقامه أن يوضع على محك التقييم، تزعزع نتيجة الصدام الفكريّ، الأمر الذي يعني أن أنطوان غالان قد ترجم ما كان الناس بحاجة إليه، ليالٍ تحكي الأسرار وتروي بطريقة أخاذاة خوارق الأحداث، فكان إذن الجوّ فسيحا لأن تكتسح الليالي العربيّة فضاء الأدب ولم يعودوا يبالوا بالطبقيّة السائدة آنذاك، بل إنهم تحرّروا بعد ظهور تيّارات فكريّة جديدة تنادي باحترام الحرّيّة الفرديّة. وفي خضم تلاطم رواسب الفكر القديم مع المستجدات المعرفيّة، بزغت الليالي السمريّة كنقطة تحول نمط أدبيّ نحو مسار جديد لم يسبق له أن عُرف لدى الفرنسيّين، فلاقت الحكايات نجاحا باهرا وزرعت في نفوس السامعين عنها الرغبة لقراءتها لدرجة أن عاشوا أحداثها وأحبوا شخصياتها. كيف لا وشهرزاد روت العجيب في صلب العاديّ !!

1 بقلم شرفي عبد الواحد <http://www.startimes.com>

فالليالي الخالدة أسهمت أكثر ما عداها من الآداب في نشر الأذواق وبعث الحسّ الفني، فعَدّت مصدراً خصباً لتطوير الملكات الإبداعية، أضف لهذا، تحريرها للمتلقّي من التبعية الفكرية المفروضة عليه. فالحكايات الشهزادية أثبت بالفعل أنّ سلطة العقل تحرّر من أصفاد مشيئة ولو لسنين، لغناها بشتى المعارف التي شخّصت مختلف الظواهر عبر عديد الأمكنة. " أحداثها لا تدور في عالم طوباوي من صنع الأحلام حيث لا تعير الشخصيات اهتماماً إلا بالقدر الذي يسوقهم إليه السحر الذي وقعوا تحت تأثيره، بل إنّ مسرح الأحداث هو أرضٌ يمكن تحديدّها جغرافياً إلى حدّ ما، وهو مناخ حضاري متكامل" ¹.

فتأثر بها مفكّرو ذاك الزمن من أمثال دني ديدرو **Denis Diderot**، فرانسوا ماري آروويه **François-Marie-Arouet** المشهور ب فولتير ومونتيسكيو **Montisquieu** ف لترجمة **غالان** دور في إحراز العالمية لألف ليلة وليلة، حيث أنها راجت وحققت مكانة في أوروبا والتسابق نحو ترجمتها كان خير دليل. في هذا السياق جدير بنا ذكر المراحل التي مرت بها ألف ليلة وليلة.

أ - المرحلة الأولى (1708-1800): وقد استفاد الأستاذ شريقي عبد الواحد في هذا الشأن، إذ قام بتوضيح اللغات المترجم إليها، تاريخ الترجمة، ووثق هذا بذكر أسماء المترجمين في

¹ كلترينا مومسن، جوته وألف ليلة وليلة، ترجمة أحمد حمو، وزارة التعليم العالي - دمشق، 1980، ص 12 - 13

بعض الدول التي عنيت بها.

لغة الترجمة	سنة الترجمة	اسم المترجم	ملاحظات
انجليزية	1708	مجهول	طبعت هذه الترجمة ثلاث مرات معتمدة على نسخة غالان سميت بـ " Grhb Street " لأنّ مترجمها مجهول.
ألمانيا	1712	تالندر TALENDER	نشرت في 4 مجلدات.
إيطالية (فنيسيا)	1722	مجهول	12 مجلداً
هولندية (أمستردام)	1732	مجهول	نشرت في 12 مجلداً
دانماركية (كوبنهاجن)	1745	مجهول	
روسية	1763	فيلاتوف FILATOFF	دامت الترجمة 7 سنوات
ألمانية	1785	يوت هـ. فوس	
بلجيكية (فلامند)	1788	ج.ب. رومل J.B. ROMEL	دامت الترجمة 8 سنوات
ألمانيا	1794	سير أوبر Sir Orber	صدرت هذه الترجمة باللغتين الألمانية والعربية

ب- المرحلة الثانية: امتدّت من القرن 19 إلى غاية القرن العشرين استعرضها في الجدول الآتي:

سنة الترجمة	لغة الترجمة	اسم المترجم	المخطوط المعتمد عليه	الملاحظات
1811	إنجليزية	جونثان سكوت	كلكتا الثانية	نشرت في (6) مجلدات
1824	دانماركية	راسميسن	كلكتا الأولى	نشرت في (4) مجلدات - تحوي (300) ليلة.
1825	ألمانية	هابشت وكشال	مجهول	نشرت في (5) مجلدات
1838	إنجليزية	هنري تورنس	كلكتا الثانية	توفي المترجم قبل إكمالها
1839-1941	إنجليزية	لين	بولاق وبرسلو وكلكتا الأولى	(3) مجلدات. لم يترجم فيها حكاية "عمر النعمان وولديه" وحكاية "تودد".
1837-1842	ألمانية	جستاف ويل	بولاق الأولى	نشرت في (4) مجلدات.
1882-1884	إنجليزية	جون باين	كلكتا الأولى والثانية وبولاق	نشرت في (13) مجلداً. وهي ترجمة كاملة.
1885-1888	إنجليزية	برتن	كلكتا الأولى والثانية وبرسلو	نشرت في (16) مجلداً
1885-1889	ألمانية	هينغ	بولاق	نشرت في (24) مجلداً
1889	فرنسية	مارديس	بولاق وكلكتا الثانية وبرسلو	نشرت في (16) مجلداً، مدعمة بالصور.
1905	تشيكية	ج.ماكريس	مجهول	
1921-1928	ألمانية	ليتمان	كلكتا الثانية وبولاق	نشرت في (6) مجلدات، ترجمة كاملة.
1927-1928	دانماركية	أويسترب	طبعة القاهرة	حذف منها حكاية "عمر النعمان وولديه".
1929	روسية	سالي	كلكتا الثانية	طبعها بمساعدة المستشرق كلاتشفسكي.

إنَّ المجهود الذي بذله شريفي عبد الواحد في توثيق عدد التراجم هذه، أمدّنا بدافع التعمق وبذل جُهد عسى أن تقع بين أيدينا ترجمات أخرى، خصوصاً وأنّه استوقف عند سنة 1929... إذ تبادر إلينا أنّه من المستحيل أن تنحصر جهود المترجمين وتتوقف إلى ذاك الحدّ. وبالفعل عثرنا على ترجمات للغة البولنديّة آخرها تمّت بفضل تظافر جهود أساتذة الأقسام الشرقيّة البولنديّة وكذا جامعة وارسو ممثلة في قسم الدراسات العربيّة. لكن وعلى الرغم من أنّ عملية الترجمة قد بدأت في ما بين 1957 و 1958، إلّا أنّها لم تصدر إلا في سنة 1974 طبعتين إحداها مختصرة في مجلد واحد، والأخرى مفصلة تقع في تسع مجلدات. كما عثرنا على ترجمة للغة البوسنيّة تمّت أثناء حصار سرايفو سنة 1999 عن طريق أسعد دوراكوفيتش الذي كان قد انتخب لتوه كأول بوسنيّ يكون عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ونشرت تلك الترجمة سنة 1999 عن دار نشر ليليان في سرايفو في أربع مجلدات ضمّت حوالي 2500 صفحة وقد أراد لهذا العمل أن يشكل صلة للبوسنة مع العالم العربي والإسلامي بشكل خاص، ليعيد إثبات الهوية البوسنية في وجه اللغة الصرب كرواية.

إنّ هذا الكمّ الترجميّ الهائل لكتاب واحد، يعكس ما يعكس من عناية واهتمام الآخر بالأدب الشرقيّ بوجه عام والليالي الخالدة على وجه التحديد. والأمر هذا يُحوّل لنا أن نُدلي بذاك الشغف والرغبة في التطلع وإكساب الآداب الشعبيّة مكانة مرموقة لم تكن

معهودة من قبل. فكان من افرازات تلك التراجم، أن ظهرت الحكايات البطوليّة والخرافة الشعبيّة بفرنسا. إذ حظيت العديد من المجموعات القصصيّة بإعادة الطبع منها لـ "شارل بيرو Perraut Charles" ومجموعة الأنسة دوليبرت De Lubert ومجموعة هاملتن Hamilton، وغيرها من الحكايات المرويّة آنذاك. أمّا في ألمانيا، فقد جمع كلّ من فيلهام هاوف "مجموعته القصصيّة القافلة" وكذا الأخوين غريم "حكايات الأطفال والبيتو لقد أفصحوا عن تأثرهما بالليالي الخالدة بـ "أنهما استمداً من ألف ليلة وليلة أصول ثمان من هذه الحكايات". ونشر نوفاليس، في الربع الأوّل من القرن التاسع عشر، مجموعته "البصيلة والدم الوردية"، كما اهتمّ الأديب غوته Gothe بجمع الحكايات، وكان "يستمع إلى أمّه وهي تحكي له الكثير من الحكايات مثل "حكاية الحائك"، الذي تزوّج الأميرة، و"حكاية حدائق الجان" و"حكاية جبال المغناطيس"، وغيرها...."¹

أمام عدد التراجم تلك وهذا التصريح وغيره لمستشرقين كثر، لا يسعنا إلا القول أن الخصائص التي انمازت بها الليالي وتفرّدت بها عن غيرها، هذا لأن منطقها وعقلانيّتها لا يقاومان. إنه منطق العقل وسحر العواطف امتزجت بين الواقع والخيال، العادي والعجيب وهذا ما أكسبها مكانة ضاهت بها كلّ أنواع الأجناس الأدبيّة الأخرى

¹.فردريش فون ديرلاين، الحكاية الخرافية، ترجمة نبيلة إبراهيم، بيروت، دار القلم، ص 25.

على مرّ العصور. يقول في شأنها المترجم الانجليزي ريشارد بيرتون Richard Burton

« This delightful selection of tales from the Thousand and one nights , are masterpieces of the art of storytelling. It continue to captivate readers as they have done for centuries »¹

هذه المجموعة القصصية الشيقة من حكايات ألف ليلة وليلة هي واحدة من القصص

المروية التي أسرت القراء وكأنها عادت بهم إلى قرون خلت.

هذه الشهادة واحدة مما لا يعدّ ولا يحصى من آراء نزيهة اتجه الكتاب الفريد –

الليالي العربيّة – والتي اتفقت كلها على أن تلك الليالي الخالدة خلّصت بقيّة النساء من

سلطة شهريار، فلسان شهرزاد شكّل تجربة إنسانية ناجحة نمت وتفاعلت على هامش

الثقافة العالميّة الممتدّة عبر قرون، فقط من خلال المشافهة تشكّلت قدرات خارقة على

تخطي عتبات الزمان والمكان.

¹ Richard Burton – Arabians nights – Penguin popular classic « in the conclusion of the book

الفصل الثالث:

الرواية الإنجليزية الحديثة، مفاهيم واستحواء للعالمية

المبحث الأول: الرواية الإنجليزية الحديثة بين تعددية

المفاهيم

المبحث الثاني: علاقة الرواية بالملحمة، الفانتازيا

المبحث الثالث: نماذج من روايات إنجليزية عالمية

المبحث الأول: الرواية الإنجليزية الحديثة بين تعددية المفاهيم

« No one says a novel has to be one thing, it can be anything »

Ishmael Reed

عُدَّ الأدب ولا يزال على هذا الحال، القلب النابض للحياة. إذ يمدّها بما يضمن استمرارية التواصل مع الآخر والوقوفات مع الذات، الأمر الذي جعل الكتاب يتشربون من فيضه بغية العثور على ما يروي ظمأهم. فكان له أجناسا متعدّدة من بينها الرواية التي انتزعت مكانتها المرموقة بكلّ ما يؤهلّها لذلك عن جدارة واستحقاق، إذ عنيت بتشخيصها لتطلعات الإنسان ومكبوتاته، عرض حال المجتمعات وباطن هموم أسرها من شتى الجوانب، لهذا قد لا نجدها ترسى عند مفهوم محدّد، إذ تلتفّ بالرداء الأسطوري أحيانا وبالملمحيّ أحيين أخرى.

فمن يكون هذا الجنس الأدبيّ الذي أسدى خدمات للإنسان بتحمّله لثقل أعباء دواخله وقضايا المجتمع، واستطاع تشكيل ذاته والسموّ بها دون منازع نحو العالمية؟؟ !! ما هي الخصائص التي تفرّدت بها الرواية دون سواها من بقيّة الأجناس؟

الرواية: لغة: يقول ابن منظور في معجمه لسان العرب " روى الحديث والشعر بروية رواية، وترواه في حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت "تروي شعر في حجية بن المضرس فإنه يعين على البر، وقد رواني إياه رجل راوي" ويقال روى فلان فلانا شعرا، وإذا

رواه له حتى حفظه عنه "1

وعليه يُقال على الذي وقع عليه فعل التروية لقد ارتوى، والواضح من المعنى سقى ظمأه. وهذا ما تقوم به الرواية كجنس أدبيّ، تلبيّ حاجيات الباحث من كافة الجوانب المنشودة بتغلغل مغنطة ألفاظها إلى دواخل المتلقيّ فينساق طوعا إلى تتبع آخر نقطة فيها. ويقول الجوهريّ في معجمه الصحاح "رويته الحديث والشعر رواية، فأنا راو وروّيته الشعر ترويته، أي حمّته على روايته والروي حرف القافية والراء بالضم والمد المنظر الحسن"2. فما يروى لا يشترط أن يكون رواية لقصة قصيرة أو طويلة، بل كذلك حديثا أو شعرا.

اصطلاحاً: معظم النقاد - إن لم نقل كلهم - أجمعوا أن الرواية قصة نثرية مطوّلة، يعتمد فيها الراوي على سرد أحداث بين شخصيّات أو عن شخصيّات وظواهر وقضايا بأسلوب يعتمد على عنصر التشويق حتى يصل المتلقي - قارئاً كان أم سامعاً - إلى نقطة معيّنة تتشابه فيها الأحداث لتبلغ ذروة التآزم وتسمى العقدة في هذا الصدد يقول الأديب أحمد أمين " فلنصطلح على أن نسمي القصة ما كانت قصيرة والرواية ما كانت طويلة والمسرحيّة ما كانت رواية تمثيليّة "3.

حيث إن الرواية قصة مطوّلة - بحسب قول أحمد أمين - فهي إذن أكثر ديناميكيّة بما

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ 1994 م مجلد 14، ص 348

² الجوهري - الصحاح في اللغة والعلوم - تجديد عبد الله العلايلي - دار الحضارة - مجلد 1 - ط 1، 1974 - ص 523

³ أحمد أمين - النقد الأدبيّ - مطبعة المعارف - القاهرة - ط 04 - 1972 - ص 116

أنها تنماز بالاتساع والتغلغل بجلّ ما يعنى بما يحيط بنا من متغيّرات ومتناقضات. تقول عزيزة مريدن: " القصة تتضمن عادة حادثة واحدة تدور حول شخصيّة أو بطل أو بطلين... هذا الفرق بين الأحداث من حيث الشمول. فإن كاتب الرواية ينظر إلى الحياة من مختلف أقطارها نظرة شاملة مستوعبة " ¹.

فالرواية إذن، تحظى بتبني عالم النفس فيؤوّلها وكذلك المؤرخ فيعيشها ويعيد الحياة لأحداثها. أضف لهذا الباحث الاجتماعيّ لِيُشخّص عِلّها ويستنبط أهدافا منها، وتكون بهذا قد اكتسحت معظم الحقول المعرفيّة وتمكّنت من الاستيطان في النفوس.

وقد أدلى بهذا عبد الملك مرتاض عن عدم رسوّ الرواية عند مصطلح تابت بقوله:

" تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه وترتدي في هيئتها ألف رداء وتشكّل أمام القارئ تحت ألف شكل، ممّا يُعسّر تعريفها تعريفا جامعاً مانعاً، ذلك لأننا نلفي الرواية تشترك مع الأجناس الأدبيّة الأخرى " ²

فتزاوجها مع بقيّة الأجناس المعرفيّة، ولّد ما يعرف بالانسيائيّة. يقول عنها هنري جيمس أنها أكثر الأشكال الأدبيّة استقلالاً ومرونة وقدرة ولا يمكن الجزم بتاتا بأنّ تعاريفها ثابتة ومستقرة، وقد اتّضح هذا مع ulysses يولييسيس للكاتب الإيرلندي جيمس جويس

¹ عزيزة مريدن- القصة والرواية - ديوان المطبوعات الجامعيّة - الجزائر - ص 73

² عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، شعبان

James Joyce وقد اعتبرت تلك الأخيرة متحفا لشتى الأنواع الأدبية " رواية ، ملحمة ، أسطورة". الأمر الذي دفع ببعض الكتاب للإدلاء بأنه لا يعتبر ذاك العمل الإبداعي استمرارا لتطور الرواية. وكان منهم ت- س - إيليوت حيث اعتبرها هجر للشكل الروائي العام، وهذا أمر طبيعي مادام الإبداع الإنساني لا يمكن له أن يقنن، هذا لأن الآراء والتوجهات تختلف من شخص لآخر، بين رافض لفكرة وآخر متبنيها. إن هذا الإدلاء يثبت أن الرواية تفرّدت بالاتساع وانمازت بالاشتراكية مع عديد الحقول المعرفية. فالواجب إذن، توسيع نطاق تعريفها بالاطلاع لدي ماهيتها عند الآخر. عرّفها Terry Eagleton

“ A novel is a piece of prose fiction of a reasonable length even a definition as toothless as this, however is still too restricted. Not all novels are written in prose. There are novels in verse; like Puchkin’s Eugene Onegin or Vikramseth’s¹

كما أدلى بشأن تعريفها إدوارد مورغن فورستر **:Edward Morgan Forster**

عمل نثريّ تخيليّ بطول معيّن. أمّا جون فران كرمود **John Frank Kermode** وقصد

توفير الكثير من العناية على الباحث. فقد أضاف كلمة سرديّ بين نثريّ وتخييليّ أي أن

الرواية نثر سرديّ تخيليّ ذو طول معيّن²

¹Tierry Eagleton – The english novel- an introduction – Blackwell Publishing – USA – 2005-

²فرانك كرمود، الرواية والمسرّد، تر: محي الدين صبحي، منشورات الثقافة والإعلام، سوريا، دمشق.

فالرواية لا تقتصر على النشر فقط بل منها ما يتضمن قصائد منشورة. وعليه فالتطرق إليها أكبر من أن نحصرها في تعريف، بل علينا التطرق إلى مفاهيمها إذ أنّ الفرق بين التعريف والمفهوم مثلما هو الحال ما بين الحداثة والمعاصرة وحيث إنّ موضوع الطرح تبني الرواية الإنجليزية الحديثة بالتحديد، لزاما علينا التنويه لما يفصل بين الحداثة والمعاصرة ليس مفهوما معمّقا أو تعريفا لغويّا واصطلاحيا، وإنّما فارق زمني حُدّد لدى الأعمال المعاصرة باحتساب تاريخ صدورها في زمنها المعيش رجوعا إلى الورا بـخمسين سنة مثلا: رواية سان شاين **SUNSHINE** الصادرة عام 2003 للأديب **MEQINLEY ROBRIN** تُعتبر رواية معاصرة. أمّا الحداثة فهي تنتهي من حيث تبدئ المعاصرة وتُقدّر فترتها بمائة سنة مضت على سبيل المثال رواية ملك الخواتم **THE LORD OF THE RINGS** للكاتب رونالد تولكين **RONALD TOLKIN** كتبها ما بين 1937 و1949. تعدّ رواية حديثة وليست معاصرة إذ مرّ على صدورها أكثر من خمسين سنة. في هذا السياق لابد من الإشارة إلى أن هذا التحديد الزمني غير مؤصّل له، بل فُصّل على مقاس المدارس الأجنبية. حيث إنه لا تاريخ لأدب أمريكا ولا حضارة لفكرها. فمن غير المعقول أن تحدّد الحداثة بعدد القرون التي ممكن أن لا تكون قد اكتشفت فيها القارة الأمريكية. فما الحال بآدابها!! فالرواية الإنجليزية الحديثة، أعمق بكثير من أن نتطرّق لمفهومها دون التعرّيج إلى نشأتها المميّزة. إذ

ظهرت في خضمّ الصراعات الأيديولوجية للبرجوازية. فبزوغها كان تعبيراً عن الصراعات الرومانسية القديمة. يقول جورج لوكاش **George lukacs** "الرواية هي الشكل الأدبي الأكثر دلالة على المجتمع البرجوازي"¹. فالرواية الحديثة لم تكن مجرد اجتهد شخصي، بل عدّت منذ انطلاقتها، مرآة للحياة اليومية بكل مشاربها.

« The term modernism refers to the radical shift in aesthetic and cultural sensibilities evident in the art and literature of the post-world war one period. The ordered, stable and inherently meaningful word view of the nineteenth century could not wrote T.S Eliot accord with the immense panorama of futility and anarchy which is contemporary history. Modernism thus marks a distinctive break with victorian bourgeois morality rejecting nineteenth-century optimism »²

وعليه لم تخضع الرواية الانجليزية الحديثة لقواعد الفترة الكلاسيكية. ممّا جعل الديناميكية تضحّل في العصر الكلاسيكي. ومع هذا لم تنفصل عن موروث الثقافة الإقطاعية التي شكّلت عنصراً هاماً اتخذته الرواية لمعالجته بطريقة ساخرة. كما عُيّنت بالتطرق للتعديلات الإيديولوجية على فن السرد المعهود في الدنيا في رواية الفروسية وضمّنها حياة الشعب في العصور الوسطى"³.

بالفعل تحقق هذا الغرض وأقبل الكتاب على حق التأليف الروائي " لقد خلق

¹ جورج لوكاش، نظرية الرواية، تز: نزيه الشوقي، ط 1، دمشق، 1987، ص 15

² - المرجع نفسه - ص 44

³ www.iath.virginia.edu/elab/hflo255.html

سرفانتس الرواية الحديثة بإدخاله الوصف الصادق للطبقات. فكان للطابع الشعبيّ فضلاً في ارتفاع مستوى النشر الذي تحقّق مع بدايات المجتمع البرجوازيّ، ومثل هذا الأمر يحسبه العديد من القراء - سواء عاديين أو مثقفين - مقارنة لم يسبق لها مثيل. إذ أن كليهما متضادين " مجتمع برجوازيّ ≠ رواية جماهيرية ". ولعلّ هذه الوصلة تحقّقت بفضل الرفعة الأسلوبية. يقول جون هالبرين **John halperin** " إن جورج هنري جيمس الذي يُعدّ ألمع منظري الرواية في اللغة الانجليزية، يؤكّد أن على الرواية تجنب تصوير الدينء والبشع وأن على الفن ألاّ يتعامل مع غير الواقعي، بل ينبغي أن يجعل الحقيقة الواقعية مثالية إلى حدّ ما، كي يلهم أرفع ملكات الإنسان ويوسّعها "¹ فالأخذ بالجدية في نقل الواقع البرجوازيّ للعامة، عمل بصورة جلية في إعداد نظرية لهذا الجنس الأدبيّ. إلا أن ذاك التنظير لم يهتم إلا باستنباط قوانين عامّة من العصور القديمة كالدراما، الملحمة، الفانتازيا، الملهاة.... إلخ

وقطعت الرواية شوطاً إلى جانب التطوّر النظريّ دون أن يؤثر فيها. لهذا يجد المتلقي أن معظم الأدباء تقدّموا بهذا الجنس الأدبيّ في نطاق كتاباتهم دون التعمق إلى ما كان ضروريّ التنقيب فيه أكثر. الأمر الذي يحيلنا إلى النظر إليها من زوايا مغايرة بغية التحرّي الصادق قبل النطق بالحكم على أن الرواية لم ترس عند شطّ ثابت بل ظلّت طوال مسارها

¹ جون هالبرين، نظرية الرواية، تر: محي الدين صبحي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، دمشق 1981،

بين مدّ وجزر. لأن مثل هذا الحكم يذبذب الباحث.

ولأن الرواية الإنجليزية الحديثة حظيت بتبني تحويلها و تحويلها إلى نتاجات سينمائية مثلما هو الحال مع رواية " ملك الخواتم " من قبل مخرجين ومبدعين أمريكيين، انساق الطرح نحو المدرسة الأمريكية. يقول عبد الملك مرتاض أنه " من غير الممكن التحدث عن تطوّر الرواية في العالم دون المعاج على المدرسة الأمريكية "¹

هذا ما يومئ بأن للمدرسة الأمريكية دور اتجاه تطوّر مفهوم الرواية باستحضار ما لم تعهده الرواية في مفاهيمها مسبقا. ويعدّ جون دوصباصوص John Dos Passos وجيرتاردستين

Ernest Hemingway و **Gertaud Stein** و **Erskine Cadwell** و **أرنست هيمينغواي**

Hemengway بالروائيين الجدد الذين أكسبوا الجنس الروائي رداء جديدا. إذ قاموا بإدخال تقنيات سينمائية على كتاباتهم، فلقّبوا برواد المدرسة البيهافوريّة نسبة إلى المصطلح الإنجليزي **Behaviour**. هذا لأنهم ناشدوا التعبير عن السلوك بتشخيصها و كذا التمعن في المواقف بالحركات. ويدلي عبد الملك مرتاض في هذا الشأن عن المدرسة البيهافوريّة " كان قصاراها وصف السلوك والحركات والمواقف حتى في حال بدوّها دونما دلالة أو معنى والتركيز على الصفات والعناصر التي تتيح للقارئ انطلاقا من أن يعيد بناء الشخصية

¹ عبد الملك مرتاض- المرجع السابق - ص 37.

الحقيّة للشخصيات التي يصادفها عبر الإبداع الروائي¹

فعرفت هذه التقنيّة المستحدثة بتقنيّة السرد الموضوعي على الطريقة الأمريكيّة. هذه الأخيرة التي لم تكن مألوفة مسبقا. إذ انتقدت الرواية الحديثة نمطيّة التسلسل الزمنيّ ووسّعت من النطاق المكانيّ. إلّا أن المتلقي يجد لدى المدرسة نفسها أنها توظّف ما يعرف

Le monologue interieur وهذا ما يتبدّى في رواية **Tandis que j'agonise**

لويليام هاريزون فولكنير **William Harrison Faulkner**. كما يستطيع القارئ أن يستشف التحرّر من التصنع البلاغيّ في روايات هذه الحقبة و مع هذا يمكن القول عن هذا

الجنس المعرفي، أنّه بقي أسيرا لبرهة زمنيّة في النطاق الأمريكيّ " و لعلّ أوّل من روج لهذا

النوع الروائيّ بنجاح مدهش هو الكاتب الإنجليزي جيمس هيدلاي **James Hadeley**

Chase الذي استطاع أن يطبع هذا النوع الأدبيّ بفضل ما أوتيّه من موهبة جعلته

يجمع في مضمون أعماله الروائيّة بين هول الشراسة وجمال العاطفة مضمونا وبين صرامة

العقدة وروعة الحوار شكلا²

فبفضل جيمس هيدلاي، حقّقت الرواية الأمريكيّة رواجاً وذيوعاً في الولايات

المتحدة الأمريكيّة وبريطانيا. وسار على منوال هذه التقنيّة الأمريكيّة العديد من الأدباء

¹ عبد الملك مرتاض، المرجع السابق ، ص 38

² المرجع نفسه، ص 40

الانجليز، وأصبحت خاصيّة من خصائص الرواية الإنجليزيّة الحديثة التي أثبت قرائها والنقاد أنّها خلّصتهم من الطريقة الكلاسيكية بما فيها من توقع في الشبكة العلائقية بين الراوي وشخصيات روايته ، وهذا ما يعرف بالرؤية من الخلف " وكانت هذه الرؤية من الخلف تحكم على الروائيين التقليديين، أي على السرد الذين يتقمصون شخصياتهم أن يتظاهروا للقارئ بمعرفة كل شيء فالسارد أو الراوي تلفيه دائما متفوق على الشخصيات"¹

فاستساغ الأدب الحديث أذواق القراء وفق ما يتماشى والمستجدّات الاجتماعيّة، التاريخيّة، وكذا الراهن الثقافيّ آنذاك. فمن غير المعقول أن تكتب رواية حاليّا بمثل خصائص الرواية التي كتبت في القرون الماضية. إذ لكلّ فترة مظهرات حضاريّة تفرز تغييرا في الآداب والفنون، منهاجها وكذا خصائصها.

وعلى الرغم من أن هذا الأمر متفق عليه لدى معظم النقاد – إن لم نقل كلّهم – إلا أن هناك من الأدباء من اقرّ بعدم تمكّن الروائيين من إحداث قطيعة مع النمط الروائيّ التقليديّ. أي أن الرواية الحديثة لم تحقّق ما كانت تصبو إليه من تفرّد. المعنى أنّها لا تعدّ سيّئة و لا مرموقة عن الروايات السابق عهدا، مع أن العديد منهم اجتهد في كسب التميّز مثلما حدث مع غوستاف فلوبيير Gustave Flaubert "وتتجلى براعة فلوبيير في هذه الرواية خصوصا في واقعيّة التحليل وفي صرامة اللغة، وتبدى هذا في رواية مدام

¹Todorov, les catégories du récit, in communication, N 8, Seuil, 1966, P141

بوفاري **Madame Bovary** لفلوبير غوستاف 1880-1821 **Flaubert Gustave**

إذ جنح إلى الواقعية واعتبرت أول رواية واقعية ، إلا أنه لم يستطع التخلص الرومنطيقية المتجلية في رواية صلامبو **Salambo** فـ "فلوبير على الرغم من أنه أعطى أو حاول أن يعطي في روايته هذه خصوصاً، صورة موضوعية للحقيقة فإنه لم يستطع الإفلات من أناقة الأسلوب التي ربما كانت تثقل لغة روايته كما لم يستطع الإفلات من بعض السمات الموروثة عن الخيال الرومنتيكي"¹

أمام معضلة عدم القدرة على تحقيق التغيير، توالى الاجتهادات من عديد الأدباء أمثال أندري جيد **André Gide** وفيدور ديستوفيسكي **Dostoievski Fedor** إلا أن تلك المساعي لم تنزاح كلياً عن ذكر الأنا والتغني بمآثرها. وعليه لم يتغير قالب الروائي الحديث بشكل كليّ مثلما كان متوخّى، ومردّ هذا قد يعود إلى اقتناع بعض النقاد بأنه لا مفرّ من الخروج عن الشكل التقليديّ وأن ما يقام اتجاه الرواية التقليديّة هو مجرد زحزحة. من بين أولئك النقاد أرنولد بينيت **Arnold Benet** الذي أدلى بأن ركيزة الجودة في الرواية "إنما يكمن في بناء الشخصية و لا شيء بعد الشخصية و لا شيء بعد ذلك"²

فالحضور الشخصيّ إذن، شكّل نقطة مركزيّة في الدائرة الروائيّة المرسومة بخط ذاتي

¹ عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص 59.

² المرجع نفسه - ص 59.

من بدايتها وأحيانا إلى خاتمتها. فالتألق في الأسلوب المتجلى في المغنطة اللفظية التي توقع بالقارع في شبك النص الروائي، أمر نابع من الذات النصية التي تعكس دواخل ومرجعيات الكاتب - الروائي - لهذا ما حدث أثناء محاولة التغيير لخلق الحداثة كان أمرا منهكا وشاقا على الرغم من تغير الظروف المحيطة بالروائي ومواكبته مستجدات راهن أي حقل سياسي، اجتماعي، اقتصادي....

فكيفما طرأت الحداثة على الرواية وأنى بذل الروائيون والنقاد قصارى جهودهم لإحداث نقلة من قالب إلى قالب كتابي آخر، نجد الحضور الذاتي مستفحلا في جذور أي نص روائي إما بالتجلي لذات الروائي أو إبراز ذاته النصية "أسلوبا ومضمونا" في الرواية. لهذا وإن اعتقد أي متلقي - ناقدًا كان أم قارئًا - أنَّ الرواية تعاني من الاضطراب المفاهيمي وتبقى على حالها بين مد وجزر. فإنَّ هذه الخاصية تعكس صورة إيجابية على أنَّ مفهوم الرواية أعمق من أن يحدد في إطار معين، وهذا يدل على ثراء وغنى البعد الدلالي المرتبطة بالمفهوم الروائي. ومهما كانت الاختلافات متأصلة وملازمة للمفاهيم الروائية، تبقى الرواية جوهر المعرفة الإنسانية التي حظيت بتبني معظم ما يعيشه الإنسان داخليا وخارجيا باستشارة مواقفه اتجاه نفسه والآخر، وكشف ما ينتجه المجتمع من معطيات سلبية أو إيجابية، لهذا لا يمكن أن يتلقاها القارئ بقراءة على مضض. بالعكس، فقد أسرته وامتدت به إلى لا

منتهاها. وعليه تماهى وتوحد معها المتلقي لأنها نُهت بكل ارتياحيه من الأسطورة ، الملحمة ، القصص الشعبية بتحررها من شبك التقنين والاعتماد على الخيال المطلق والعوالم العجيبة في صلب العادي. فتخلق فضاء آخر ليس من اليسير تحديد إطاره إن هو أدب الملاحم أم الأدب الفنتازي أو الأدب التوليكني - نسبة للدور الفعّال الذي قدّمه تولكين **Tolkien** في تطوير هذا الجنس الروائي من خلال ثلاثيته ملك الخواتم.

فهل سيتم التعرف على الوجه الروائي الحقيقي إذا ما أزعنا قناع الملحمة أو الفنتازيا عنها؟؟ ولو أنه من المفروض أن نتأكد مسبقا من أن الطرح اكتسى ما يؤهّبه للقيام بهذه العملية... و إذا افترضنا أنه سيكتسبها من خلال التطرق إلى تعاريف و مفاهيم كل واحد منهم . فهل هذا كفيّل بأن يبرز مدى العلاقة بين هذه الأجناس الأدبيّة؟؟

المبحث الثاني : علاقة الرواية بالملحمة، الفانتازيا

إذا ما خطَّ الكاتب رواية، فاعلم أنه فقد وطنًا، وإذا ما دوّن ملحمة فتأكد أنه تبصّر لأهوال الأوطان، وإذا ما ضمّن الفنتازيا، فاعلم أن واقعا مريرا اعتراه أثناء ملحمة، واصطدم بجرح قناعته أن الحياة روايات و ملاحم وعليه أن يروّج عن كتابته بجمالية الخيانة للواقع عبر التحليق في فضاء اللامعقول...

عديد النقاد يزعمون أن الرواية إنما يعود منشأها إلى الملحمة. والحديث يدفعنا للاعتراف بأن أيّ ناقد أدبيّ هو مدين لجورج فيلهلم فريديريش هيجل **Georg Wilhelm Friedrich Hegel** حين سمّى الملاحم الحديثة مثل " الكوميديا الإلهية لدانتي أليغييري **Dante Alighieri** وهي بطبيعة الحال، ملاحم شعريّة وقد اعتبرت أنها لا تكاد تعدو أن تكون قد قامت بمحاولة لاستمرارية اللامعقول في شكل من الأشكال الأدبيّة و بما أن تيار اللاوعي رافقها، فإن النوستاليجيا¹ تمكّنت منها واتضح هذا التمكّن في تشبّت تلك الملاحم بما هو أقدم منها في الظهور. الأمر الذي ضمن استمرارية الأشكال الأدبيّة القديمة ردحا من الزمن، إلى حين تخلّص العقل من بعض ما حوته من ترهات طفحت بصورة مبالغ فيها على نصوصهم.

¹ التوضيح المسرد.

فكيف لنا إذن، أن نوضّح موقف العقل وهو عند الحدود الفاصلة بين التظاهرات العقلانيّة للرواية وما لا يمكن أن نعتبره حقيقة وفي الوقت ذاته غيبيّات تجلّت بعض ملامحها في الماضي الملحمي؟؟

افتراض الطرح أن العقل لن ينحاز لواحد منهما على حساب الآخر، بل سيتبنّى جنسا أدبيّا أحبه وبتردّد على جنس آخر يرافقه في مسيرته التاريخيّة. ولو افترض أيّ شخص أنه لزاما على العقل الحسّم في الأمر بينهما، فإنّ الموقف يحتاج لعديد السنوات حتى يستجمع كل المؤهلات الشعوريّة واللاشعوريّة. إذ قُدّرت المدّة الزمنيّة بين الملحمة والرواية بثلاثة آلاف سنة. يعني أنه من غير المعقول أن لا تكون قد تغيّرت نظرة العقل إلى العالم الملحمي !! بل أصبحت أكثر عقلانيّة. حيث إن هذا الأخير لا يمكن أن يلجم تصوّره لعالم الآلهة، الأرواح، الأرض السفلى، البشر الخارقون... كما أن الملحمة لم تستبعد الحديث عن الواقع، بل استحضرت كذلك شخصيّات حقيقيّة أدت أدوارا واقعيّة. فالقضيّة ليست مرهونة بالواقع أو الخيال، وإنّما في تقصير إنتاج الواقع لما يتقبّله العقل. فمن يكون هذا الجنس الأدبيّ الذي عبّر عن انزياح المعقول نحو اللامعقول نتيجة تفريط الواقع في إبداء الحقيقة؟؟

تعريف الملحمة:

قيل عنها القتال العظيم الذي تلتحم فيه السيوف وتسفك الدماء فيكثر القتلى وتتطاير لحومهم. وجمعها ملاحم مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم لدرجة التصاق الثوب باللحم من شدة التزاحم وقد تكون نتيجة فتنة.

أمّا بما تعنيه ماهيتها في الفن الأدبيّ فهي: "نوع خاص من الشعر القصصي البطولي الذي لم تعرف العربية شبيهاً له من حيث البناء القصصي المكتمل، ومن حيث الحجم العددي للأبيات الشعرية التي تبلغ الآلاف، ومن حيث الشخصيات التي تسمو فوق المستوى العادي للناس الأسوياء. وتتصف بما هو من سمات الأبطال الأسطوريين. ومن سمات الآلهة أو أنصاف الآلهة في المعتقدات الوثنية البدائية، ومن حيث الأحداث والوقائع الخارقة التي تتخللها، ومن حيث الوقائع الحربية التي يخوض الأبطال الملحميون غمارها والمآثر الخارقة التي يحققونها والتي تدخل في صميم الصراع الوطني والقومي دفاعاً عن حق مغتصب وفي سبيل أن تحيا الأمة التي يمثلونها بحرية وكرامة وهناء"¹

وقد ورد ذكرها في النصوص الإسلامية أنّها معركة عالميّة تقع في آخر الزمان، يتحالف فيها المسلمون والروم ليقاتلوا عدوّاً لهم، فيلتقون بأرض فلسطين عند سفح جبل

¹ إميل بديع يعقوب - ميشال عاصي - المعجم المفصل في اللغة والأدب - دار العلم للملايين - بيروت - المجلد 1 - ج

2 - سبتمبر 1987 - ص 1191

يحاذيه واد. وقيل واد أيلات بين مدينة العقبة الأردنية من الشرق وبلدة طابا المصرية من الغرب.

وقد أخبرنا عنها النبي صلى الله عليه وسلم ﴿سَتَصَالِحُونَ الرُّومَ صَلَاحًا آمِنًا فَتَغْزُونَ أَعْنَاقَهُمْ وَهُمْ عَدَوًّا مِنْ وَرَائِهِمْ فَتَسْلُبُونَ وَتَغْنَمُونَ ثُمَّ تَنْزِلُونَ بِمَرْجِ ذِي تُلُولَ فَيَقُومُ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ فَيَرْفَعُ الصَّلِيبَ وَيَقُولُ غَلَبَ الصَّلِيبُ فَيَقُومُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَقْتُلُهُ فَيَغْدِرُ الرُّومَ وَتَكُونُ الْمَلَا حِمٌ فَيَجْتَمِعُونَ لَكُمْ فِي ثَمَانِينَ غَايَةً مَعَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا﴾¹ رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني

وفي رواية أخرى عن أبي الدرداء رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْكُبْرَى فَسَطَّاطُ الْمُسْلِمِينَ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا الْغُوطَةُ فِيهَا مَدِينَةٌ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ خَيْرُ مَنَازِلِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ﴾²

يتبدى لنا جلياً أن لفظة الملحمة متواجدة في النص النبوي الشريف، الأمر الذي يجعلنا نعيد النظر إلى إعادة صياغة تعاريف ومفاهيم الملحمة. إذ ليس بالضرورة أن ترتبط الملحمة بالأسطورة أو الخيال. كما يزعم العديد من الدارسين، فمن المستحيل وغير المنطقي أن يأتي الشرع بما يخالف الوعي. بل إن المرجع المروج لهذه المفاهيم البعيدة عن مصطلح الملحمة، إنما يعود إلى الغرب. وقد عرفت الموسوعة البريطانية بما يلي:

¹ <https://saaaid.net/Minute/m69.htm>

² رواه مسلم

Definition of Epic

Britannica Encyclopedia explains the word epic as

"Epic, long narrative poem recounting heroic deeds. literary usage, the term encompasses both oral and written compositions. The prime examples of the oral epic are Homer's Iliad and Odyssey"¹

نلاحظ أنّ لفظة الأعمال البطوليّة متفق عليها في شرح معاني الملحمة لدى القواميس العربيّة والأجنبيّة، إلّا أنّ العقل العربيّ قرنها بالمعقول ووظّفها فيما سيحدث لاحقاً من أحداث ستكون قائمة حقّاً بما ذكرت من وصف، هذا لأنّها وردت عن سيّد البشريّة محمد صلى الله عليه وسلم، أمّا في الفكر الأجنبيّ فمالت إلى المبالغة الخياليّة الخارقة أكثر منها إلى الحقيقة المعروفة لدى العرب.

إنّ هذا التوضيح النسبيّ يجد مسوغاً للإدلاء أنّ الثقافة العربيّة الإسلاميّة لم تؤسّس على ركائز واهية مستنبطة من شعر وخرافات كما يزعم المتعصبون، بل لها من الدلائل العقلانيّة المتجسّدة على أرض الواقع ما يجعلها تفرض مكانتها بكلّ جدارة واعتزاز. أمّا بالنسبة للفانتازيا، فهي تنماز عن الملحمة كونها تقحم الخيال في الأدب وينتفض العقل فيها من قيود المنطق والوعي، كما تخضع لقوانين ميتافيزيقيّة وفيزيائية تختلف تماماً عن قوانين واقعنا، وتتطرق لأشخاص خارقين فوق العادة كأن

¹<https://letterpile.com/books/The-Epic-Definition-Types-Characteristics>

يكونوا أنصاف آلهة أو يمتلكون قوى يتفردون بها، ودرجة الوصف فيهم تبلغ حد التشخيص الحي، فيكاد يحسبهم المتلقي حقيقة. لهذا اعتمد عليها الخيال العلمي وروّجت لها وسائل الإعلام وأضحى المتلقي يستقبلها وهو في حيرة من أمره الذي يفترض أنها قد كانت حقيقة في يوم من الأيام أو أنها فعلا ستكون. وقد عرفها الأجنبي أنها:

“Fantasy is a form of literary genre in which a plot cannot occur in the real world. Its plot usually involves witchcraft or magic, taking place on an undiscovered planet of an unknown world. Its overall theme and setting involve a combination of technology, architecture, and language, which sometimes resemble European medieval ages. The most interesting thing about fantasies is that their plot involves witches, sorcerers, mythical and animal creatures talking like humans, and other things that never happen in real life¹

إن المقاربة بين الملحمة والفانتازية تكاد تقترب من بعضها البعض، لكن في جوانب سطحية. في المقابل تقترب من الرواية إلى حد بعيد جداً. وستتضح أكثر بعرض أوجه التشابه والاختلاف من خلال التطرق إلى الشخصية البطولية الروائية وكذا الملحمة، مرفقين هذا المسار بتطور الملحمة إلى حين التفافها بالرداء الروائي. وكذلك علاقة الأسطورة بهذا المجال.

¹<https://literarydevices.net/fantasy>

إنَّ أول خاصيَّة تتلمَّسها في النصوص الملحميَّة، هي تعدُّ الأبطال وحتى إن كان بطلا واحدا، فإنه يمثِّل مجموعة ممَّن تبنَّتهم سواء آلهات أو أشخاص عاديين. كما أنَّ البطل الملحميَّ يعبِّر عن مشاعر معظم من في الملحمة، وعليه نجده في معظم الحالات شاعرا يروي أعماله البطوليَّة ويتغنَّى بها أو يكلف أحدا من مجموعته يقاسمه هذا الدور من باب أن يعينه وليس من باب مشاطرته في المكانة البطوليَّة. هذا لأنه يظهر للمتلقّي بقدرات ميّزته عن البقيَّة من بينها أنه مكتمل الإيمان وعلى وعي وإدراك تامين في أنَّ قواه الخارقة ستصنّف في مسار التاريخ للمجتمعات اللاحقة. وما يثير انتباه المتلقّي لدرجة قبول فكرة البطل الملحميَّ، أنه يصرّح بما يقوم وفق ما تفرضه العدالة والنزاهة وهما كفتي ميزان الأهداف الساميَّة. " وغالبا ما يستبعد الاستبطان ويتحلّى دائما بثقة عالية بنفسه ولذلك فإن الملحمة تعكس وبكل جلاء مآثر البطل منذ ولادته حتى وفاته ويظهر هذا التعاقب بوضوح تام في ملحمة كلكامش"¹.

أمّا بطل الرواية فنجدّه في معظم الأحوال — إن لم نقل كلّها — فردا له دوره الخاص به والذي يتميِّز به دون غيره. إذ نجده في العادة إمّا متناقضا مع مجتمعه أو لديه أعداء، أي أنَّ الصراع يكون بين عالمه الخاص والعالم الخارجي. فأكثر ما ينطوي في إطار

¹Robert Scholes - The Nature of the Narrative ,Oxford University Press, Oxford, 1971.p.208

النص الروائي، علاقة البطل بضميره وكذا بالمحيط الخارجي. ومادام أن هذه العلاقة مستفحلة في الرواية بهذه الوتيرة، فثمة مسألة تتبدى للمتلقّي، وهي تعارض البطل مع موضعه وقدراته. ليس لعدم ثقته في ذاته، وإتّما لرفض العالم الخارجي قبول ما يستحضره البطل الروائي. ويعد هذا من صميم الأفكار الجوهرية للرواية. "فإمّا أن يكون أكبر من قدره أو أن يكون أصغر من إنسانيّته-على حدّ تعبير ميخائيل باختين-¹.

وعليه فإن بطل الرواية في منظور جورج لوكاش هو شخصيّة مربية زجّ بنفسه في سجن فولاذيّ يبحث داخله عن الحرّيّة والقيم المطلقة دون أن يتلمّس هذه القيم أو حتى يحظى بتحقيق نصيب منها في محيطه الخاصّ.

ونجد مثل هذا العنصر عند فلووير، إذ يؤدّي البطل أدوارا متعدّدة. كما أن القارئ يجد نفسه مقحما في الرواية، إما بحسب نفسه يؤدّي دور البطولة أحيانا وشاهدا على الأحداث أحيانا أخرى.²

ومن جانب آخر، نجد من أبرز الخصائص المهمّة للملحمة، الخاصيّة البطولية للأحداث والوقائع. إذ تعالج الملحمة بصورة عامة حدثا بطوليّا يتأسّس على فكرة الروح

¹Mikhail Bakhtine- claud prevost - Epopée et roman, Les Éditions De

²Michel Clouscard La Nouvelle Critique - - Paris, 1973.p.36

الوطنية أو القومية، فضلا عن أن الملحمة تعتمد في معظم الأحوال على فكرة الحرب والتضحية للبلاد، ويعتبر المحاربون هذا الدفاع، قضية سامية ترتقي لأعلى مدارج النبيل.

في المقابل لا نجد مواضيع الرواية تتحدث عن فكرة رئيسية بطولية، بل نجدها تروى لنا التضحيات التي يقدم عليها البطل وفقط " فهي إذن تعبير صريح عن التجربة الفردية التي تعكس في الوقت نفسه حياة الناس اليومية بأفراحهم وأقراحهم"¹. فهي إذن مرآة عاكسة للحياة الواقعية التي نعيشها وميزة الرواية الجيدة، تلك التي تقدم صورة حيّة ناطقة ولو لجزء ضئيل من الواقع الإنساني. وتعرضه بأسلوب يفهمه عامة الناس أو على أقل تقدير يشعرون بمحتواه فيفترضون نهاية للنص الروائي. فالعمل البطولي لديها يركز على انسجام البطل الروائي بكل أطراف المجتمع.

كما نجد ضمن العناصر الجوهرية للملحمة، الأسطورة الوطنية والماضي المخلّد. إذ يعتبران أمرين مقدّسين. فهذا الماضي المقدّس يعتبر صورة الأساطير الوطنية التي تعكس وجه الحياة آنذاك. فاستحضار الماضي في الملحمة هو موضوعها في حين أن الأسطورة مصدرها. والأكثر من ذلك، نجد الملحمة تقنّن لهذه الخاصية يجعلها بعيدة عن التجربة الفردية أو عن أية مبادرة شخصية لدراستها وعليه، يعتبر النص الملحمي منجزا يركز في

¹Roland Eluerd: Anthologie de la littérature française, Larousse, Paris, 1985, p.228

كله يعبر إلى أحداث من الماضي العريق والمقدس. في هذا السياق يجدر بنا التنويه إلى أن ذاك الماضي القومي والبطولي إنما هو في الواقع عالم الأجداد والأسلاف هذا العالم المبني على تخليد المآثر السالفة تختص به الملحمة دون غيرها. لذا، نجد الماضي لا يتمتع بأهمية بقدر ما تتمتع بها مضامينه. إذ لا يجد المتلقي ملحمة عريقة قصائدها تعالج أموراً سالفة، بل تتطرق إلى الوقائع والأحداث التي نظمت على إثرها. بينما نجد الرواية متاخمة مع الحاضر سواء مكتملاً أو ناقصاً، تعرضه مثلما هو حاله في قالب أقرب إلى الحقيقة أكثر من أيّ جنس آخر. فالحاضر مركز تطلّع وتوجه الإنسان العقلاني. لهذا عُدَّ نقطة انطلاق بالنسبة للروائي، لكن في الوقت ذاته لا يهْمُش الماضي. هذا لأن عرضه لا يفترض بالضرورة تحديثه أو عصرنته. في هذا الصدد، ينبغي أن نشير إلى ذلك النمط الروائي الذي ظهر في أوروبا في القرن التاسع عشر والمتمثل في الرواية التاريخية بإنجلترا. يعدّ السير ولترسكوث **Walter Scooth** مؤسساً لها، بعدها ظهرت في فرنسا على يد الكساندر دوما **Alexandre Dumas**. وكانت مرامي الرواية التاريخية الّ مساعي حثيثة لإعادة إحياء الحضارة وحياة المجتمعات السالفة لحماية مآثرها من الاندثار وتجنّبها الوقوع في دائرة النسيان مستقبلاً.

وعندما نتلقّظ برواية تاريخيّة، فالمعنى أن الروائي يعتمد في هذا على التاريخ لينهل ويتشرب أفكارا وأحداثا. إلا أنه على الناقد ألا يعدّها في خانة المصادر التاريخيّة الموثوقة، نظرا لاستفحال الطريقة الأدبيّة التي تم عرض الأحداث التاريخية بها، فضلا عن قدرات الكاتب على جعل الشخصيات تؤدّي الدور التاريخي والخيالي في آن واحد، وعليه فقد يشوب النص تغيير للوقائع الأصليّة من خلال تغيير الأماكن أو المبالغة في أداء الدور وبالتالي تشويه للحقائق. هذا ولأنّ المتلقّي يتساءل إن يمكن اعتبار الرواية التاريخية كتابا تاريخيا لغرض دراسة التاريخ وحفظه. لذا لابدّ من الإشارة إلى مهامّ المؤرّخ وما يقوم به من تحقيق وتمحيص. فمن البديهي أن يحترف المؤرّخ مهمة تدوين الوقائع والحقائق التاريخية لفترة ما حسب تسلسلها الزمني مع بعض التحليل والتعليق والتتبع بكل دقة ومصداقيّة وموضوعيّة مطلقة. أمّا بالنسبة للرواية السياسيّة أو الاجتماعيّة.... فإنّها لا تتعدّى أن تكون سردا يتخلّله الخيال بأحجام متفاوتة بحسب الأحداث المتضمّنة لشرح ووصف لأشخاص وأماكن يدور فيها الحدث وفي معظم الأحوال تكون كل من تلك العناصر المكوّنة للرواية والسابق ذكرها - أشخاص، أماكن - حقيقة. إضافة لعنصر الحبكة الفنيّة والشخصيات المحوريّة وغيرهما من العناصر الأخرى. وبناء على ما تقدم ذكره، يتضح نوعا ما الفرق بين السرد التاريخي والسرد الروائي.

كما تتضح كذلك مكانة الحاضر بالنسبة للرواية وأهميّة الماضي بالنسبة للملحمة، بالنسبة لأهميّة الحاضر في الرواية، فإنّها تكمن في اعتماد الراوي على حدسه الشبه حقيقيّ. بينما الملحميّ يعتمد على التنبؤ وهو في معظمه خاطئ. على الرغم من الدور الفعّال الذي تؤديه النبوءة في سيرورة الملحمة. فنلاحظ كيف أنّ الملحمة تعكس العلاقة المزدوجة بين التاريخ – وهو جملة من الحقائق – وفي الوقت ذاته تنبأ لا علاقة له بالحقيقة التاريخية.

ومن العناصر الجوهرية المكونة للملحمة عدم وجود أي صيغة تعكس وقوع جرائم أو انحرافات عن قاعدة المجتمع. حيث تتجاهل هاتين الميزتين بإقامة حدود لها في النص، من خلال إزاحة الضباية بين الجريمة والبطولة وبين الانحراف والاستقامة. لهذا اعتبرها جورج لوكاش عالما طفولياً بريئاً. وأن أيّ انتهاك لقيمها، سيعرّض صاحبه إلى الثأر الذي يؤدي إلى انتقام آخر وهكذا دواليه .

إلا أن الراهن الروائيّ يفصح بأن الرواية في معظمها، تعالج مواضيع شتى مستوحاة من الواقع اليوميّ بصورة مباشرة، فملتقى إذن سيجد حتماً بين ثناياها الجريمة، الانحراف، الآفات الاجتماعية والعلل السياسية مستفحلة في الرواية.، هذا لأنهما من حياتنا اليومية. لذا نجد الروائيّ دائماً في حالة بحث دائم عن الاستقرار وتبات الذات.

وما دامت رحلة البحث هذه روحية في جوهرها فإنه سيواجه المشقة، يكابد ويتجرّع الحقيقة المرة ويبحث عن حلاوتها في كلمات ييوح بها في نصّه. ففي الرواية دائماً يتواجد العالم الداخليّ والعالم الخارجيّ المحيط بالبطل. أمّا الأول فهو اجس وهوا جس وأفكار والثاني فيجسّده المحيط والوسط الذي يعيشه البطل. والعلاقة بين هذين العالمين متواجدة على مستوى العالم الداخلي الذي ما هو إلّا نتيجة حتمية للثاني. بالفعل نجد الهوا جس والأفكار الموجودة في دواخل البطل من العناصر الجوهرية للنمط الروائي إلا أن أهميتها تكمن بمقدار علاقتها الايجابية مع العالم الخارجي.

أما الملحمة فنجدها خالية من الهوا جس والاستبطان، فالبطل الملحمي ليس في ذات الموقع الذي يجد البطل الروائي نفسه فيه. فالملحمة تعبر بالدرجة الأولى عن مشاعر الجمهور مع التركيز على العمل البطولي في حين أن البطل الروائي يبدو لنا في حالة صراع ومواجهة مشكلات بينه وبين العالم الخارجي المحيط به من جهة أخرى. وفي هذه الحالة، تجبره المشكلات على أن يعبر عما يطن بغية إيجاد التوازن النفسي والاجتماعي. والأكثر من ذلك، فانه بالإمكان التطرق إلى نفسية الشخصية الروائية وهو عنصر لا وجود له في الملحمة!!

بعد الاستعراض السريع للخصوصيات المميزة للملحمة والرواية أصبحنا على بينة من سمات كل منهما. وفي ضوء ذلك، تتجلى الملحمة عبر وحدة الحدث والعمل البطولي والنبيل والسرد والصور الجميلة الخالابة.

وأخيرا استعمال العناصر فوق الطبيعة فلا توجد ملحمة دون آلهة فضلا عن دمج عناصر تاريخية وأخرى أسطورية، إما على صعيد الرواية فهناك السرد الخيالي والقصة المروية ووصف الأشخاص وحالتهم وظروفهم. ويجدر بنا أن نشير إلى أن تطورا بارزا طرأ على الملحمة في القرن الثامن عشر حيث تحولت الملحمة إلى رواية. وبعبارة أخرى , بعد الضعف الذي منيت به الملحمة بدأ بعض الروائيين إدخال بعض السمات الملحمية في الرواية ونشا من جراء ذلك ما يعرف بالرواية الملحمية وتعد هذه وثبة كبيرة ونوعية في تاريخ الرواية والملحمة. فالأدب الانكليزي الذي كان له حظ كبير في هذا المجال شهد تطورا كبيرا إذ استطاع جون ميلتون في " الفردوس المفقود " أن يحقق نجاحا في المجال الملحمي. وقام دانييل دي فوي من بعده بتحويل الشكل الملحمي الشعري إلى صيغة نثرية وادخل بعض الخصائص الملحمية في بعض من رواياته ثم جاء من بعده هنري فيلدنج فادخل العنصر البطولي في الرواية. أمّا في الأدب الفرنسي فقد كانت هنالك محاولات عديدة في هذا الاتجاه إلاّ إن نصيبها الإخفاق ما عدا بعض الاستثناءات حيث

قام فيكتور هوجو بمسعى ناجح ومع هذا تبقى المحاولة الأكثر نجاحاً هي التي قام بها بلزاك في نقله الملحمة من الشعر إلى النثر في "الكوميديا البشرية" التي تتسم بالكلية الروائية. ويتجلى البعد الملحمي بوضوح في الملحمة الحديثة. ولعل من أشهر الروايات الملحمية في القرن التاسع عشر ما شهده الأدب الروسي من تطور هام والذي تجسده رواية "الحرب والسلام" لتولستوي Tolstoy التي كتبت حسب التقليد الملحمي المتعارف عليه.

وفي الحقيقة تطور النمط الروائي بشكل كبير وملحوظ في القرن التاسع عشر وهو ما يتماشى مع تحقيق الطموح الكبير من الوصول إلى الرواية الكلية وبعبارة أخرى الرواية التي تعكس كلية العالم والمجتمع. ونتيجة لذلك غدت الرواية الصيغة المعاصرة للملحمة وحتى في الواقعية أو الطبيعية فإن الكلية الروائية تعمل على توسيع أبعاد الطبيعية والملحمية ولربما يكون إميل زولا رائداً في هذا المجال.

وعلى الرغم من المحاولات الجادة لتقعيد الرواية، وتحديد خصائصها البنيوية والوظيفية وتجنيسها، إلا أن الباحثين لم يتوصلوا إلى تحديد أي سمة ثابتة ومستقرة للرواية، دون إبداء تحفظات تقضي على هذه السمة بالإعدام". فالرواية - إذاً - جنس

أدبي مفتوح، وهي بالتالي "النوع الأدبي الوحيد الذي لا يزال في طور التكوين، والنوع الوحيد الذي لم يكتمل بعد " ..

وهكذا نخلص إلى أن الرواية جنس أدبي منفتح وغير مكتمل، تتخلله عدة أجناس أدبية كبرى وصغرى. وتتسم كذلك بالطابع الدينامي والتشعب والتوسيع الخيالي والتعدد اللغوي والصوتي والأسلوبي، بالإضافة إلى كونها مرآة لتشخيص الذات والواقع وطرائق وصياغتها. كما أن الرواية صراع جدلي بين الذات والموضوع، وتعبير عن اغتراب الإنسان في مجتمع منحط يفتقد القيم الأصيلة والمبادئ الكيفية. فهي في الأخير تصوير لنشئة المجتمع المعاصر الذي تنخره الماديات وتنهشه الغرائز الكمية.

باختصار أنتج التصور القديم "الملحمة" وأنتج التصور الجديد "الرواية" وفقا للحتمية التاريخية في الانتقال من اللاوعي إلى الوعي، من الشعر إلى النثر. فالرواية الحديثة ليست نتيجة رغبة هذا الروائي أو ذاك. إن فيلدنغ أو ديفو أو رتشاردسون لم يخطر هذا الشكل على بالهم فاخترعوا الرواية الحديثة، بل إن هذه الرواية، هذا الشكل الجديد للملحمة، هي محطة من محطات الحتمية التاريخية. فالعقل الكلي هو الذي اختار ذلك. ونقول اختار ذلك من دون أن نعني أنها رغبة من رغباته، فالأمر نتيجة لعملية جدلية طويلة جدا.

استطاع هيغل أن يمتنع المثل الأفلاطونية على نحو مذهل، وأن يشرح حقاً كلمة

أرسطو في أن السامي إذا ظهر مرة فإنه سوف يظهر كل مرة.

المبحث الثالث: نماذج من روايات انجليزية عالمية

لقد سبق التطرق إلى مفهوم الرواية ومحاولة تبيان مدى التداخل بينها وبين الملحمة والفتازيا، وتبين أنها احتلت الصدارة نظرا لثقلها الأدبي المتمركز على المضمون الذي اعتبر أكثر ما لبي احتياجات المتلقي. وعليه كان لها وافر الحظ في تصدر العالمية مقارنة بالأجناس الأدبية الأخرى وبالفعل اكتسحت الساحة الأدبية روايات حققت ذيوعا وصيتا أهلها للعالمية عن جدارة.

ولا مناص من الاعتراف أنّ اللغة الإنجليزية هي اللغة العالمية والرسمية لأهم المنظمات الدولية ف" يورد دليل اليونيسكو للترجمة لعام 1998 قدم إحصاءات وبيانات مذهلة عن سيطرة اللغة الإنجليزية في تصدير الترجمات حتى إلى تلك البلدان التي كانت لغاتها إلى أمد قريب لغات مصدرة لا مستوردة وفي مقدمتها اللغة الألمانية التي أصبحت اليوم في صدارة اللغات المستوردة من الإنجليزية إلى جانب اليابانية طبعاً"¹

فالأمر لا يحتاج للتقصي عن عوامل عالمية اللغة الإنجليزية، لأنه مرتبط بالهيمنة السياسية ولأن الموضوع يتمحور حول الرواية أكثر من اللغة، وما سبق ذكره يمكن اعتباره عاملا مباشرا لعالمية الرواية الانجليزية إضافة إلى المعايير الأدبية التي صنفها مديحة عتيق فيما يلي:

1 حسام الخطيب، الأدب المقارن بين العالمية والعولمة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، قطر، 2001 ص 243

1- الجودة الفنية : تعتبر مقياسا لترشيح النصوص إلى العالمية وهناك العديد من روائع الآداب الخالدة - المقام لا يسع الطرح لذكرها كاملة - التي أثبتت الفكرة هذه، وعلى الرغم من هذا اعتبرها بعض النقاد نسبية إلى أبعد الحدود لأنها تركز على الأذواق هذه الأخيرة لا يمكن لأي متلقي - سواء مثقف أو عادي أن يتحكم فيها . تقول مديحة عتيق " الجودة الفنية قيمة نسبية تختلف حدودها ضمن الأدب المحلي الواحد , فما بالك بين آداب مختلفة باختلاف أذواق أصحابها مما يجعلنا نتساءل هل الشعر الجيد مثلا هو الذي يميل إلى الإيجاز أم الإطناب؟ إلى الإفصاح أم التلميح؟ إلى الوضوح أم الغموض؟" ¹ فإن كانت إجابتي على سبيل المثال أن الشعر الجيد هو الذي يميل إلى الإطناب والغموض، في حين يقول شخص آخر العكس أن أجود الشعر ما مال إلى الإيجاز والوضوح، فهذا لا يعني أن واحدا منا هو على صواب، لأن القضية احتكمت على ذوق وحرية فكرية شخصية.

2- الترجمة: تعتبر جواز سفر النصوص الأدبية عامة والروائية خاصة، ففضلها يمكن للنص المحلي أن نراه في كل خريطة العالم، فكما سبق الذكر أن اللغة الإنجليزية هي

1- مديحة عتيق , فصول في الأدب المقارن , دار ميم للنشر , الجزائر , ط 1 , 2011 , ص 72

الرائدة عالميًا، فكل الروائيين يسعون إلى الترجمة إليها " لدى تنزع آداب العالم الثالث -

خاصة - إلى أن تترجم إلى الإنجليزية , وهذا ما يؤكد أن العالمية وصفة غربية بامتياز¹

ومع هذا يعتري الترجمة أحيانا التصرف وفي أحيان أخرى تغيير في المعنى إن لم نقل

تقتله. ولهذا السبب أحالت المدرسة الفرنسية الباحث المقارن إلى قراءة النص الأصلي

بلغته الأصلية لتفادي الوقوع في الخيانة النصية للعمل المستهدف، لهذا اعتبرها جورج

مونا George Mounin بمثابة الخائنات الجميلات **les belles infidèle**

أي تخون النص بجمالية لدرجة أن المتلقي قد لا يتفطن لتلك الزيادة أو النقصان التي

قامت بها الترجمة.

3- دور النشر: تؤدي دور النشر إن كانت ذات سمعة وصيت دورا فعالا في شهرة النص

والخروج به من حيزه المكاني واللغوي أي أنها لا تبقي على النص أسيرا لمكانه وزمنه أهمها

Gallimard-Seuil-Hachette-Random House-Cambridge

University Press

4- قوة التأثير وفعالية النقد: أهم معيار للارتقاء إلى العالمية هذا لأنه حتى وإن توفرت

المعايير السابقة وغاب هذا الأخير فإن العالمية تكون مؤقتة. إذ لا بد للنص أن يترك

بصمته الإيجابية في نفوس المتلقين وأن يبقى تأثيره ساري المفعول عبر امتداد الأزمنة

ومختلف الأمكنة.

إضافة إلى هذه المعايير الأدبية هناك معايير غير أدبية تسهم في عالمية النصوص مثل وسائل الإعلام الاتصال التي أسدت خدمات جد مباشرة لنصوص تمكنت من تحقيق العالمية والحظّ وبمضاهاة نصوص سابقة نالت الاعتراف الدولي إذ لا نظير لها. وخير دليل على هذا الرواية الإنجليزية ملك الخواتم The lord of the rings - وقد سبق التنويه إليها في المقدمة - إذ أنها حققت أعلى نسبة من المبيعات خصوصاً بعد تحويلها إلى عرض بصريّ والترويج له عبر مختلف وسائل الإعلام.

" وقد أعلن موقع بي بي سي BBC أن الرواية الإنجليزية هي الرواية الأفضل على الإطلاق في تاريخ الأدب العالمي، حيث يعتبر الأدب الإنجليزي من أقدم أنواع الآداب في الدول الغربية ومن أفضلها على الإطلاق." ¹

ولقوة الدولة وهيمنتها كذلك دور فعّال في عالمية الآداب، والأمثلة على هذا متعددة نحمل أبرزها في الرجوع لفترة تزعم المعسكر الشيوعي الريادة الدولية وسيطرة الاتحاد السوفياتي، في هذه الحقبة كان الأدب الروسي في الطليعة، بالفعل لا يزال أثره جلياً لغاية وقتنا هذا لكن لا يمكن الجزم بتاتا أنه حافظ على مكانته إعلامياً أمام الأدب الإنجليزي، والأمـر واضح بعلوّ اللغة الإنجليزية صرح اللغات وتصدرها العالمية وبالتالي سمو آدابها

¹<http://www.youm7.com/story/2015/12/17>

ومضاهاتها للآداب الأخرى بعد تصدع المعسكر الشيوعي. والأمر كذلك نستجليه مع الأدب العراقيّ أقدم آداب شعوب الأرض قاطبة، فليس من الماضي البعيد أن كان له رفعة وشأنه الطليع، إلّا أنّه مؤخرًا غاب إعلاميًا وحتى الترجمات منه إلى لغات أخرى تكاد تضحل والسبب واضح إذ أنّه مقترن بعامل سياسيّ.

ولا أحد ينكر تفوّق الأدب الإنجليزيّ والأمر راجع لعوامل سياسيّة وكذا جماليّة. فالأدباء الانجليز أبدعوا في كتاباتهم إضافة إلى تأثرهم بسحر النصوص الشرقيّة - إلى جانب الألمان - كما تمكّنوا من التنويع في مضامينها المشتملة على الجانب التاريخيّ، الرومانسيّ، الاجتماعيّ والخياليّ على وجه التحديد - وهذا ما نتلمسه في ألف ليلة وليلة ونجد مشابها له في سلسلة هاري بوتر وكذا ثلاثية ملك الخواتم وغيرها ممن تركوا بصمة تاريخيّة أثبتت الذاكرة أن تغفل عنها، بل أنصفت في حقها وخلّدت مآثرها. هذا لأن قيمتها لا يستخفّ بها وهذا ما سنتلمسه في النماذج التي حققت ذيوها واعترافا على المستوى الدوليّ.

روايات انجليزية عالمية:

1- روبنسون كروزوي لدانيال ديفوي Daniel Deffoe 1660 - 1731: لا يختلف

اثنان في أن رواية روبنسون كروزوي تعدّ شاهدا تاريخيًا ومعلما أدبيًا على بداية ظهور

الرواية كفنّ وكفلسفة تطرقت إلى أساليب التعامل مع الآخر وكذا حقيقة الانتماء إلى الطبيعة والماورائيات. ودليل هذا التطرق إلى معاملة الشخصية البطوليّة روبنسون كروزوي مع أوّل قادم من جزيرة بعيدة فيمنحه اسم فرايداي ويعلمه أوّل لفظة انجليزية Sir. والهدف من هذا محاولة إظهار أن روبنسون كروزوي لن يتمكن من التعامل مع المجتمع البشريّ هذا لأنه خارج إطاره، بل لا كيان له إلا باعتراف الآخر به.

هذا الآخر الذي يسعى لأن يظهر في صورة المتحضر والمسعف "الآخر ضرورة لكلّ أنا، حتى إن كيانا معيّنا قد لا يتمكّن من الاستمرار إذا لم يجد آخره أو آخره، وبالتالي فإنه يجد نفسه مضطراً لتصنيع الآخر، وإذا كان هذا الآخر من زاوية هو الجحيم فإنه جحيم من جانب وضمان استمراريّة وتطوّر وحراك من جانب آخر"¹ رواية فلسفيّة تطرّقت لسيرة المعرفة البشريّة الحاملة لدلالات رمزيّة عن الثقافة الإنسانيّة جمعاء.

2-رواية كبرياء وتحامل: Pride and Prejudice رواية كوميدية رومانسية، من تأليف الكاتبة جين أوستون **Jane Austen 1775-1817**، اشتهرت بانتقادها لملاك الأراضي البريطانيين كما تعتبر من أوائل الروايات الرومانسية في تاريخ الرواية، نشرت لأول مرة في عام 1813، تدور أحداث الرواية حول البطلة ايلزابيث بينيت وهي ابنة لرجل ريفي لديه

1 مصلح النجار، صورة الأنا عند الآخر وبتأثيره، أعمال مؤتمّر "الدراسات الثقافية و الدراسات ما بعد الكولونيالية، الجمعية الأردنيّة للبحث العلميّ، ط 1، الأردن 2008، ص 55

خمسة بنات لكل ابنة من بناته شخصيتها المختلفة عن الأخرى، تهتم الرواية بالقضايا الأخلاقية وقضايا الزواج بشكل أساسي، بالنسبة للنساء لاعتبارهن أن الزواج هو المنفذ الوحيد يمكنهن تحقيق مركز اجتماعي ودخل مالي معتبر. وقد استخدمت الروائية حبكة درامية أهلتها لأن تحوّل إلى أفلام، مسلسلات ومسرحيات.

2-رواية ايفانهو: **Ivanhoe** رواية تاريخية ، من تأليف الكاتب الانجليزي والتر سكوت **Walter Scott 1771 - 1832**، على الرغم من إصابته بالشلل في رجله اليمنى وهو في سن الثانية من عمره إلا أنه تغلب على العاهة برغبته الجامحة في الكتابة بفضل تعلّقه بالطبيعة التي كانا يقطن بها جدّه. نشرت له أول رواية مرة عام 1819، وهي من أشهر روايات الكاتب، وإذ كانت أول رواية يكتبها عن التاريخ الانجليزي، تحكي الرواية عن قصة فارس من ساكسونيا يدعى ويلفريد ايفانهو، وهو ينتمي إلى طبقة النبلاء في سكسونيا، وهو آخر النبلاء السكسونيين في القرن الثاني عشر، وقد عاصر الحملة الصليبية الثالثة، التي سحقت العائلات السكسونية في ذلك الوقت، وتحدثت القصة عن تأثير الحرب على الشعوب السكسونية والنورمانية وما خلفته من كراهية وضغينة بينهم

3-قصة مدينتين: **A Tale of Two Cities** رواية تاريخية من روايات العصر الفكتوري، من تأليف الكاتب الانجليزي تشارلز ديكنز **Dikens Charles 1812 - 1870**، هي

رواية تاريخية أحداثها وقعت في لندن، إنجلترا وباريس. تحكي عن صراع الطبقات الارستقراطية والطبقة الكادحة وما تعانيه من قمع واضطهاد من قبل الطبقة الحاكمة. مما أفرز الثورة الفرنسية، فتحكي عن شخصية ارستقراطية يدعى تشالز دارني وهو بطل الرواية، يقع ضحية في الثورة على الرغم من حسن أخلاقه وطيبته. تعتبر الرواية من أكثر الروايات ذيوغا إذ تدرّس في معاهد الكثير من الدول، خاصة في الولايات المتحدة، كما كانت تنشر أسبوعيا في النشرة الدورية لتشارلز ديكنز في عام 1859.

4- كنوز الملك سليمان : King Solomon's Mines من تأليف الكاتب الانجليزي

السير هنري رايدر هاجرد 1856 – 1925 Henry Rider Haggard كاتب مخضرم من العصر الفيكتوري، بدأ كتابة الروايات و هو في سن 13 وقد حقّزه في هذا امتلاك والديه لدار نشر صغيرة. وتعد رواية كنوز الملك سليمان، رواية خيالية نشرت لأول مرة في عام 1885، تعدّ من أشهر روايات الكاتب، وهي من روايات العصر الفكتوري، تدور أحداثها حول مجموعة من الشبان هنري كوتس، الكابتن جون جود، والصياد آلان كواتيرمين برفقة أمبوبا خادمهما. للبحث عن الأخ الضائع لكورتس الذي صمّم الذهب في رحلة استكشافية للبحث عن الألماس في إفريقيا، وأثناء توغّلهم في أدغال إفريقيا، يصادفون حضارة قديمة تحكمها حفيدة سليمان التي تعرض عليهم الكنوز إذا ما خلّصوا

شعبها من قبيلة همجية ويبدأ الصراع في حبكة فنية مشوقة تخلص إلى تخلص حضارة حفيده سليمان وشعبها بتحطيم آلهتهم الحجرية. تعتبر أول رواية تدور أحداثها في إفريقيا.

5- رواية قلب الظلام : **Heart of Darkness** رواية من تأليف الكاتب الانجليزي

جوزيف كونراد **Joseph Conrad** 1857 - 1904، كان يرغب في أن يجوب أصقاع

العالم عبر السفينة، ولم يكن يعي أنه سيصبح أبا للرواية الحديثة. نشرت روايته **قلب الظلام**

لأول مرة في عام 1902، تدور أحداثها بسرد الراوي لأحداث رحلته إلى نهر الكونغو

بقلب إفريقيا. رواية لمجموعة من البحارة على متن قارب بنهر التايمز ويشعر مارلو بسرد

مغامرته التي تمحورت حول عمله كقبطان سفينة بإحدى شركات التجارة بالكونغو أثناء

سفره تعثره عراقيل كتعطل مركبه وتعرضه لهجوم سكان المنطقة. **كونراد** من خلال روايته

هذه أراد أن يبدي أن هناك فارق بين الشعوب المتحضرة ومن وصفهم بالمتوحشين،

الأمر الذي أفرز تساؤلات حول الإمبريالية والعنصرية. حظيت الرواية بأحد معايير العالمية،

ألا وهو تحويلها إلى فيلم سينمائي بعنوان **القيامة الآن**، وقد تم ترجمتها إلى اللغة العربية

تحت عنوان **قلب الظلمة وقلب ظلمات** من قبل هاني سمير بارد في عامي 1988 و2010

6-رواية أجنحة الحمامة : **The Wings of the Dove** رواية من تأليف الكاتب

الانجليزي هنري جيمس Henry James 1843 - 1916، نُشرت لأول مرة في عام 1902، وهي من أشهر روايات الكاتب وأفضلها. تدور أحداثها عن امرأة أمريكية ثرية لها تركة وثروة مالية ضخمة. لكنها لا تستمتع بكل ما تملكه، إذ تُصاب بمرض خطير يجعل من حولها يتعاطف معها طمعا في مالها وصنفا آخر يتأثر لحالها. ولما استوفته الرواية من بلاغة في الأسلوب وتشخيص حيّ لحال البطلة، تبناها المخرجين السينمائيين وحُوّلت إلى أفلام..

7- رواية السيدة دالوي Mrs Dalloway من تأليف الروائية فرجينيا وولف Virginia

Woolf 1882 - 1941 لُقبت بملكة جمال المريضات بالمصححة التي دخلت إليها، بعد معاناتها في أواخر عمرها من اكتئاب رهيب خصوصا بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية وتدمير منزلها، ممّا دفع بها إلى الانتحار بوضع حجارة في جيوب معطفها والسقوط بنهر أوس القريب من منزلها. اتسمت رواياتها بمناداتها لإيقاظ الضمير الإنساني، نشرت رواية السيدة دالوي لأول مرة في عام 1925، تدور أحداثها حول حياة كلاريسا دالوي وما تمر به من مغامرات بعد الحرب العالمية الثانية، وتعتبر من أهم روايات القرن العشرين كما حولت إلى نتاج سينمائي.

8-رواية سيد الخواتم : **The Lord of the Rings** رواية ملحمة من تأليف الكاتب البريطاني الشهير ج. آر. آر. تولكين **John Ronald Reuel Tolkien** 1892 – 1973 فيلولوجي، روائي وأستاذ جامعي. اشتهر من خلال رائعته **ملك الخواتم والهوبيت**، نشرت لأول مرة في عام 1954 في ثلاث مجلدات، كما ترجمت إلى العديد من اللغات العالمية من ضمنها اللغة العربية، كتبت على مراحل بين 1937 و1949 ونشرت عام 1954 – 1955.

تدور أحداث الرواية عن صراع بين، السحرة، الجن، الأقزام والأورك¹ في أرض تسمى الأرض الوسطى، وتحكي عن خاتم السلطة صنعه بطل الرواية سيد الظلام **سورون** ، وهو شخصية تمتلك قوى خارقة للشر ليصبح حاكم عالم **موردور** ويخطط لسيطر على الأرض الوسطى من خلال الخاتم الذي صنعه، فتتطوع مجموعة من الأقزام بقيادة **فروودو** الذي يساعده الساحر الأبيض **غاندالف** والقزم **غيملي**، **أراغون**...ليسترجعوا خاتم السيطرة على العالم ويرمونه بالعين الحمئة المتواجدة بين البرجين. وللطرح تفصيل لها في الملحق حيث هي محل المقارنة. إذا ما مَحَص المتلقي في الروايات الإنجليزية السابق ذكرها، يتضح له أن العالمية كانت جدّ ظاهرة بفضل تقنيات السرد العالية المشخّصة للكلمات وكأنها مشاهد يراها ويعيشها المتلقي، خصوصا وأن

1 كلمة تستخدم لوصف كائنات مخيفة تمتلك قوى خارقة وتتعطش لسفك دماء بني البشر

منها ما كان من إبداع الخيال الخارق المتقارب إلى حدّ بعيد من سحر الليالي الشرقيّة السمريّة.

هذه التداخلات العميقة بين العاملين الأدبيين الخارقين – الليالي السمريّة ورواية ملك الخواتم بأجزائها الثلاث – أمدّت بدافع القراءة وإعادة القراءة لاستخلاص أوجه الائتلاف والاختلاف، وهذا ما يدفع بالمتلقي إلى اعتقاد وجود تأثير وتأثر بين النصين. بل الأمر يكاد يكون حكما مطلقا على أن قضيتي التأثير والتأثر كانت قائمة بينهما على وجهها الصحيح لو كان الروائيّ الانجليزيّ رونالد رويل تولكين قد أقرّ بالأمر.

الفصل الرابع:

دراسة مقارنة بين نماذج إسلامية وغربية

المبحث الأول: استحضار ملخص قصتي سيدنا سليمان - عليه

السلام ويأجوج و مأجوج.

المبحث الثاني " عرض حكاية الصياد والعفريت، ألف ليلة

وليلة.

المبحث الثالث: ملخص رواية ملك الخواتم The lord of

.the ring

المبحث الرابع: إبراز أوجه الاختلاف والالتلاف.

المبحث الأول: استحضار ملخص قصتي سيدنا سليمان - عليه السلام -
ويأجوج ومأجوج.

أ/ ملخص قصة سيدنا سليمان عليه السلام:

اختلفت آراء العلماء وتمايزت دراسات المفسرين حول نسب سيدنا سليمان - عليه السلام، والأمر يعود إلى عدم ضبطهم لتفسير موحد لسورة الأنعام في الآية الكريمة ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ⁸³ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ⁸⁴ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ⁸⁵ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ⁸⁶﴾

فمردُّ الخلاف إنما يعود إلى " ذريته. هل ذرية نوح عليه السلام أم سيدنا إبراهيم

عليه السلام؟

يُرجَّح العلامة أبو السعود محمد العمادي أن النسب يعود إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام " الضمير لإبراهيم عليه السلام لأنَّ مساق النظم الكريم لبيان شؤونه العظيمة،

من إيتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الأولاد والأنبياء وإبقاء هذه الكرامة في نسله إلى

يوم القيامة" 1

1- أبو السعود محمد العمادي- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم- دار إحياء التراث العربي - بيروت- 3- ص 151

ما هو معلوم لدى أي باحث مختص في القصص القرآني أن القرآن الكريم لم يفصل في نسب النبي سليمان عليه السلام، هذا لأن الخلاصة المراد الوصول إليها هو الأخذ بالدرس والعبرة من المواقف المذكورة فيه والإجماع المتفق عليه هو أنه ابن داود عليهما السلام ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾¹

ولأن الطرح تناول جانبا مقابلا للقصص القرآني، لزاما علينا التعرّيج إلى حقيقة هذه الشخصية القدسية التي منحت ما لم ينله آخر ولن يحظ به آخر إلى يوم الدين. سليمان - عليه السلام - اسم عبري معناه رجل سلام وهو ابن الملك داود عليه السلام الذي خلفه على عرش بني اسرائيل فكان من أعظم ملك، وقد ملك أربعين سنة ومع أنه كان لديه ستّة إخوة من أمهات مختلفات وهم آمنون، كيلاب، أبشالوم، أدونيا، شفتيا، يشرغام. إلا أنّ سليمان عليه السلام هو الذي ملك وهو ابن بتشبع وقد أحبّ داود سليمان لأنه كان ابن زوجته المفضّلة وأطلق عليه اسم سليمان متمنيا له سلام

بلا حرب " 2

1 - سورة النمل - الآية 16.

هذا من باب ضرورة اقتضتها مكانة النبي سيدنا سليمان - عليه السلام - مع أنه لا يمكن أن نوفي بحق كل شخصية مقدسة ولو ألفت عنها دواوين وموسوعات.

أما لضرورة تقتضيها غاية الطرح، فسُئورد مُلخصاً عن قصّة ملكه، لأن الجانب المستهدف للمقارنة هو ما تعلق بقصّة الخاتم.

كان سيدنا سليمان عليه السلام أشدّ وأقوى ملكاً بأمر من الله عزّ وجلّ بعدما دعاه، ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾¹

فأيّده الله تعالى بالحكمة والعلم إضافة إلى تعلّمه منطق الطير والحيوان وتسخيرهم له، أسال له عين القطر، سخر له الريح، سخر له الجن والشياطين ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾²

يقول أ/ أحمد بهجت " إن طموح سليمان للملك كان طموح نبيّ أولاً وأخيراً ولا يتعلّق قلب النبيّ إلا بما يحقّق لدعوته الانتشار في الأرض، ولم يكن سليمان عاشقاً للملك المجرد توّاقاً إلى الكبرياء والعظمة، إنما كان يريد الملك ليحارب به الظلام الذي انتشر في الأرض ونشر نور الإسلام الذي تتكرّم به السماء على الأرض حين تبعث رسولا"³.

1- سورة ص - الآية 35.

2- سورة سبأ الآية 12.

3- أحمد بهجت، أنبياء الله، دار الشروق، القاهرة، ص 290

المعنى أن دعاء سيدنا سليمان عليه السلام لملك منفرد خاص به ليس للاستعلاء أو العلوّ والفساد في الأرض، بل لنشر دين الله تعالى وبسط السعادة بين عباده الواحد الأحد، الذي أذن له بتشخيص مظهر لنعمة إلهية أمام القوم " فالملك الخاص الذي يريده ليس له غاية مقصودة ولكنه وسيلة لتحقيق تلك الغايات الإيمانية العظيمة " ¹

كما أنه سبق المغفرة قبل طلب الملك، وهذا ما يدلّ على أن طلب الغفران سبيل لفتح أبواب الرزق ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾^ط
إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ²

فطلب الملك ليكون حجة دامغة له وسط قومه، وكذلك لأن تفكيرهم و واقعهم انصبّ حول اهتمامهم بمظاهر القوة والاستعانة بالشياطين والجن لتحقيق ذلك. فأتت معجزة سيدنا سليمان - عليه السلام - وفق طبيعة عيشتهم ونمط تفكيرهم.

تسخيره للجن والشياطين: يزعم البعض أن كلمة الشياطين تقتصر على أتباع ابليس من الجن فقط، في حين هي تعنى بكلّ عاص ومرتد عن أوامر الله عزّ وجلّ يقول سبحانه في الذكر الحكيم:

﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ

1- صلاح عبد الفتاح الخالدي- القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل الأحداث- دار القلم- دمشق، الدار الشامية، بيروت. ط1- 1998- ج3/ ص 497
 2- الآية 35 سورة ص.

زُخِرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ¹ إلا أن المقصود من الشياطين المسخرة للنبي سليمان عليه السلام تلك التي تغوص في البحار وتمتثل لأمره في تشييد القصور وسائر الأعمال، وهناك من قرنهم بالأصفاد وحكم عليهم بالسجن.

وهذا من عجائب قدرة الله عز وجل عندما ينصر نبيه يؤيده بجند من عنده، فتتراءى المعجزات للعيان، ومن الآيات الخارقة التي خصها الله تعالى لنبيه سليمان عليه السلام، إلانة الحديد، إسالة عين القطر تسخير الريح والطيور وتعليمه لغتهم وغيرها من المعجزات الربانية. يقول الله تعالى في محكم تنزيله:

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ^ط وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ¹² يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ¹³﴾²
 ﴿وَالشَّيَاطِينِ كُلٍّ^٣ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ³﴾

و بما أنه سيدنا سليمان عليه السلام، حكيم رشيد، فإن تقييده للشياطين، إنما لقمع شرورهم، وهذا يدل على حرصه في تنفيذ قراراته وعدالة حكمة وهذه من ميزات القيادة النزيهة. ومن بين الأعمال التي كلّفهم بها. يقول الله تعالى ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ⁴﴾

¹ - الآية 122، سورة الأنعام.

² - الآية 13، سورة سبأ.

³ - الآية 38، 38 سورة ص.

⁴ - الآية 82، سورة الانبياء.

إن الغوص هو التعمق في جوف الشيء وعدم الاكتفاء بالإبحار على سطحه. فمعنى الآية صريح، يبرز أن الجنّ و الشياطين كانوا يغوصون في أعماق البحار والمحيطات التي تحوي عجائب الكنوز ونفائسها، كي يستخرجوا دررها. إنه عالم عجيب - إذ لم يعرف آنذاك غواصات يباهي بها الآن العالم في الألفية الثانية!!! - أما بقيّة الأعمال فكانت في بناء المدن وتشيد القصور ﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بِنَاءٍ وَ غَوَاصُّ﴾¹

وكذلك المحارب، التماثيل، الجفان الكبيرة والقصور الراسيات، أي تلك الثابتات التي لا تغير أمكنتها نظرا لثقلها. وهذا الوصف سنجدّه في الرواية الانجليزية اللاحقة.

أما عن قضية الفتنة التي تعرّض إليها وذكر لفظتها في الآية الكريمة " ﴿وَلَقَدْ

فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾"²

الفتنة التي عرضتها الآية الكريمة لم يتم تحديدها، إذ كثرت الأقاويل ونفتت فيها الروايات الإسرائيلية المبنية على الأباطيل. إذ يقال أنّه تزوج بامنة ملك وعبدت الأصنام في بيته وامتنحه الله عن غفلته. ويقال أنه ظلم الخيل بالقتل فسلب ملكه، ويقال أنه تزوّج بامرأة من غير بني إسرائيل، والظاهر أنها افتراءات إذ أنها تتعارض مع عصمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام " حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء

1- الآية 37، سورة ص.

2- الآية 34، سورة ص.

وعثمان بن أبي شيبة وعلي بن محمد قالوا: حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - "وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب" قال: أراد سليمان أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه - وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نسائه إليه - فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها : هاتي خاتمي . فأعطته إياه. فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين فلما خرج سليمان من الخلاء قال لها: هاتي خاتمي. قالت: قد أعطيته سليمان. قال: أنا سليمان. قالت: كذبت لستَ سليمان فجعل لا يأتي أحدا يقول له " أنا سليمان " إلا كذّبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة. فلما رأى ذلك عرف أنه من أمر الله - عز وجل - . قال : وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله أن يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان قال : فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن : أتكرن من سليمان شيئا ؟ قلن: نعم إنه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك. فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد انقطع فكتبوا كتبها فيها سحر وكفر، فدفنوها تحت كرسي سليمان ثم أثاروها وقرؤوها على الناس. وقالوا: بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان - عليه السلام - فلم يزلوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه في البحر فتلقته سمكة فأخذته. وكان سليمان يحمل

على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعا سليمان فقال: تحمل لي هذا السمك؟ فقال: نعم. قال: بكم؟ قال بسمكة من هذا السمك. قال: فحمل سليمان - عليه السلام - السمك ثم انطلق به إلى منزله فلما انتهى الرجل إلى بابه أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فأخذها سليمان فشق بطنها، فإذا الخاتم في جوفها فأخذه فلبسه.

قال: فلما لبسه لأنت له الجن والإنس والشياطين وعاد إلى حاله وهرب الشيطان حتى دخل جزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان في طلبه وكان شيطانا مريدا فجعلوا يطلبونه ولا يقدرّون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاءوا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا انماط معه الرصاص قال : فأخذه فأوثقوه وجاءوا به إلى سليمان، فأمر به فنقر له تحت من رخام ثم أدخل في جوفه ثم سد بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ قال: يعني الشيطان الذي كان سلط عليه .

إسناده إلى ابن عباس قوي ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس - إن صح عنه - من أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان - عليه السلام - فالظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور أن

ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله منه تشريفاً وتكريماً لنبهه - صلى الله عليه وسلم - وقد رُوِيَت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف، كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب " ¹ والله أعلم بالصواب

ب / قصة خاتم سيدنا سليمان عليه السلام ²:

يُروى عن ابن عباس قال: «كان الذي أصاب سليمان بن داود في سبب أناس من أهل امرأة يقال لها جرادة، وكانت من أكرم نسائه عليه، قال: فكان هوى سليمان أن يكون الحق لأهل الجرادة فيقضي لهم، فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحداً. قال: وكان سليمان بن داود إذا أراد أن يدخل الخلاء، أو يأتي شيئاً من نسائه، أعطى الجرادة خاتمه، فلما أراد الله أن يتلي سليمان بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه، فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي فأخذه فلبسه، فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس، قال: فجاءها سليمان فقال: هاتي خاتمي، فقالت كذبت، لست بسليمان، قال: فعرف سليمان أنه بلاء ابتلي به، قال: فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتباً فيها سحر وكفر، ثم دفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أخرجوها فقرأها

¹ http://kissassad.blogspot.com/2016/03/blog-post_52.html

² - القصة أخرجها بن جرير في «تفسيره» (657/1) الخبر (1663) عن ابن عباس.

على الناس وقالوا: إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب، قال: فبرئ الناس من سليمان وكفروه، حتى بعث الله محمدًا - صلى الله عليه وسلم - فأنزل جل ثناؤه: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا نَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ يعني الذي كتب الشياطين من السحر والكفر ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا﴾ سورة البقرة الآية 102.

قلت: ولقد وضع الوضّاعون قصة أخرى باطلة ترتبط بهذه القصة تُبيّن ما كتبه الشياطين. فقد رُوي عن شهر بن حوشب قال: «لما سُلب سليمان ملكه، كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان. فكتبت: «من أراد أن يأتي كذا وكذا، فليستقبل الشمس وليقل كذا وكذا، ومن أراد أن يفعل كذا وكذا، فليستدبر الشمس وليقل كذا وكذا». فكتبه وجعلت عنوانه: «هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم». ثم دفنته تحت كرسیه فلما مات سليمان، قام إبليس خطيبًا فقال: يا أيها الناس، إنّ سليمان لم يكن نبيًا، وإنما كان ساحرًا فالتمسوا سحره في متاعه وبيته، ثم دهم على المكان الذي دفن فيه، فقالوا: والله لقد كان سليمان ساحرًا، هذا سحره، بهذا تعبّدنا، وبهذا قهرنا، فقال المؤمنون: بل كان نبيًا مؤمنًا، فلما بعث الله عز وجل محمدًا - صلى الله عليه وسلم -، جعل يذكر الأنبياء حتى ذكر داود وسليمان، فقالت اليهود: انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الأنبياء

وإنما كان ساحرًا يركب الريح، فأنزل الله - تعالى - : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ۖ ﴾ البقرة: 102. اهـ.

والقصة الثانية ورد فيها بيان لأحد نساء سليمان وهي الجرادة بنت الملك صيدون، تلك القصة التي وضعها الوضاعون وجعلوا هذه المرأة سببًا في سلب مُلك داود، حيث قال الثعلبي: روى محمد بن إسحاق عن بعض العلماء أن سليمان أخبر أن في جزيرة من جزائر البحر رجلاً يقال له: صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر، وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يتمتع عليه شيء في بر ولا بحر، فخرج إلى تلك المدينة فحملته الريح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وسبى ما فيها، فأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك يقال لها جرادة لم يرَ مثلها حسناً وجمالاً فاصطفاه لنفسه ودعاها للإسلام فأسلمت على يديه في الظاهر خيفة منه وقلة ثقة، فأحبها حباً شديداً لم يحبه أحداً من نساءه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة، وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها، فشق ذلك على سليمان فقال لها: ويحك، ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ، فقالت: إني أذكر أبي وأذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه يحزنني ذلك، فقال لها سليمان: قد أبدلك الله ملكاً هو أعظم من سلطانه، قالت: إن ذلك حق ولكني إذا

ذكرته أصابني ما ترى من الحزن، فلو أنك أمرت الشياطين يصورون لي صورته في داري التي أنا فيها أراه بكرة وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزني ويسليني عن بعض ما أجد في نفسي، فأمر سليمان الشياطين أن يمثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه فأزرتة وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبسها، ثم أنها كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو، إليه في ولأئدها فتسجد له ويسجدن له معها كما كانت تصنع معه في ملكه»¹.

القصة واهية ومنكرة ولا أصل لها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بل هي من الأخبار المقطوعة والموقوفة المنكرة، وهي من الأخبار التي أوردها ابن جرير - رحمه الله - وقد أسندها، ومن التخريج يتبين أن جميع طرق القصة لم يوجد بها «الخبر الصحيح المسند»².

قصة خاتم سيدنا سليمان في الكتاب المقدس³:

بالبحث عن هذه المرأة التي تسمى الجرادة بنت الملك صيدون والتي تروي هذه

¹ - أخرجها ابن جرير في «تفسيره» (659/1) الخبر (1669) عن شهر بن حوشب وأورد القصة الثعلبي في «قصص الأنبياء» (ص354).

² - <http://midad.com/article/196491>

³ - المرجع نفسه.

القصة الواهية أن سليمان أحبها حبًا شديدًا لم يحبه أحدًا من نسائه حتى اتبع هواه في الحكم لقومها الصيدونيين والصيدونيات، وأمالت قلب سليمان وعبدت التماثيل في بيته، وجدت أن هذا موجود عند أهل الكتاب في الكتاب الذي يسمونه بـ «الكتاب المقدس» سفر «الملوك الأول» الإصحاح الأحاديث عشر من (1- 11) (ص554) جاء فيه: (1) وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون: موآبيات، وعمونيات وأدوميّات، وصيدونيّات وحثيات (2) من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم، وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يُميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة (3) وكانت له سَبْعُ مائة من النساء السيدات، وثلاث مائة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه (4) وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه (5) فذهب سليمان وراء عشتوت إلهة الصديونيين وملكوم رجس العمونيين (6) وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تمامًا كداود أبيه (7) حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم، ولمولك رجس بني عمّون (8) وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن (9) فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين (10) وأوصاه في

هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب (11) فقال الرب
لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم يحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق
المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك». اهـ (11/إصحاح 11/ ملوك 1).

قلت: انظر إلى الكتاب الذي يسمونه «الكتاب المقدس» كيف جعل نبي الله سليمان
- عليه السلام - رجلاً شهوانياً أحب النساء حتى أملن قلبه حتى أشرك بالله في
شيخوخته؟

إنّ ما سبق ذكره يتنافى وعصمة الأنبياء والمرسلين، وأنّ القرآن الكريم هو جامع
الديانات والكتاب المنزّه الذي أتى بفضائل الأنبياء - عليهم السلام - ولم يفرّق بين أحد
من الرسل ﴿أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾²⁸⁵
جعل في قصصهم عبراً ومواعظ يسري تأثيرها على مدى الأزمنة والأجيال اللاحقة. عكس
الكتب الدينيّة المحرّفة التي ولجت إليها الأباطيل الواهية والمساسس بقديسيّة الأنبياء
والمرسلين عليهم أفضل الصلوات و أزكى السلام، كبُهتانهم على المسيح عيسى عليه السلام
أنه ابن الله تعالى، وسليمان عليه السلام ساحر، ومحمد ﷺ كذلك ساحر و....تنزهوا
عليهم الصلوات عمّا يفترون.

قصة يأجوج ومأجوج:

يأجوج ومأجوج أو الاسمين معا، هو الابن الثاني لـ يافث أحد أبناء نوح عليه السلام، والذين من أصلهم تفرقت البشرية في الأرض بعد الطوفان، وقد عرفوا بعدة أسماء: عند الآشوريين في القرن 6 قبل الميلاد بـ "السيكيثيون"، وعند الصين في القرن 3 ق.م، بـ "هسيونغ-نو"، وعند الأوروبيين في القرن 4 ق.م بـ "الهون"، وقد عرفوا عند المسلمين والصينيين والأوروبيين في القرن 13 باسم المغول والتتار.

أما المنطقة التي استقروا عليها جيلا بعد جيل هي ما رواه الإمام بن محمد بن جرير الطبري بسنده عن ابن جريح عن عطاء الخرساني عن بن عباس في قوله: "حتى إذا بلغ بين السدين، قال: الجبلين: الردم الذي بين يأجوج ومأجوج، أمتين من وراء ردم ذي القرنين: قال الجبلان: أرمينيا وأذربيجان"¹.

وصف يأجوج ومأجوج:

إن الله تعالى خلق يأجوج ومأجوج وسلالته على هيئة ميزتهم عن إخوانهم، وركب فيهم من الصفات والخصائص ما لا يصدر عنه إلا كل ما يتسم بالشدة والاضطراب والسرعة، فشبهوا بالنار في اشتعالها واضطرامها وتوهجها، وجعل كل ذلك قوام لتكوينهم

¹ - الطبري لابي يحيى محمد بن صمادح التجيبي - من مختصر تفسير الإمام الطبري، دار الفجر الإسلامي، ط. 6، 1998، دمشق، سورة الكهف، الآية 92

النفسي والروحي، ومبنى لنظام أجسامهم وملاحظهم، وأظهر ما ركبه وركزه فيهم للوجود، فخرجوا وقد اصطبغوا بصبغة التأجج والأجيج، منها انتزع اسمهم، فكانوا اسما على مسمى وغرز بذرة التأجج في أصلابهم، فظلت تنتقل من السلف إلى الخلف، وستبقى كامنة فيهم ومتوارثة في أجيالهم إلى آخر الزمان¹.

الأمر الذي يعني أنهم يختلفوا تماما عن خلقة البشر، فالتأجج والتوهج لم يرثه إنسان عن سابقه ولن يورثه للاحقيه، فهذه سنة خلق الله في عباده. أما يأجوج ومأجوج فيورثوا ما لم يخلقه الله فينا لدى أجيالهم. وهذا ما جعل البعض يزعم أنهم ليسوا من نسل آدم عليه السلام - والله أعلم - ولهذا يكونوا أكبر عدو كاسح للبشرية جمعاء - عدا من ينتقيهم الله تعالى -

وما تركته لنا الأمم المجاورة لهم، والتي أغاروا عليها في مراحل خروجهم المبكرة عبارة عن شذرات متفرقة تصف مظاهر خروجهم مثل استهتارهم البالغ بقيمة الحياة الإنسانية وتخريبهم للديار على نحو يتجاوز حد المعقول².

فكيف تصرف معهم سكان تلك المنطقة وهم تحت بأس قوم شديد الصلابة لا يواجههم بشر عادي؟! من أولئك الأقوام الذين غاروا عليهم؟

¹ - الشفيق الماحي أحمد، يأجوج ومأجوج- فتنة الماضي والحاضر والمستقبل، دار ابن حزم، ط1، لبنان 1996، ص27.
² - المرجع نفسه، ص28.

منذ القرن السابع ق. م وحتى القرن الثالث عشر ميلادي، أغارت جموع يأجوج ومأجوج على الصينيين والآشوريين والرومان والمسلمين وأحدثوا من الخراب والفساد الشيء الكثير ولكن هؤلاء وحدهم الذين أدركوا خاصية التأجج فيهم وسبروا أغوارهم، ووقفوا عندها مبهورين فزعين لما تنطوي عليه من قسوة وعنف وهمجية لم يعهدوا مثلها في غارات الناس¹.

ففي القرن الخامس ميلادي، خرجت جُمُوع يأجوج ومأجوج قاصدة العالم الروماني، فشاهد الأوريون أناسا يشاكلونهم في الملامح وفي نظام الجسم العام، ويختلفون عنهم في قبح سُخْنِهِم وتشوهها إلى حد يثير الاشمئزاز ويبعث على الخوف، فعيونهم صغيرة سوداء اللون ومدفونة بعمق في الرأس، وأنوفهم مسطحة فطساء، وشعرهم أسود صلب، وأجسامهم مربوعة القامة ممتلئة ومنتصبة على الدوام، وأطرافهم قوية ومكتنزة ورقابهم غليظة وصلبة، وأكتافهم عريضة، وعضلاتهم بارزة ورؤوسهم بالنسبة لأجسامهم فكيرة تضفي عليهم هيئة وحشية مرعبة، وغالبا ما يكونون خَلَوُ من الذقون، ولونهم داكن لا تطاق رؤيته².

صفات تجعل الباحث عن أصولهم في زحمة من الافتراضات إن كانوا من نسل

¹ - المرجع السابق، ص 28.

² - المرجع نفسه، ص 30.

البشر أم من نسل آخر غير معلوم! ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾¹. فهل يكونوا من

المخلوقات التي لا علم لنا بأصلها؟

وقال عنهم المؤرخ الروماني جوردانيس: "هؤلاء ليسوا ببشر، وليس لهم لسان مفهوم كسائر خلق الله، ولا حرفة عندهم إلا الصيد وإدخال الرعب في قلوب أعدائهم، فقد كان مظهرهم مخيفاً لدرجة أن الشعوب القوية كانت تهرب في فرع تجنبا للقاءهم، لأن لوهم الداكن ووجوههم الكالحة كانت تقذف الرعب في القلوب، فهم لا يملكون رأساً كالآدميين، وإنما لهم كتلة من العظام تقف على العنق لا شكل لها، وبها ثقبان صغيران يمثلان العينين"².

إن هذه الصفات بليغة في وصف تعاملهم مع بني البشر، فللتركيبية الجسمانية دور في تحديد طرق التواصل مع الآخر. فمن غير المعقول أن يكونوا قوم يأجوج ومأجوج حضاريين ومسلمين!! لهذا وصفهم في مختلف الكتب الدينية استنطق أعمالهم حتى لو لم يقرأ لها.

"يتسم تعامل يأجوج ومأجوج مع غيرهم في ذروة تأججهم وأوج قوتهم بالوحشية والشراسة والبربرية، ولا تعرف الرحمة ولا الشفقة طريقها إلى قلوبهم، كأنها انتزعت منهم

3- الآية 8 سورة النحل.

²-الشفيع الماحي أحمد، المرجع السابق، ص30.

انتزاعاً، فهم لا يتورعون أبداً ولا يترددون في القضاء على كل ما يقع تحت أيديهم لا يفرقون بين المحارب والشيخ العاجز ولا بين المرأة والطفل الرضيع، ولا بين الحيوان والنبات، فالكل عندهم سواء، والكل هدف لرغبتهم العمياء في الخراب والفساد، بل يجدون فيما يفعلون متعة تفوق سائر متع الدنيا¹.

في هذا القول تأكيد على مدى الرابط بين التركيبة الفيزيولوجية لهم بتعاملهم مع الآخر، كما يتبين أنّ البحث عن سبل التواصل معهم بطريقة إنسانية إنما هو ضرب من المستحيل. لم يردعهم إلا من وهبه الله تعالى حكماً وقوة ولن يتم ردعهم مستقبلاً إلا بإذنه عز و جلّ بحشرة وفي هذا رسالة لعباد الله المؤمنين أن قوة المخلوقات مهما بلغت ذروتها، فإنها عند الله سبحانه وتعالى أصغر وأهون من أن يقابلها بجيش من عباده... فقط يسلط عليها حشرات ليتيقن العبد أن قوم آجوج ومأجوج مهما عتوا في الأرض فلن يضاهوا قدرة الخالق.

وتفتقر تلك القسوة والوحشية إلى أسس معقولة وأسباب وجيهة، ودوافع لها مسوغاتها، اللهم إلا الشهوة البهيمية والرغبة الحقودة في القتل والخراب أينما وجد بشر ووجد معمور من الأرض، ووجدت حياة، وهو ما لم يشهد له التاريخ مثيلاً، فغالبا ما تستند الأمم في خروجها وغزواتها على دوافع ومقاصد لها مسوغاتها المقنعة، ولا تشتط

¹ - المرجع السابق، ص44.

في قسوتها على الآخرين كما يفعل يأجوج ومأجوج، الذين إن خرجوا لا همّ لهم إلا الفساد والخراب، وبقوة هوجاء لا عاطفة لها ولا شعور، ولا تختلف كثيرا عما يفعله الإعصار المدمر والسييل الجارف، والجراد الذي يقضي على الخضرة، فلا يخلف وراءه إلا أغصانا مجرّدة من بهجة الحياة ورونقها¹.

وفوق ذلك يتسم تعاملهم مع غيرهم بالمكر والغش والخداع والكذب، وانعدام الحس الأخلاقي، وفساد الطوية وخبث السريرة وسوء النية، وعدم احترام ما تواضع الناس على احترامه من عهود ومواثيق وغرائز وصنعة، جعلت جشعهم وطمعهم وشغفهم بما في أيدي الناس كريها وبغيضا لذوي النفوس الكريمة الأبية².

يقول عنهم المؤرخ أمينوس: "إن هذا الجنس من البشر "الهون" لم تعقه أي ضوابط، فقد كان يتحرق شوقا مدفوعا بالرغبة غير الإنسانية إلى انتزاع ممتلكات الآخرين وتحت شكلهم الآدمي كانوا يخفون فظاعة الحيوان المتوحش، وشقوا طريقهم العنيف بين عمليات السلب والنهب التي شملت كل الشعوب التي اعترضت طريقهم"³.

ويمكن من خلال تلك الشذرات والسطور القليلة مضافا إليها ما حوتها حوليات

¹ - المرجع السابق، ص 45.

² - المرجع نفسه الصفحة نفسها.

³ - جوزيف داهموس، سبع معارك سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، تر: محمد فتحي الشاعر، ط2، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 27.

أباطرة الصين، رصد خروجين لهم، وعلى فترتين متباعدتين من الزمان، يشبهان في روحهما العامة ومظاهريهما المميزة خروجهم المعروف والموثوق به:

- الأول منهما اندفعت فيه جموعهم إبان حكم أسرة "هيا" Hia (2206-1779 ق.م) نحو الصين ووسط آسيا في موجات بشرية كاسحة، ضربت أغلب شعوب المنطقة، وبعد هذا التاريخ ولمئات السنين اقتصر خروجهم على الإغارة بقصد السلب والنهب بلغت ذروتها أثناء حكم الإمبراطور "وو. وانغ" (1122-1115 ق. م)¹. وأدت إلى هجرة للصينيين من شمال البلاد إلى جنوبها. ولعل هذا الخروج وما تلاه من غارات هو الذي أحدث تحولا عميقا في تفكير الصينيين وسياستهم اتجاه جيرانهم في الشمال، فأرغموا أمام قسوتهم وهمجيتهم إلى القيام بحملات ضخمة توغلت في أراضيهم وخاضت معارك شرسة وقاسية توجت جميعها بإضعافهم وكسر شوكتهم، وفرضت عليهم هيمنة غير مباشرة عن طريق الولاءات القبلية... وغيرها ضمنت ولفترة محدودة جانبهم وأمنت شرورهم².

- أما ثاني خروج لهم، فالراجح أنه كان ما بين (1500-1000 ق. م)، وذلك في ضوء التغيرات السياسية والاجتماعية التي رصدت لمناطق وسط آسيا خلال هذه الفترة،

¹-The Imperial History of china- Macgown. P42.

²- الشفيق الماحي أحمد، المرجع السابق، ص48.

وامتد وجودهم ليشمل المناطق الواقعة حول بحر قزوين والبحر الأسود والإقليم الممتد شمال القوقاز وحوض نهر الفولجا والدانوب، وأحدث انتشارهم الواسع كالعادة اضطرابا كبيرا ليس فقط في السكان، وإنما في خريطة المنطقة برمتها¹.

- الخروج الثالث كان مع بداية القرن 7 ق. م على المناطق السهلية الواسعة جنوب روسيا، ومنها انتشروا حول بحر قزوين والبحر الأسود وشمال القوقاز، ثم اصطدمت طلائعهم جنوبا بالآشوريين، حيث عرفوا عندهم باسمين مختلفين: أشكوزي وسكيثيون، نزلوا على القبائل القاطنة جنوب روسيا كالسيل العرم، وفي ضربات سريعة ومدمرة أخضعوا المنطقة برمتها لنفوذهم، ولما وصلوا شرق بحر قزوين اصطدموا بدولة السيميرين، ففروا إلى مملكة أوراثو، والتي ألحق بها السكيثيون الدمار². وعقب رحيل السيميرين، توطدت أقدام السكيثيون في المنطقة وأقاموا من أنفسهم حكاما لأمبراطورية ضخمة، تبدأ حدودها من صحراء "جوبي" في منغوليا وحتى شمال البحر الأسود، وتضم في امتدادها الطويل شعوب وقبائل متعددة وكثيرة، أكرهوا جميعا على الانضواء تحت قواتهم المحاربة، فتكوّن جيش مرهوب الجانب وبأعداد كثيفة أخلّ بميزان القوى شمال وجنوب القوقاز، ودفع بالدولتين الميديّة والآشورية إلى التودد إليهم وضمّان صداقتهم، وكسبهم

¹ - المرجع السابق، ص 49.

² - المرجع نفسه، ص 49-50.

إلى جانبهم في الصراع الدائر بين مختلف القوى في المنطقة¹. وإلى الشمال من بحيرة "أورميا" دارت معركة حربية بين الطرفين، قاتل فيها الميديون دفاعا عن أنفسهم ووطنهم قتالا عنيفا، إلا أن المعركة حسمت لصالحهم، حيث نزل عليها جحافل يأجوج ومأجوج كالوحوش يعملون فيها نهباً وقتلاً وحرقة وتخريباً، وتناقل الناس ما ارتكبه من فضائع ما بين مصدق ومكذب² وبعد ذلك اتجهت جموع السكيثيين غرباً اتجاه آشور، وبعد نزال عنيف ومقاومة باسلة انهارت استحكاماتها ودمرت الحصون على بكرة أبيها، مما أدى بالقيادة الآشورية إلى التخلي نهائياً عن مجاهدة الغزاة وجها لوجه والاكتفاء بحشد كل القوات المقاتلة داخل حصون المدينة الرئيسية، وخاصة "نينوى" و"آشور"، وخلف المجاري المائية كخطوط دفاع لا يمكنهم عبورها بسهولة³.

توغل السكيثيون في المنطقة حتى وصلت جحافلهم شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وهنا تجأنا ندرة في المعلومات عن خط سيرهم⁴، ومن هناك زحفوا عبر الساحل حتى "عسقلان"، ومنها حتى حدود الإمبراطورية المصرية، فاصطدموا بتحصيناتها المنيع، فتوقفوا، فعرض عليهم كميات ضخمة من الذهب وهدايا لا حصر لها مقابل

¹ - الشفيح الماحي أحمد، يأجوج ومأجوج، المرجع السابق، ص 52.

² - المرجع نفسه، ص 55.

³ - المرجع نفسه، ص 56.

⁴ - المرجع نفسه، ص 58.

رجوعهم من حيث أتوا، فوافق القوم على ما عرض عليهم، ومن ثم عادوا إلى فلسطين سالكين نفس الطريق الذي جاءوا به¹.

- الخروج الرابع: أرخ القرآن الكريم لخروج يأجوج ومأجوج الرابع، وذلك في سياق قصته لمهمات "ذو القرنين": الأولى في أقصى الشرق، والثانية في أقصى الغرب والثالثة والأخيرة إلى الشمال في سورة الكهف، في قوله تعالى: "ويسألونك عن ذي القرنين... وكان وعد ربي حقاً"². وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ⁹⁶ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنا ظَالِمِينَ⁹⁷﴾ فدلّت الآيات الكريمة على كون خروج يأجوج ومأجوج من أشراط قيام الساعة واقترب اليوم الموعود. أمّا الأدلة من الأحاديث النبوية الشريفة، فمنها حديث أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوماً فرعاً يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أفنهلك وفينا الصالحون، قال: نعم، إذا كثر الخبث"³.

فسادهم في الأرض:

إنهم وفي لمح البصر يُقوّضون منشآت حضارية ممتدة في الماضي لآلاف

¹ - المرجع السابق، ص 59.

² - سورة الكهف.

³ - أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء (6/ 381) وكتاب الفتن (13/ 106). ومسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة (4/ 2207).

السنين وتتهاوى تحت ضرباتهم الحقودة مدنيات عريقة ويحيلون مدنا عامرة وآهلة بالسكان ما بين يوم وليلة إلى أكوام من الحجارة والطين.

أما استهتارهم بقيمة الحياة الإنسانية، فقد بلغ حدّ الفضاعة، فهُم وبمتهى البساطة يجثثون شعوبا وأما بأكملها من أساسها، ويقتلعونها من جذورها، ومن ينجو بجلده من قبضتهم، يفر هائما في بقاع الأرض ولا تقوم له ولا لأمتة قائمة بعد ذلك، وما يزرعونه من خوف في قلوب من لم تمتد إليهم أيديهم تتغلغل في الدم واللحم، ويظل الجميع يرتعد فزعا ورعبا من مجرد التفكير في قدومهم، فمنهم من يولي هاربا، ومنهم من يبقى مرتقبا ظهورهم ما بين لحظة وأخرى¹.

لذلك وقف معظم الباحثين - إن لم نقل كلّهم - في حيرة من أمرهم اتجاه همجيّتهم وقساوتهم التي لم تعهد لها البشريّة من أقوام أخرى!! وكذا استهتارهم البالغ بحياتهم، وأسس تمدنهم وميراثهم العلمي والثقافي وأصدقهم من فسر ذلك كله بالشهوة العمياء التي لا تشبع ولا ترتوي إلا بالقتل والخراب، إذ يعتقدون أنهم يجدّدون طاقاتهم كلّما حقّقوا مبتغاهم من عيش على دماء البشر، وكذلك لضغيتهم المتوارثة عن أسلافهم في أنهم حبسوا سنين مديدة من الزمن.

وليث الأمر اقتصر على القتل وحده، ولكنهم يمثلون بجثث ضحاياهم تمثيلا

¹ - الشفيح الماحي أحمد، يأجوج ومأجوج، مرجع سابق، ص 130.

تشمئز منه النفوس، يحكي "هيرودوتس" ما كان يفعله السكيثيون في قتالهم فيقول: "... وأما من جهة الحرب، فهذه هي العوائد التي اصطلحوا عليها: السكيثي يشرب دم أول رجل يقتله، ويقطع رؤوس كل الذين يقتلهم في الحرب ويحملها إلى الملك... ولكي يسلخ السكيثي الرأس يصنع أولا شقا على شكل دائرة من جهة الأذنين، ثم يمسكه من أعلاه ويهزه فينزع جلده ثم يفرك الجلد بين يديه، بعد أن ينزع منها اللحم بضلع ثور. ومتى ليّنها جيدا يستخدمها بمثابة فوطه، فيعلقها في لجام الفرس الذي يركبه ويفتخر بها لأنه كلما كثرت هذه الفوط عند السكيثي يزداد اعتباره بالشهامة والشجاعة.

كما يستعمل السكيثيون جماجم أعدائهم أقداحا للشرب بعد تنظيفها وإلباسها قطعة جلد الثور¹.

نهاية يأجوج ومأجوج:

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر الحديث وفيه: "ويخرجون على الناس فيسقون المياه، ويفر الناس منهم، فيرمون سهامهم في السماء، فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وغلبنا من في السماء قوة وعلوا، قال: فيبعث الله عزّ وجلّ عليهم نغفا² في أقفائهم فيهلكهم، والذي نفس محمد

¹ - المرجع السابق، ص 332-333.

² - هو دود في رقابهم.

بيده إن دواب الأرض لتسمن وتبطر وتشكر شكرا، وتسكر سكرًا من لحومهم"¹. وقال القاضي العياض: "... فيؤذون الأرض والمؤمنين بئتهم، فيدعو عيسى وأصحابه ربهم، فيرسل الله طيرا فتحملهم حيث شاء الله"².

فبعد طغيان يأجوج ومأجوج وإفسادهم وعتوهم في الأرض، يتضرع نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى الله سبحانه وتعالى ليكشف عنهم ما حلّ بهم من البلاء والحن التي لم يجدوا بأنفسهم حيلة ولا قوة لدفعها، فيستجيب الله لهم، فيسلط عليهم الدود الصغير فيهلكهم فيصبحون موتى موت الجراد، يركب بعضهم بعضا، فتمتلئ الأرض من ننتهم فيؤذوا الناس بئتهم أشد من حياتهم، فيتضرع نبي الله عيسى وأصحابه ثانية إلى الله عز وجل فيرسل طيرا تحملهم وتطرحهم في الأرض، ثم يرسل مطرا تغسل آثارهم، ثم يأمر الله الأرض لترد بركتها وتنبث ثمارها، فيعمّ الرخاء"³.

فعن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "... ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع متخضبة دما للبلاء والفتنة، فبينما هم على ذلك، بعث الله دودا في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقه، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون: ألا رجلا يشري لنا

¹ - أخرجه الترمذي في سننه: أبواب التفسير (599/8)، وابن ماجه في سننه: كتاب الفتن (1364/2 - 1365).

² - إكمال المعلم (115/6 - 116).

³ - عبد الله بن سليمان الغفيلي، المرجع السابق، ص 138.

نفسه، فينظر ماذا فعل هذا العدو، قال: فيتجرد رجل منهم لذلك محتسبا لنفسه قد أظنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى، بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين: ألا أبشروا، فإن الله قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، يسرحون مواشيهم، فما يكون لها رعي إلا لحومهم، فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شيء من النبات أصابته قط"¹

يتبدى لنا ممّا سبق ذكره أن الخروج الوحشيّ و المدمّر ليأجوج ومأجوج أمر يقينيّ لا جدال فيه، كيف لا وهو موثق بالنصّ القرآني المقدّس وكذلك الأحاديث النبويّة الشريفة. ولزاما علينا التنويه كذلك إلى أن أمر خروجهم المذكور كذلك في كتب " مرقس، لوقا، متّى وحنى في الإنجيل. أي أن خروجهم لا جدال فيه مادامت الديانات السماويّة قد تطرقت إليها مع اختلاف طريقة التصوير و وصف المشاهد.

ومع هذا وصف قوم الأورك في الرواية أتى وارد بالمواصفات المذكورة في النصوص الإسلاميّة. فهل يمكن الجزم أن رونالد تولكين اطّلع على وصفهم كما هو مذكور في كتب الدين الإسلاميّ؟ !! إن كان نعم فلم لم يقرّ بهذا؟ !! و إن كان لا فكيف نبرّر أوجه التشابه بين قوم يأجوج ومأجوج والأورك المذكورين في الرواية؟ !! هذا ما سيحاول الطرح التطرّق إليه في المبحث التطبيقيّ المقارن.

¹ - أخرجه الإمام أحمد في سنده (77 / 3)

المبحث الثاني: عرض حكاية الصياد و العفريت، ألف ليلة وليلة

بإجماع كل النقاد والحكواتيين أنّ ألف ليلة وليلة وردت متنوعة كما أنّ شأنها شأن تلك السلسلة المتراصة حلقاتها، إذ لا يمكن الوقوف عند عنصر محدّد لمعالجتها إلا بالرجوع و التوقف عند العناصر السابقة، مردّ هذا الحبكة الفنيّة المتسلسلة واستفحال عناصر التشويق بتراتيبيّة، يصعب محاولة التقديم أو التأخير فيها بل ويجعل الأمر مستحيلا. أضف لهذا التسلسل تضمين المؤلف المجهول للعديد من القصص الشعريّة، النثرية، الخياليّة الكوميديّة، والتاريخيّة. يتخلّل معظمها وصف للجان وأماكن أسطوريّة وحديث عن السحرة والأقزام والغيلان يتداخلون أثناء الحكّي عنهم مع أناس حقيقيّين.

لقد أدى السرد الحكائيّ في هذه الذرة الأدبيّة العالميّة دورا منفردا، إذ عزفت شهرزاد على الوتر التاريخي مستخدمة نوبات أسطوريّة وحقيقيّة في الوقت نفسه، جعلت القارئ أو السامع مذهولا وواقفا عند الحدّ الفاصل بين التصديق والشك. هذا لأنها تعود به إلى الأزمنة السابقة وهي متبرّأة ممّا ستحكي وهذا دليل على فطنة شهرزاد. إذ نجدها تردّد عبارة يُحكى وتعقبها والله اعلم بغيبه وأحكم. فبهذا الأسلوب تجنّب نفسها الوقوع في شباك عتاب وسخط الملك شهريار، وتنسب مضامين النص الحكائيّ

إلى غيرها، هذا الغير " المجهول " الذي تحيل إليه أصل الحكايات لتحمله مسؤولية كل ما سird في المضامين.

*تبدأ حكاية الصياد والعفريت من الليلة الثالثة وتنتهي في الليلة التاسعة. هذه الأخيرة - الحكاية - لا تختلف عن سابقتها، إذ ترتبط بحكايات أخرى. ومع هذا فمقامها يملئ علينا عرضها بدلا من تلخيصها، هذا لأن الملخص يعتبر في بعض الأحيان إجحافا لمكانة النصوص العالمية وفي أحيان أخرى يعتبر تشويها للنص الكامل.

قالت: بلغني أيها الملك السعيد أنه كان رجل صياد وكان طاعنا في السن وله زوجة وثلاثة أولاد وهو فقير الحال وكان من عادته أنه يرمي شبكته كل يوم أربع مرات لا غير ثم أنه خرج يوما من الأيام في وقت الظهر إلى شاطئ البحر وحط معطفه وطرح شبكته وصبر إلى أن استقرت في الماء ثم جمع خيطانها فوجدها ثقيلة ف جذبها فلم يقدر على ذلك فذهب بالطرف إلى البر ودق وتدًا وربطها فيه ثم عرى وغطس في الماء حول الشبكة وما زال يعالج حتى أطلعها ولبس ثيابه وأتى إلى الشبكة فوجد فيها حمارًا ميتًا فلما رأى ذلك حزن وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال أن هذا الرزق عجيب وأنشد يقول:

يا خائضًا في ظلام الله والهلكة.....أقصر عنك فليس الرزق بالحركة

ثم أن الصياد لما رأى الحمار مَيّت خلصه من الشبكة وعصرها، فلما فرغ من عصرها نشرها وبعد ذلك نزل البحر، وقال بِسْمِ اللَّهِ وطرحها فيه وصبر عليها حتى استقرت ثم جذبها فثقلت ورسخت أكثر من الأول فظن أنه سمك فربط الشبكة وتعري ونزل وغطس، ثم عالج إلى أن خلصها وأطلعها إلى البر فوجد فيها زيّراً كبيراً، وهو ملآن برمل وطين فلما رأى ذلك تأسف وأنشد قول الشاعر:

يا حرقه الدهر كفي إن لم تكفي فعفي فلا يحظى أعطي
ولا يصنعه كفي خرجت أطلب رزقي وجدت رزقي توفي
كم جاهل في ظهور وعالم متخفي

ثم إنه رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر الله وعاد إلى البحر ثالث مرة ورمى الشبكة وصبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها شفافة وقوارير فأنشد قول الشاعر:

هو الرزق لا حل لديك ولا ربط ولا قلم يجدي عليك ولا خط.

ثم أنه رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم أنك تعلم أنني لم أرم شبكتي غير أربع مرات وقد رميت ثلاثاً، ثم أنه سمى الله ورمى الشبكة في البحر وصبر إلى أن استقرت وجذبها فلم يطق جذبها وإذا بها اشتبكت في الأرض فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله فتعري وغطس عليها وصار يعالج فيها إلى أن طلعت على البحر وفتحها فوجد فيها قمقما من نحاس أصفر ملآن وفمه محتوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا سليمان.

فلما رآه الصياد فرح وقال هذا أبيعه في سوق النحاس فإنه يساوي عشرة دنانير ذهباً ثم أنه حركه فوجده ثقيلاً فقال: لا بد أني أفتحه وأنظر ما فيه وأدّخره في الخرج ثم أبيعه في سوق النحاس ثم أنه أخرج سكيناً، وعالج في الرصاص إلى أن فكّه من القمقم وحطه على الأرض وهزه لينكت ما فيه فلم ينزل منه شيء ولكن خرج من ذلك القمقم دخان صعد إلى السماء ومشى على وجه الأرض فتعجب غاية العجب وبعد ذلك تكامل الدخان، واجتمع ثم انتفض فصار عفريتاً رأسه في السحاب ورجلاه في التراب برأس كالقبة وأيدي كالمداري ورجلين كالصواري، وفم كالمغارة، وأسنان كالحجارة، ومناخير كالإبريق، وعينين كالسراجين، أشعث أغبر.

فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرائصه وتشبكت أسنانه، ونشف ريقه وعمي عن طريقه فلما رآه العفريت قال لا إله إلا الله سليمان نبي الله، ثم قال العفريت: يا نبي الله لا تقتلني فإني لا عدت أخالف لك قولاً وأعصي لك أمراً، فقال له الصياد: أيها المارد أتقول سليمان نبي الله، وسليمان مات من مدة ألف وثمانمائة سنة، ونحن في آخر الزمان فما قصتك، وما حديثك وما سبب دخولك إلى هذا القمقم.

فلما سمع المارد كلام الصياد قال: لا إله إلا الله أبشر يا صياد، فقال الصياد: بماذا تبشرنني. فقال بقتلك في هذه الساعة أشر القتل قال الصياد: تستحق على هذه البشارة

يا قيم العفاريت زوال الستر عنك، يا بعيد لأي شيء تقتلني وأي شيء يوجب قتلي وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر، وأطلعتك إلى البر فقال العفريت: تَمُنَّ علي أي موة تموتها، وأي قتلة تقتلها فقال الصياد ما ذنبي حتى يكون هذا جزائي منك.

فقال العفريت اسمع حكايتي يا صياد، قال الصياد: قل وأوجز في الكلام فإن

روحي وصلت إلى قدمي. قال اعلم أني من الجن المارقين، وقد عصيت سليمان بن داود

وأنا صخر الجني فأرسل لي وزيره آصف ابن برخيا فأتى بي مكرهاً وقادني إليه وأنا ذليل

على رغم أنفي وأوقفني بين يديه فلما رأني سليمان استعاذ مني وعرض علي الإيمان

والدخول تحت طاعته فأبيت فطلب هذا القمقم وحبسني فيه وختم علي بالرصاص

وطبعه بالاسم الأعظم، وأمر الجن فاحتملوني وألقوني في وسط البحر فأقمت مائة عام

وقلت في قلبي كل من خلصني أغنيته إلى الأبد فمرت المائة عام ولم يخلصني أحد،

ودخلت مائة أخرى فقلت كل من خلصني فتحت له كنوز الأرض، فلم يخلصني أحد

فمرت علي أربعمائة عام أخرى فقلت كل من خلصني أقضي له ثلاث حاجات فلم

يخلصني أحد فغضبت غضباً شديداً وقلت في نفسي كل من خلصني في هذه الساعة

قتلته ومنيته كيف يموت وها أنك قد خلصتني وميتك كيف تموت.

فلما سمع الصياد كلام العفريت قال: يا الله، يا للعجب أنا ما جئت أخلصك إلا في هذه الأيام، ثم قال الصياد للعفريت، اعف عن قتلي يعف الله عنك، ولا تهلكني، يسلط الله عليك، من يهلكك. فقال لا بد من قتلك، فتمن علي أي موته تموتها فلما تحقق ذلك منه الصياد راجع العفريت وقال اعف عني إكرامًا لما أعتقتك، فقال العفريت: وأنا ما أقتلك إلا لأجل ما خلصتني، فقال الصياد: يا شيخ العفريت هل أصنع معك مليم، فتقابلني بالقبيح ولكن لم يكذب المثل حيث قال:

فعلنا جميلًا قابلونا بضده وهذا لعمرى من فعال الفواجر
ومن يفعل المعروف مع غير أهله يجازى كما جوزي مجير أم عامر

فلما سمع العفريت كلامه قال: لا تطمع فلا بد من موتك، فقال الصياد هذا جني، وأنا إنسي وقد أعطاني الله عقلاً كاملاً وها أنا أدبر أمرًا في هلاكه، بحيلتي وعقلي وهو يدبر بمكره وخبثه، ثم قال للعفريت: هل صممت على قتلي قال نعم، فقال له بالاسم الأعظم المنقوش على خاتم سليمان أسألك عن شيء وتصدقني فيه، قال نعم، ثم إن العفريت لما سمع ذكر الاسم الأعظم اضطرب واهتز وقال: أسأل وأوجز، فقال له: كيف كنت في هذا القمقم، والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلك، فقال له العفريت: وهل أنت لا تصدق أنني كنت فيه فقال الصياد لا أصدق أبدًا حتى أنظرك فيه بعيني، وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الرابعة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الصياد لما قال للعفريت لا أصدقك أبداً حتى أنظرك بعيني في القمقم فانتفض العفريت وصار دخاناً صاعداً إلى الجو، ثم اجتمع ودخل في القمقم قليلاً، حتى استكمل الدخان داخل القمقم وإذا بالصياد أسرع وأخذ سداة الرصاص المختومة وسدّ بها فم القمقم ونادى العفريت، وقال له: تمنّ عليّ أيّ موتة أموتها، لأرميك في هذا البحر وأبني لي هنا بيتاً وكل من أتى هنا أمنعه أن يصطاد وأقول له هنا عفريت وكل من أطلعه يبين له أنواع الموت يخبره بها.

فلما سمع العفريت كلام الصياد أراد الخروج فلم يقدر ورأى نفسه محبوساً ورأى عليه طابع خاتم سليمان وعلم أن الصياد سجنه وسجن أحقر العفاريت وأقذرها وأصغرها، ثم أن الصياد ذهب بالقمقم إلى جهة البحر، فقال له العفريت لا، لا فقال الصياد: لا بد لا بد فلطف المارد كلامه وخضع وقال ما تريد أن تصنع بي يا صياد، قال: ألقيك في البحر إن كنت أقمت فيه ألفاً وثمانمائة عام فأنا أجعلك تمكث إلى أن تقوم الساعة، أما قلت لك أبقيني يقيقك الله ولا تقتلني يقتلك الله فأبيت قولي وما أردت إلا غدري فألقاك الله في يدي فغدرت بك، فقال العفريت افتح لي حتى أحسن إليك فقال له الصياد تكذب يا ملعون، أنا مثلي ومثلك مثل وزير الملك يونان والحكيم رويان، فقال العفريت: وما شأن وزير الملك يونان والحكيم رويان وما قصتهما؟! !!

لا مواربة في أنّ حكايات ألف ليلة وليلة هي حكايات توليديّة، أي أن كلّ خاتمة حكاية تستوفي عنصرا للتشويق فتكون فاتحة لحكايات أخرى. وفي حكاية الصيد والعفريت كان حاضرا الأسلوب التضمينيّ. الأمر الذي جعل هذه الأخيرة - الحكاية - تنقسم إلى قسمين. القسم الأوّل يلتقي فيه الصيد بالعفريت المارد وفي القسم الثاني يلتقي الصيد بالخليفة و يهدي له سمكات ملوّنة - وهي بدورها ترد عنها حكاية في ألف ليلة و ليلة - في القسم الأوّل يرمي الصيد شبكته في البحر ثلاث رميات فاشلة وفي الرمية الرابعة يصطاد قمقما، يخرج منه جنيّ مارد يقترح على الصيد أن يختار الميته التي يموتها، هذا لأنه عزم على قتل من يخلصه من القمقم بعد مرور أربعمئة سنة.

لكن الصيد ولأنه إنسيّ وأنعم الله تعالى عليه بالعقل، دبّر في طريقة تنجيه منه، فطلب منه أن يراه بأم عينه وهو يدخل القمقم و هو بتلك الضخامة!! ولكي يستعرض الجن قدرته في التشكل كيفما يشاء دخل القمقم، حينها أسرع الصيد بغلقه، وشرع العفريت يتوسّل إلى الصيّد أن يخرجّه إلا أنّه رفض لأنّه لا يأمن شرّ الجنّي المارق، فالذي عصى نبيّ الله عزّ وجلّ لا أمان فيه ومن ينكر الخير لا خير فيه.

لقد اشتملت الحكايات على قيم ونصائح مباشرة وغير مباشرة، ومن بين ما حوته من تلك القيم، التطرق إلى التوكل على الله سبحانه وتعالى في كسب الرزق وتبيان

ضرورة العمل وهذان الأمران يتيقن منهما ذو العقل اللبيب وهذا ما وجده المتلقي في شخصية الصياد الذي اتصف كذلك بالصبر، إذ لم يستسلم في رمي شبكته مرات عديدة على الرغم من عدم حصوله على الصيد في المرات الثلاث ومع هذا لم ييأس، كما أنه كان فطنا في التغلب على العفريت المتسلط والمتغطرس الذي فاخر بقدراته على التشكل، إلا أن تلك المفارقة كانت سبيلا في تخليص الصياد من بين يدي المارق بعد أن طلب منه الصياد أن يدخل مجددا إلى القمقم ليصدق أن مخلوقا بهذا الحجم كان بداخله. فالإنسي فعلا أكثر تعقلا وحكمة على الرغم من أنه مخلوق ضعيف من منظار الشياطين والجن المارقين.

المبحث الثالث: ملخص رواية ملك الخواتم The lord of the ring

Abstract

The events of this novel revolves around the power of a ring, the one who possesses it would rule the world, both of humans and that of Faerie, one ring to bring out all the creators, one ring to have dominance over them all, that is because it is a way to own the infinite power, a power that the lord of darkness **Soron** wanted so much to rule the middle land and enslave its people, but the young dwarf **Frodo** is the one who inherited the ring, he was accompanied by his hobbit friends they joined them also some extraordinary humans, a magician, a faery and a dwarf that accompanied them in the mission of taking the ring along the middle land to reach Morder mountain, and it is the place where the ring was meant to be destructed, the trip was so dangerous they were attacked by humans and magicians and even by nature that is because the dominance of the lord of darkness **Soron** who had prepared a strong army ; in addition to these external evilness that faced them and that could not separate their unity at the beginning, they fall into a dispute and an internal division because of the effect of the ring, but they should not surrender knowing that the future of humanity rested on the ending of the ring.

The lord of the rings, the two towers, this last started by narrating the events that occurred between the two towers precised on a bookmap between **Arminia** and **Adrabijan** and the hills, there it is called Barmin Moule where the hobbit **Frodo** and **Sam** had been lost and they ignored their way, and they discovered that they were not in a secure situation if the

bizarre creature with the ugly form **Smigel** continued accompanying them, **Smigel** who was damned after having being found of the ring. Before his form was changed, he was called **Gollom** , he had promised them to guide them to the black Mordor flood gates if they set him free.

Sam couldn't trust him and he still Contemplates his illogical and bizarre character and. But Frodo feel mercy towards him and ignored that **Gollom** had hold the ring a time ago and he wanted to gain it again.

The hobbits continued their trip along the middle land, **Aragon, Ligolas** too, the skilful bowman had helped them to arrive to **Rohan** kingdom under the rule of greatest king. **Theoden** who fell under the effect of the magic of the Saruman, the daughter of the king fell in love with the human partisan. **Aragon** she loved the qualities of the brave captain in him but he loved a faery who shared with him the same emotions.

The noble magician **Gandalf** appeared again, he struggled with **Balrog** in the first party, he advocated unity and brought the hope of retaking the right of humanity by freeing the middle land from the darkness of **Saruman**, the friends of goodness had faced difficulties and terrible wars with another extraordinary forces, they were a group of humans, faeries, magicians and another kinds neither humans nor faeries, they were small but strong, their strength is from their speed, on their way they recieved help from the white man **Gandalf** and also another kind of unique trees where they hid and it used to guide them, occasionally it talked to them. Soon was the final battle and **Gandalf** tried to unify the broken army too quick preparing for the war, he got help from the king **Theoden** who prepared the strongest army in history. Despite their courage and loyalty

they couldn't be compared with the enemies but they advanced and fought for their future trying to distract **Soran** and give the opportunity to the ring holder Frodo to finish his mission. The hobbit that persisted in his dangerous trip along the lands of enemy to destroy the only ring, the legendary ring in the fires of the mountain.

Frodo get near to his goal and he depended on **Samouis**. Now **Gollom** and the ring itself were going to pretest the loyalty of Frodo and his humanity and his will to save the people.

At the end, **Frodo** threw the ring on fire and the big eye represented by Soron. The lord of darkness had collopsed. Finally the war had finished between the inhabitants of the middle land and the darkness forces. After that, **Frodo** had the chance to go on trip with his cousin inside the middle land. The Lord of the Rings novel contains aspects of knowledge that carry clear and ambiguous connotations. It also touched on the virtues, the determination and commitment of a few oppressed people who have changed the world towards their desired goal thanks to their determination.

ملخص الرواية بالعربية: سيد الخواتم 517 صفحة مترجمة إلى اللغة العربية للأستاذ

فرج الله سيد محمد أمّا أوّل نسخة أصليّة لها عام 29 جويلية 1954 الصادر عن دار

النشر Allen and unwin, london

تدور أحداث الرواية عن سلطة خاتم من يمتلكه يحكم العوالم " عالم الإنس والجن، عالم ما فوق الأرض وما تحتها. خاتم واحد لإحضار كل المخلوقات. خاتم واحد للسيطرة عليهم كلّهم. هذا لأنه وسيلة لامتلاك السلطة اللامتناهية، سلطة رغب فيها سيّد الظلام سورون Soron كي يحكم الأرض الوسطى و يستعبد شعبها. إلا أن الخاتم ورثه الشاب القزم فرودو Frodo الذي رافقه أصدقاء هوبيتت¹ يساعدونهم بعض من البشر الخارقين وساحر و جنيّ قزم، يتحمّلون مهمّة الرحلة بالخاتم عبر الأرض الوسطى ليوصلوه إلى جبل الهلاك - وهو المكان الذي صُنِع فيه- كي يتمّ تدميره والتخلّص منه. لقد كانت تلك الرحلة محفوفة بالمخاطر والأهوال سواء من قبل البشر أو السحرة وحتى الطبيعة هذا لأنّهم كانوا متوجّهين لأرض تحت سيطرة سورون سيد الظلام الذي يحشد جيوش الأورك. إضافة لهذه الشرور الخارجيّة التي تعرّضوا لها والتي لم تفرّق وحدتهم في البداية، فقد تعرّضوا

¹ - التوضيح بالمسرد

لخلاف وانشقاق داخلي بسبب تأثير الخاتم. لكن لا يجب الاستسلام حيث إن مستقبل البشرية مرهون بمصير الخاتم.

سيد الخواتم: البرجان

وهو الجزء الثاني لملك الخواتم يقع في 399 صفحة في الطبعة المترجمة إلى العربية من قبل فرج الله سيد محمد، الصادر عن نهضة مصر للطبع والنشر والتوزيع، بترخيص من شركة Harper collins publishers limited أما في النسخة الإنجليزية فيقع في 418 صفحة الصادرة عن Harper Collins- London . يبدأ هذا الأخير بسرد الأحداث الواقعة بين البرجين المحددين في خريطة الكتاب بين أرمينيا وأذربيجان والتلال هناك تدعى بامين مويل تاه فيها الهوبيتي فرودو وسام و ظلًا طريقيهما، واكتشفا أنهما ليسا في مأمن مادامهما برفقة ذاك المخلوق الغريب ذو الشكل المقرف سميغل الذي حلّت عليه اللعنة و تشوّه بعد أن تملكه حب الخاتم قبل أن يتحوّل شكله آنذاك كان اسمه غولوم. يعدهم غولوم أن يقودهم إلى البوابات السوداء لموردور إذا أطلقوا سراحه. إلا أنّ سام لم يثق به إذ كان يراقب حركاته الغريبة وتقمّصه لشخصية ثانية. لكن فرودو كان يشفق عليه لأنه لم يكن يعلم أن غولوم كان حاملًا للخاتم فيما مضى وإنه يرغب في نيله مجددًا.

لقد واصل الهوبيتيون رحلتهم عبر الأرض الوسطى¹ وساندهم فيها أراجورن وليجولاس الماهر في رمي السهام، ليصلوا إلى مملكة روهان بقيادة الملك العظيم ثيودين الواقع في شباك سحر سيد الظلام سارومان الذي أثر فيه بتعويدة شيطانية مميتة، من خلال تلاعب جاسوسه الشرير وورمتونجي. أثناء دخولهم لقصر المملكة انجذبت إيوين - ابنة أخ الملك المسلوب بسحر سارومان - اتجاه المحارب الإنسي أراجورن إذ شدّها إليه صفات القائد المغوار إلاّ أنه كان متعلّقاً بجنيّة بادلتها هي الأخرى الحب.

يظهر من جديد رجل الخير الساحر غانداالف الذي كان قد تبارز مع بالروغ في الجزء الأوّل، فيبعث في أصدقاءه روح الاتحاد ويزرع فيهم أمل استعادة نور البشريّة من خلال تحرير الأرض الوسطى من ظلام سارومان. لقد واجه أصدقاء الخير العديد من الصعاب و جابهوا معارك ضارية بقيادة جيوش هي الأخرى قواها خارقة إذ تشكلت بمجموعات من الجن والبشر والسحرة وأجناس أخرى لا هي جن ولا هي بشر، آذاها طويلة، قصار القامة، يستلهمون قوتهم من دماء البشر، رماحهم فتاكة، سرعتهم عجيبة، تزداد قوتهم مع انتشار الظلام فيعثون في الأراضي ولا يبقوا عليها شيئاً. فعلا كانت هذه القوى عائقاً أمام تحقيق الأرقام هدفهم، فقاماتهم قصيرة أجسامهم ضعيفة لا يملكون

¹ - موضحة في الخريطة بالمسرد

سلاحاً أعانتهم في طريقهم قوى الرجل الأبيض غاندالف وكذلك نوع من الأشجار النادرة التي كانوا يحتمون بها ويختبئون وسطها وتدللهم على الطريق إذ كانت تتحدث معهم و تحاورهم.

سيد الخواتم: عودة الملك: 354 صفحة في النسخة المترجمة

"بالإضافة إلى هذه المعارك الضخمة لديك هذه القصص الحميمة، القصص العاطفية، وهنا تجد معظم أوضاع قوة عودة الخاتم الحقيقية"

مع اقتراب المعركة النهائية، وتجمع قوى الظلام، يحاول جاندالف تجميع جيش جوندور المكسور بسرعة إلى المعركة. قام بمساعدته ملك روهان الملك ثيودين الذي وحد جنوده لأكبر اختبار في التاريخ، وبالرغم من شجاعتهم ووفائهم وولائهم فإن قوات البشر (مع تخفي أيوين وميري بين صفوفهم) فإنهم لا يقارنون بالأعداء المحتشدين ضد جوندور، مع مواجهتهم لخسائر كبيرة، إلا أنهم تقدموا وهجموا من أجل مستقبلهم محاولين معاً صرف انتباه سورون وإعطاء حامل الخاتم الفرصة لإكمال مسعاه. تعلق آمالهم بفرودو الهوبيت الصغير الذي صمم في رحلته المخوفة بالمخاطر عبر أراضي العدو الغادر على التخلص من الخاتم الأوحاد في نيران جبل الهلاك

إقترَب فرودو من غايته الأخيرة، وزادت المسؤولية الملقاة على عاتقه، وزاد إِعتماده على سامويس جامجى الآن سيختبر غولوم (والخاتم نفسه) ولاء فرودو وإنسانيته وفي الأخير ألقى فرودو الخاتم لتتحطم العين الكبيرة التي تمثل سورون سيد الظلام وبذلك تنتهي الحرب بين سكان الأرض الوسطى وقوى الظلام. وبعد هذا يحظى فرودو مع عمه برحلة إلى خارج الأرض الوسطى، وينتهي عهد حكم الخواتم الثلاثة الخاصة بالجن ويبدأ حكم البشر.

لقد ضُمَّت رواية سيد الخواتم جوانب معرفية متعدّدة حملت بين طياتها دلالات ورموز منها ما اتضح ومنها ما لا يزال مبهما. كما تطرّقت إلى جوانب الفضيلة، العزم والالتزام لكن من شقّ واحد ضمن تلك السلسلة كلّ. ذاك الشق الذي اقتصر على قلة من البشر المضطهدين لكن بإرادتهم تمكّنوا من تغيير العالم نحو الهدف المنشود.

الشخصيات الرئيسية للرواية: فرودو Frodo، غاندالف Gandalf، ساورومان Saroumane، آراغون Aragorn، ليغولاص Legola، جولام Gollum، أروين Arwen وسيعرض الطرح فكرة عن كل شخصية مرفوقة بصورة تخيلية، حتى تكون الفكرة أقرب إلى منظار المتلقي. وهذه الصور سترد وفق منظور محوّل الرواية إلى فيلم، بيتر جاكسون Petter Jackson.



فرودو باجنز Frodo هو أحد الشخصيات الرئيسية في سلسلة سيد الخواتم الخيالية ينتمي فرودو إلى شعب الهوبيت . يأخذ فرودو على عاتقه حماية الخاتم وإيصاله لجبل الهلاك وجبال الموريا ولكن الخاتم بدأ يضعف قوته ويحمله على ارتدائه وكان دليله إلى جبل الهلاك(سميغل)يحرضه على ذلك كما كان يوقع بين فرودو وصديقه (ساموايز غمجي)الذي كان يعمل كبستاني لدى عائلة فرودو¹

أيًا كانت طبيعة العلاقة بين فرودو Frodo وساموايز ومهما شابتها بعض الخلافات بسبب تحريضات سميغل، فإن هدفهما كان مشتركاً، هو إنقاذ البشرية من قبضة سيد الظلام سارومان.

¹ https://ar.wikipedia.org/wiki/فرودو_باجنز

غاندالف Gandalf: يتحدث تولكين عن جاندالف في فصل بعنوان الإستاري الذي نُشر في الروايات الغير مكتملة. يصف فيها جاندالف بانه الساحر الأخير الذي وصل إلى الارض الوسطى, وانه "بدى أنه الادنى, اقصر من البقية, ومظهره أكثر سِنًا, شعره شائب وردائه رمادي, ويرتكز على عصي". ومع هذا فالإلف سيردان الذي لاقاه عند وصوله اعتبره "اعظم وأحكم روح" واعطاه خاتم القوى المدعو ناريا, خاتم النار, الذي يحوي حجر أحمر ليساعده ويواسيه. يربط تولكين غاندالف بعنصر النار.¹



شبكة ابو لواف

¹ <https://ar.wikipedia.org/wiki/غاندالف>

ساورومان Saroumane: ساورون اسم بلغة كوينيا¹* يعني الممقوت أو المكروه، الخبيث وكلّ صفة سيئة ساحر بقوى خارقة وقاسية مكنته من أن يستعبد الأشباح، يتميّع كالزئبق إذ يتخذ عدّة أشكال تخوّل له القضاء على كلّ من يحاول السيطرة عليه. حتى الذئاب الضارية سادها. سعى لجلب الخواتم السحرية من الهوبيت والجان لأجل إفسادهم وإذلالهم والخضوع لإرادته. وبالفعل تمكّن ساورون من ضمّ جيوش هائلة من الأوركس و البشر المستعبدين من الشرق والجنوب. واعتمد على العين المكشوفة كرمز يطلع الآخر على أنه - ساورومان - يرى كلّ شيء، و ليظهر يقظته وعلمه بكلّ ما يجري، و توسّعت دائرة جيوش ممّا زاد العين تلك قوّة و رهبة. قال عنه تولكين: " كان أقلّ شرّاً فقط من سيده، وفي خدمته الطويلة كان يخدم غيره ولم يخدم نفسه "



- * التوضيح بالمسرد¹

آراغون Aragorn : أحد الشخصيات الرئيسيّة في الرواية وهو وحفيد اسيلدور قاتل سورومان، لهذا جعل منع الروائيّ تولكين الوريث الشرعي للجدّ اسيلدور. وفي نزل يلتقي بفروودو ويقدم له العون والمساعدة كي يوصل بالخاتم إلى العين المنصهرة، فتتشكّل زمالة، إلّا أن هذه الأخيرة يتشتت أعضاؤها ، إذ يقرّر آراغون اللحاق بجيش الأورك ليحرّر ماري ويبين بمساعدة صديقيه ليغولاس غيملي. فينهزم سارومان في معركة هارونبيرع. ليفرّ إلى غوندور أين تقع المعركة الكبرى. المعركة التي تقرّر مصير البشر لشعوب الأراضي كلّها.



ليقولاص Legolas: شخصية خيالية ظهر في الجزء الثاني من الرواية و هو ابن ثرونديل Thranduil، ملك الغابة السوداء الذي عاش في عام 3018 من العصر الثالث. أعطاه الروائي **تورلكين** كل مواصفات الفارس المغوار، إذ وصف عيونه بالخرقة لهذا كان دائما في حراسة الزمالة، ويقول عنه **تولكين** "شجرة شابة في ليلة بدون ربح" إذ كان نحىلا و طويلا، ما مكن قفزاته من أن تكون عالية جدا إلى حد أنها تحجب عن الأنظار، و قدرته على التحمل جعلته لم يتخل عن الزمالة ويقف معهم في كل دروبهم، مستعينا بأسلحته القوس والخنجر



جولام Gollum: وردت لفظة (الجولم) في التوراة- الإصحاح 16/129، ومعناها الحرفي «ناقص» أو «عاجز» أو «أبله». المقصود به الكتلة الجسمانية التي تمنح الحياة نتيجة وضع كلمات مقدسة أو سحرية فوق رأسها. وينحصر دوره كخادم أو كعَوْن للمهام الشاقة، لو انتبهتم لفيلم سيد الخواتم ستجدونه قد استلهم من الفكرة، وجعل من جولام قواما لجيوش ساورون التي اجتاحت بها الأرض الوسطى.¹

صورة لغولام قبل استحواذ القوى الخبيثة للخاتم:



¹ / مقال لياسين أحمد سعيد، مجلة إضاءات، داخل جدران الجسد، 2016/10/29 نقلا عن الرابط الإلكتروني

www.ida2at.com/within-the-walls-of-the-body

صورة أثناء تحوُّله بعد استحواذ قوى الخاتم عليه:



صورة لجولام بعد تحوّله بفعل قوى الخاتم الذي سيستحوذ حامله على الأرض

الوسطى:



أروين **Arwen**: جنية أبدع تولكين في وصفها، إذ جعل المتلقي يحسب أنها حقيقية

Les tresses de sa sombre chevelure n'étaient touchées d'aucun givre ;
ses bras d'albâtre et son visage clair étaient lisses, sans aucun défaut,
et la lumière des étoiles se voyait dans ses yeux brillants, gris comme
" une nuit sans nuages

" ضفائر شعرها الداكن لم تمس بالصقيع؛ كانت ذراعيها مرمرية ووجهها صافي
ناعم، دون أي عيب، ويمكن رؤية ضوء النجوم في عينيها الرماديتين البراقتين، كليل
بلا سُحُب.

لقد اختارت أروين الزواج من حبيبها البشري أراغون وهي بهذا القرار تخلت عن
حياة الخلود لكنها أصبحت ملكة للجان والرجال في الأرض الوسطى



لم يحصر الروائي تولكين روايته في مجموعة الأشخاص تلك، بل وسّع نطاق الشخصيات البطوليّة، الثانويّة و كان لكل منهم دورا طليعا في صنع حبكة فنيّة فريدة أمثال: سام، بيلو باغينز، غولديري، نازغول، ثيودن والد إيوين.... وغيرهم ممن شكّلوا سلسلة مترابطة في خلق أحداث أسطوريّة لكنّ في رداء المعقول، وهذه هي الميزة التي تفرّد بها الروائي وتقاطعت إلى حدّ جد بعيد مع الليالي السمريّة من ناحية الترابط الفنيّ وكذا تشابه الأحداث. فهل يعقل أن تكون شهرزاد قد حاكت مسبقا الأجيال اللاحقة وأتّرت فيها لدرجة أن حاول الشخص العادي أو المثقف أن يخلق جوّ الليالي !! أم أنّ تولكين كان على بصيرة بما سيحدث في الأرض الوسطى والتي هي الشرق الأوسط حاليا وقتّع روايته بمحاولته دمج السرّ الشهزادي في روايته !! وإن كانت الإجابة بلا، فهل يعقل أيضا استبعاد العديد من المعالم النصيّة الإسلاميّة في روايته؟ !! سيحاول الطرح الإجابة عن هذه التساؤلات في المبحث اللاحق..

المبحث الرابع: إبراز أوجه الائتلاف والاختلاف.

رواية ملك الخواتم، رواية جمعت بين اللسانيات، الميثولوجيا، السيميائيات، الدين... لقد حوت عديد الجوانب المعرفية الولادة في غطاء العجيب، هي تعبير فصيح عن الخيال الخارق للإنسان وقوة إبداعه، خصوصا وأن الروائي **تولكين** لم يدل بتأثره من أي منهل، الأمر الذي عسّر على الطرح تصنيف هذه الرواية، إن هي في خانة المحاكاة أم التناص أم التضمن أم التأثير والتأثر !!

لقد اتضح لكل قارئ للرواية التولكينية أن محور الأحداث كلها انبثقت من الخاتم، خاتم يعني السلطة والحكم النزيه لدى البشر الطيبين بينما يعني التسلط لدى الأشرار. هذا الذي نجد له شبيها لخاتم آخر، حبس بسببه مارد في إبريق وسدّ قمقمه بالنحاس والرصاص في قصة الصياد والعفريت من ألف ليلة وليلة. إن العفريت المارد في هذه الليالي كان يترصّ بخاتم سيدنا سليمان عليه السلام، بما أن خاتمه هو سلطوي وتآمر بإمرته الإنس، الجان والحيوان، كلّ خاضع له بإذن من الله عزّ وجلّ. لهذا عصى المارد نبيّ الله سيدنا سليمان - عليه السلام - بعد أن حاول سرقة. فكانت العقوبة السجن في إبريق إلى حين أن يشاء الله تعالى فكّه... وتوالت العديد من الأحداث المتسلسلة خلقت فضاء لتوالي حكايات أخرى.

هكذا كان خاتم تولكين في روايته، شكّل بؤرة الرواية العالمية و فصح المجال لطرح العديد من التساؤلات و طغيان الإبهام والغموض و عديد الأسرار... في رواية ملك الخواتم عوقب جولام باللعنة التي حولت شكله إلى كائن مقرف ومقزز وعاش أسيرا وعبدًا لقوى الخاتم الذي وجدته مع صديقه في سمكة أثناء الصيد، وهنا تتقاطع القصتين، القصة التي أفادت بأن سيدنا سليمان - عليه السلام - لما سرق المارد منه خاتمه، ضاع منه هو كذلك إذ سقط منه في البحر و ابتلعه سمكة. لكن تشاء الأقدار أن يعثر عليه بعد اصطياد السمك. عفريت الليالي العربية سجن قرابة 300 ثلاثمائة سنة. في المقابل جولام في رواية تولكين أسره الخاتم قرابة 300 ثلاثمائة سنة في شكل لا يشبه لا الإنس ولا الجان، إلى أن كانت نهايته في العين الحمئة بجبل الهلاك.

سئل رونالد تولكين إن كان لعمله الروائي الضخم هذا علاقة بديانته. إذ كان كاثوليكيًا، إلا أنه صرّح بأن لا علاقة بين الأمرين. ومع هذا فالناهم للرواية يستشعر أن مذهبه الكاثوليكيّ أثر فيه دون أن يعي أو يدرك أنّه واقع في شباك مذهبه الدينيّ. فتضمنه لشخصيّة ساورون على أساس أنّه الشيطان القادم من الأرض الوسطى وكذلك مورغوث Morgoth الشخصية الأكثر شرورا في تلك المنطقة. وعلى الرغم من أن معظم النقاد يزعمون أن رونالد تولكين لم يوظّف أماكن دينيّة، إلا أن الأمانة توجب

على الطرح الإفصاح عما تغافلت الأنظار عنه. قد حدّد تولكين مكان التقاء جيوش الأورك وكل أحداث المعركة الكبرى في خريطة كتابه أنها ستكون بالأرض الوسطى، ونهايتها بتدمير الخاتم في جبل موردور خلف النهر العظيم أنودين. وقد جسّد المخرج هذا المكان بين أرمينيا وأذربيجان، وهو الموقع الذي حدّده الطبري في مختصر تفسيره للقرآن الكريم. حين حدّث عن خروج يأجوج ومأجوج في سورة الكهف. إضافة إلى هذا فمعركة آخر الزمان التي حدّثنا عنها سيّد الخلق محمد صلى الله عليه وسلّم والتي تعرف بمعركة هرمجدون إذ تعني باليونانية القديمة سلسلة جبال أو تلال وهي التي نقرأ عنها في رواية ملك الخواتم.

فكيف لبعض النقاد أن يستوعبوا فكرة رونالد تولكين لم يوظّف ديانتَه !! وقد صادف الطرح بعض الإشارات إلى أنه يعتقد أن ينتسب تولكين إلى جماعة المتنورين. بالفعل هذه التسمية تشير إلى اليقظة والتنوير لكن فيما بعد وحيث إنها كانت سرّية فقد عرفت أنها منظمة للتآمر ودسّ السموم ونفثها عبر عديد الأشكال خفية. إذ تعمل كذلك على برمجة عقول الناس واستحواذهم عليها، فيتحكّمون فيهم ويستغلونهم لأغراض مقيّنة. شعارهم الظلام لهذا ألبستهم كلّها سوداء. تلك القوى الخبيثة تجمّعت

في خاتم الرواية، وتحدث عنهم تولكين في سياقات غامضة و ورد ذكرهم بلفظة الرجال

السود Black Men

صورة تخيلية للمخرج بيتر جاكسون جسدها في فيلمه بعد محاكاته لأمر الخاتم والرجال

السود في رواية تولكين:



فعلا هي رواية فنتازية إلا أنها ضمت معارف أدبية وعلمية مختلفة كالشعر، الأسطورة، اللسانيات... وإضافة لهذا، قدرة الروائي على مزج الواقع بالخيال وكذا المعتقدات الدينية التي كانت بين الشنايا.

والأمر الآخر الذي أثار الانتباه أثناء التقصي عن حقيقة انتماء الروائي، عثوري على مقال بالشبكة العنكبوتية يؤدي بأن رواية ملك الخواتم عززت للسحر.

" يزعم أحدهم أن سيد الخواتم هو في الأساس مؤامرة غامضة لدفع البلاد أو ربما العالم إلى أحضان الشيطان وأن تولكين كان يكتب روايته فقط في ساعات الليل وقد تطلبت منه 13 عاما من العمل وهذا الرقم في حد ذاته غامض نوعا ما ، وبالتالي فهذه الرواية تعزز السحر، وهذا يبدو واضحا أو هذا ما يعتقده الكثيرون ، فالرواية تضم الكثير من المعتقدات والممارسات الغامضة ، ورغم أنها لا تشير إلى هذا الأمر بشكل صريح إلا أنها في مغزاها وفق بعض المنظمات المسيحية تعزز السحر "1

إن الخاتم الذي كان بؤرة الأحداث في الرواية، وكأنه بنفس القوى التي كانت مكنونة في خاتم سيدنا سليمان عليه السلام. إنه خاتم يحكم وسيتحكم في الجميع إن لم يقضى عليه. خاتم بقدرته أن يستحضر من يشاء ويسخره تحت إمرة مالكه، خاتم

¹ - http://www.snyar.net/10- نظريات - حول-العالم-من-فيلم-سيد-الخواتم

واحد سيمنح لسيّد الظلام أن يحكم الأرض الوسطى وكلّ شعوبها تكون خاضعة لسيطرته.

لا مجال للشكّ في أنّ الأرض الوسطى تعني الأراضي المقدّسة. هذه التي كان قد سرقها سورورون سيّد الظلام واستبدلها مع الجن مقابل الخواتيم السليمانية. إن هذه الأرض وقعت بها كلّ الحروب الطاحنة بالرواية وقاد تلك الحروب والمعارك جيوش هائلة اجتمعت فيها البشر، الجنّ، الأشجار حتى أرواح الموتى حضرت. لرؤية الروائيّ في أن هذه المعركة إمّا أن تكون منجاة للبشر أو لنهاية الزمان.

إنّما الحد الفاصل بين هلاك البشريّة أو استمراريّتها!! إنّها رواية أسرارها الغامضة أكثر ممّا أفصح به الروائيّ. لكنّ الظاهر للعيان أن الأرض المقصودة هي فلسطين وليست الأرض الوسطى التي يسكنها الجان. أمّا في الإسرائيليّات فعلى حدّ زعمهم الواهي هي أرض اسرائيل من النيل الى الفرات و العرب هم من استولوا عليها!! وحاشى أن تكون هذه الأراضي المقدّسة لشزيمة نفثت السموم لهدم ركائز الإسلام.

الهوبيتيّين في الرواية لم يقحمهم تولكين لغرض عابر، بل كانوا زمرة بهم تحرّكت سلسلة الأحداث. قصر قامتهم لم يمنعهم من مجابهة أهوال الحياة، ممكّن لأنهم كانوا يعاشرون الجنّ ويستندون عليهم إذا ما تعرّس عليهم أمر ما. كحال اليهود المستعنين

بالسحر في حياتهم اليومية بطلب العون من الجن. وصفهم الروائيّ تولكين بأنهم شديداً البياض، طيبوا القلب، أنقياء السريرة، آباءهم وكبارهم في السن لهم صفائر دليل على بلوغهم وقوتهم. صفات متقاربة إلى حدّ بعيد مع مواصفات اليهود، فصفة قصر القامة والبياض والصفائر خصوصاً انمازوا بها دون عداهم من الشعوب الأخرى. و المرجع السابق، الرابط نفسه إقحام الروائيّ تولكين للأشجار الناطقة التي ساعدت الهويّتين على الاختباء من جيوش الأورك، يزيح الضبابيّة المفتعلة لعدم الإفصاح مباشرة عن شجرة الغرقد التي يختبئ وراءها اليهوديّ !!

يزرع اليهود شجر الغرقد بكثرة لعلمهم بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود » صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

جيوش الأورك عاثوا في الأرض فساداً، همجيتهم وقسوتهم لم يسلم منها أحد، وعداءتهم شنيعة اتجاه غيرهم، مكانهم تحت الأراضي وفي كهوف موريا المظلمة، وجوههم مفلطحة، عيونهم شبه ممسوحة لا تكاد ترى كما وصفهم الروائيّ تولكين، قصار القامة لكن آذانهم طويلة وجأشهم صلب، شبه عراة، لا قانون لحياتهم بل الهمجيّة أسلوبهم. يخرجون دفعة واحدة وينتشرون في الأرض بسرعة رهيبة متعطّشين لدماء البشر يستخدمون سهاماً ورماحاً أطول من قاماتهم ويرمونها بكلّ دقّة نحو

هدفهم، والذي كان أسماه، شرب دماء البشر وعدم الإبقاء على واحد منهم، يستعين بهم ساورون لنيل مراده. ملامح و صفات جد متقاربة بل تكاد تكون نفسها عند يأجوج و مأجوج كما سبق ذكرهم في المبحث الأول من هذا الفصل. وكما ذكرهم الرسول محمد - عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام - "إنكم تقولون لا عدوا وإنكم لن تزالوا تقاتلون حتى يأتي يأجوج ومأجوج: عراض الوجوه، صغار العيون، صهب الشغاف، ومن كل حذب ينسلون. كأن وجوههم المجان المطرقة "

ويصفهم أ/ الشفيع الماحي أحمد بقوله: " عيونهم صغيرة سوداء اللون ومدفونة بعمق في الرأس، وأنوفهم مسطحة فطساء، وشعرهم أسود صلب، وأجسامهم مربعة القامة ممتلئة ومنتصبه على الدوام، وأطرافهم قوية ومكتنزة ورقابهم غليظة وصلبة، وأكتافهم عريضة، وعضلاتهم بارزة ورؤوسهم بالنسبة لأجسامهم فكبيرة تضفي عليهم هيبة وحشية مرعبة، وغالبا ما يكونون خلو من الدقون، ولونهم داكن لا تطاق رؤيته.¹

لقد اختلفت الدراسات في تحديد نسلهم، - وقد سبق التطرق إلى هذه النقطة في المبحث الأول من الفصل الرابع - وما هو ظاهر بجلاء للعيان، أن ما سبق ذكره من المواصفات نجد معظمها إن لم نقل كلّها في الأورك الذين تحدّثوا في الرواية بلغة الكنيان والسيندرين وهي غير مفهومة، لأنها لغة الجان سبق التطرق إليها في مقدّمة الطرح. فلسانهم ليس كبقية المخلوقات، لا يفهمهم إلا من هو منهم. وهنا التقاطع العجيب مع

1 - الشفيع الماحي أحمد - المرجع السابق - ص 30

وصفهم في القرآن الكريم ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾¹

أضف لهذا دائما خروجهم في المعارك في الرواية يكون بعد غروب الشمس وسقوطها في العين الحارة. والتي تقابلها العين الحمئة في القصص القرآني الكريم.

ووفق الصورة التخيلية التي رسمها بيتر جاكسون كمحاكاة للرواية نعرض الصورة الآتية لتسهيل المقاربة بين الأورك في رواية ملك الخواتم ويأجوج ومأجوج في القصص القرآني.



¹ - الآية 93، سورة الكهف.

قصة الأفيال: لقد ضمّن الروائي رونالد تولكين جزأه الأخير في مشهد المعركة، أشرار الفرسان يمتطون فيلة لا نجد عنهم ذكرا في الكتب الدينية الأخرى، لأن قصة أصحاب الفيل المذكورة في القرآن الكريم فقط. كما أنّ العرب وسكان جنوب إفريقيا يمتطونها في رحلات التجارة والحروب. وهنا إشارة إلى أن المقصودين في هذه الرواية هم العرب خصوصا وأنه - الروائي - ألبسهم بكلماته زبّا عربيا وهم يمتطون هودجا على ظهر الفيلة. كما هو موضح في الصورة التخيلية للمخرج بيتر جاكسون.



لقد سبق الذكر بالقول أن الرواية مخوفة بالأسرار والشفيرات الغامضة، ليس من اليسير أن تتضح للسيمولوجي أو اللساني - لأنه وظف لغات غابرة - أضف لهذا فتحت شهية المؤرخين للتنقيب عما بتر من حقائق تاريخية ودينية.

إنها رواية لا تحتاج إلى القراءة فقط وإنما إلى النهم المتواصل والإلمام ولو لحد قليل بباقي الحقول المعرفية: السيمولوجيا، اللسانيات، الميثولوجيا، الدين.... كما يجب على القارئ لها أن يتحلّى بالترث وأن يكون صاحب بعد في نظره وأن لا يستعجل في إصدار الأحكام، لأن التحليل لها يفضي إلى العديد من الافتراضات. على سبيل المثال، لا يمكن لنا الجزم عن أية شخصية كان يرمز **تولكين** عندما تحدث عن ملك للأرض الوسطى، جرّده من الكينونة الإنسانية ووصفه بأنه روح ستستحوذ على العالم كله، إذ أنه يمتلك قوى خارقة تفرد بها دون سواه عن بقية الأرواح وكلّ المخلوقات. لقد شكّل هاجس الرهبة والفرع، خصوصاً وأنّ الأرض الوسطى والتي هي مراد كلّ الأعراق خاضعة لسيطرته على الرغم من أنه خفيّ ولم يحدّد له **تولكين** دوراً في المعركة الأخيرة في الرواية، بل لديه أتباعه على رأسهم **سورون** و**مورغو** وهما المنفذان للسيطرة على المكان المقدّس بالنسبة لهم - الأرض الوسطى - من خلال تملّكهم للخاتم الأوحّد الذي يبطل سيطرة خواتم القوّة التي يرتديها بقية الأجناس من الهويّتين والجان.

لكن الجنّ سرعان ما يتفطنون ينزعون الخواتم من أياديهم كي يتجنبوا سموم الروح الخبيثة واستحواذها عليهم. حينها يعلن **سورورن** حرباً بعد أن وزّع خواتم ثمينة لكنّها تحت سيطرة الروح الخبيثة، إلا أن الهوبيتين يرفضونها تجنباً للعبودية مع أنهم قليلي العدد وحياتهم متقلّبة بين مكان وآخر، بعد أن تدمّرت مملكتهم إذ كانت أعظم مملكة على وجه الأرض قضت عليها يد التين والتي يمكن أن تكون رمزا خفيّا عن سلطة مملكة سيّدنا سليمان - عليه السلام - وعلى الرغم من أنهم كانوا جدّا متعلّقين بالمجوهرات والذهب ودائماً حريصين على زيادة نماءها بأيّ شكل من الأشكال، لهذا كانوا يستعينون بالجنّ في كلّ أمورهم. وما هو معلوم أن اليهود أكثر الشعوب امتلاكاً للذهب رغم قلّتهم وتبعثرهم في الأرض ويقدّسون السحر كوسيلة لجلب المال. فأكثر الشعوب المقدّسة للسحر في العالم هم اليهود المتمكّنين من أخطر أنواع السحر **القابلا** الذي يتحقّق بشرب دماء البشر. لقد تفتّنوا في كلّ أشكال السحر، هذا لأنهم رأوا في سيّدنا سليمان - عليه السلام - أكبر ساحر - حاشى لله أن تكون الشخصية المقدّسة بهذه الصورة - وأن ملكه بفضل خاتمه. لهذا يسعون للوصول إلى هيكله كما ورد ذكر قصّة الخاتم كذلك في الحكايات السمرية الشهرزادية .

تقاطعات عجيبة بينهم و بين الهوبيتين في رواية ملك الخواتم !!

في خضمّ هذه الأحداث تظلّ الرؤية لهم من بداية الرواية لنهايتها أنهم أظهر عرق على وجه الأرض وسواهم من بقيّة الأعراق لا يمثلون سوى الشرّ.

بعد القراءة وإعادة القراءة لما بين السطور، نتلمّس عديد الأمور كانت بين الصدور عند الروائيّ **تولكين** ومؤيّديه من تلميحات لرموز غريبة وطلاسم مبهمة. هناك من يعتقد بأنّ المقصود منها أن الإسلام يمثل قوى الشر في المعركة التي تحدّث عنها الروائيّ في روايته، وقد سبق الذكر أن فرسان الشر فيها ألبسهم زيّا عربيّا وهي إشارة لمعركة **هرمجدون** أو آخر الزمان كما ذكرها سيّد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم. معركة يعتمد فيها اليهود على أعوان من الشياطين، السحرة، حتى الأشجار الملعونة تقف صفّهم " يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود"

وهذه الشجرة التي احتوى بها الهوبيتيّين في رواية ملك الخواتم. فهل يعقل أن تكون

الصدفة بالتشابه إلى حدّ بين اليهود والهوبيتيّين وشجرة الغرقد و أشجار تولكين !!

لقد سبق الذكر أن الهوبيتيّين تدمّرت مملكتهم على يد التنين، هذا الذي كان حارسا

لجبل من كنوز. فما هي دلالة توظيفه في الرواية دون سواه من بقيّة الحيوانات؟ !



بعد وفاة سيدنا - سليمان عليه السلام- ارتدّت أقوامه وانحسرت فيهم الفضائل وعمّ الفساد وانشر القتل والكلّ سعى بحثا عن سرّ قوّة سيدنا سليمان عليه السلام لإحكام السيطرة والنفوذ. الأمر الذي يؤكّد أنّ انصياغهم وامثالهم لأنبياء الله تعالى، إنما كان من باب الخوف وأن ما كانوا يضمرونه هو حسد وغلّ ورغبة في التمرد. إذ عادوا لمعتقداتهم الواهية وانقسموا إلى 12 سبطا تنحدر من أولاد يعقوب الاثني عشر: روبيل، شمعون، لاوي، يهوذا، ساخر، زبولون، يوسف - عليه السلام - بنيامين، دان، نفتالي، كاذا، وأشار. بعد وفاة الملك الفرعوني واخاهم - يوسف عليه السلام-

وطلبه من إخوته أن يدفنوه في أرض فلسطين، اشتد عليهم بطش الفراعنة مجدداً إذ أنهم هم كذلك - إخوة سيدنا يوسف - عليه السلام- تناولوا وحاولوا خلق الفرقة في المجتمع الفرعوني. ففرّوا وأسّسوا منطقتين إحداهما شمال فلسطين و التي تتكوّن من عشر قبائل وقبيلتين في الجنوب لبنيامين ويهوذا.

لكنّ البابليين شنّوا هجوماً على القبائل العشر واستحوذوا عليها كما أخضعوا اليهود تحت سيطرتهم واقتادوهم لبلاد ما بين النهرين كخدم لديهم. والحال كذلك مع قبيلتي جنوب فلسطين. لهذا ولغاية يومنا الحالي لا يزال اليهود يبحثون عن القبائل العشر المفقودة وينشرون رموزاً عبر العالم ذات دلالات ليتمكّنوا من خلالها بمعرفة بعضهم والتواصل من جديد.

يدلي الباحث **فهد أحمد العامري** بتصريحه أثناء رحلة قام بها إلى كمبوديا وفي مقال لجريدة الرياض قائلاً « أثناء تواجدي في سوق شعبي مزدحم في كمبوديا شاهدت شيئاً لم أكن أتوقعه على الإطلاق - على الأقل في تلك المنطقة من العالم.. شاهدت ثلاثة حاخامات يهود بقبعاتهم السود وسوالفهم الطويلة وقرون الغزال وسيور الجلد التي يلفونها حول أيديهم - وهي أدوات ترافق شعائر الصلاة لدى اليهود المتزمتين - وبدافع الفضول سرت خلفهم لمسافة طويلة ولاحظت أنهم يقفون عند المطاعم المزدحمة لأداء

صلاة خاصة بطريقة علنية ولافتة للنظر.. وفي كل مرة يقفون فيها يبدأ أحدهم بالنفخ في قرن الغزال (بطريقة مزعجة وغير ملحنة)، بينما يهتز الثاني أثناء قراءته من التوراة، في حين يقف أصغرهم مراقبا ما حوله...ويواصل حديثه : فبادرته قائلا: "ماذا تفعلون هنا؟" فقال بجديّة: "نحوب دول المنطقة بحثا عن أبناء عمومتنا اليهود"¹

ثبت الأمر فعلا أنهم يسعون دون كلل للّمْ شتاتهم و توحيد صقّهم للاستيطان على الأرض المقدّسة - فلسطين - لكن لو كانت مقدّرة لهم لما عاشوا الشتات كلّ هذه الفترة، والأمر راجع لغدرهم حتى للأنبياء عليهم السلام وتشويه سمعتهم. فكيف لهم أن ينعموا بما هو مشروع لغيرهم؟ ! و لأنهم لقوا الدمار من قبل البابليّين كذلك، ظلّوا حاقدين على أرض الرافدين لغاية يومنا هذا. وما هو معلوم أن أسطورة التين وظفها العراقيّون القدامى في أساطيرهم كحارس لكنوز الجان أو لمدينة. ونلاحظ أنّ التين موظّف في رواية ملك الخواتم لحراسة جبل الكنز الذي يبحث عنه الهوبيّيون. فيمكن للطّرح أن لا يستبعد أن المقصود به - أي التين - هم البابليّون - وأن الأسباط هم كبار الهوبيّين والذي كان عددهم في الرواية ثلاثة عشرة هوبيّيا.

ولعلّ الرقم الإضافي فوق الاثني عشر إنما كان للتضليل و عدم تبيان حقيقة علاقة التشابه

- نقلا عن الرابط الإلكتروني¹ <http://www.alriyadh.com/690410>

بينهم وبين الأسباط. أو لأن الرقم ثلاثة عشر 13 يوحى بميلاد سبط الماسوتية، إذ نجد هذا الرقم مقدس لديهم ويمارسون شعائهم إذا ما ابتغوا تحقيق هدف ما بهذا اليوم.

أمّا في الأحاديث النبوية الشريفة، فقد ورد كذلك ذكر جبل الذهب. عن عبد الله بن الحارث بن نوفل رضي الله عنه قال : كنت واقفاً مع أبي بن كعب ، فقال : لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا ؟ قلت : أجل ، قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يوشك الفرات أن ينحسر عن جبل من ذهب، فإذا سمع به الناس ساروا إليه، فيقول من عنده : لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله، قال : فيقتلون عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون. رواه مسلم برقم 2895 وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تذهب الدنيا حتى ينجلي فرائكم عن جزيرة من ذهب، فيقتلون عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون. رواه حنبل بن إسحاق في كتابه الفتن، بسند صحيح ص 216.

مما تقدّم، تبين بجلاء في رواية ملك الخواتم أن الهويينيين عانوا من مشقة البحث عن موطن لهم يعيشون فيه سالمين دون التعرض لأيّ سلطة من قبل الآخر، بل يكونوا هم المسيطرين بالقضاء على بقية الأعراق التي تمثل قوى الشر وكأنّ الأمن والاستقرار لن

يتحقق إلا على يدهم !! لهذا سعوا إلى توحيد صفهم واجتمع كبارهم الثلاثة عشر
 ليسيروا في رحلة طويلة مرّوا خلالها بأرض الأوركس. يتقاطع الأمر هنا مع اليهود الذين
 عاشوا في شتات دون وطن على الرغم من انتشارهم في مجتمعات عديدة إلى حين أجل
 قدره الله تعالى بأن يكون جمعهم مؤشرا لقدوم موعد الآخرة.



خاتمة

لكلّ أمة ثقافة تعكس هويّتها ومفكرين يسعون لإعلاء صرح كلّ ما يمثل انتماءاتهم، وفي الوقت ذاته يضطلعون إلى الاحتكاك والتفاعل مع الآخر والمفكر المتشبّث بمبادئ هويّته ومحصّن لمشارب ثقافته، هو الذي يكون كفؤا على التأثير في الآخر أو على أقلّ تقدير يبدي رأيه فيه. ويفسح المجال لكتاباتهِ حتى تتمكّن من تخطّي الحواجز الزمانيّة، المكانيّة واللغويّة. مثلما هو الحال خصوصا مع نفائس النصوص القديمة. فالحكايات الشهرزاديّة مثلا ولأنّها تجاوزت كلّ الحدود السالف ذكرها، يصحّ لنا القول أنّها ليست فارسيّة أو هنديّة وإنّما عالميّة مقرّها مستوطن في نفس كلّ قارئ، رايتها بشعار " كلّ الحقول المعرفيّة يمكن أن تتحد في نص واحد " لسان حالها يفصح أن النصّ ألغى كلّ الحواجز وتجاوز الحدود. فلم تضيق المكان على الشعوب!! يمكن للهنديّ أن يصل بنصّه إلى المغرب، إلى جنوب إفريقيا مثلما يمكن للأمريكيّ أن يصل لأقصى شرق آسيا فقط بقراءة ما للآخر. فالمثاقفة كظاهرة ولدت منذ أمد بعيد جدّا، وامتداد جسرها يشهد له التاريخ الأدبي والعلميّ بنتائج فكريّة لا يمكن حصرها في كتاب فلان أو آخر. لكنّ المقام يملّي على الطرح الإدلاء بمسارات الثقافة الإسلاميّة وامتدادها لغاية المجتمعات الأخرى والتأثير في معارفها آدابا وعلوما. هذا لأنّ الثقافة الإسلاميّة لا موارد في أنّها عدّت ولا تزال منارة يمتدّ شعاعها عبر كافة الأقطار. وهذه حقيقة جليّة لا يمكن

نكرانها. حيث إن الآخر ما كان ليعترف بهذا لو لا أنه تشرب من ينابيعها وارتوى منها.

يقول العالم الأمريكي جورج سارتون «لقد مكّنا علماء العرب من أن نبي

لأنفسنا نحن أبناء الغرب تقاليد ثقافية هي أعلى ما ورثناه من أسلافنا في العلم»

إن الحديث عن تأثير الثقافة الإسلامية مدعاة للتفصيل في عديد تمظهرات التأثير

بها لدى الآخر - وهذا ما سبق ذكره في الفصل الأول من الطرح - وما يجب الوقوف

عليه الآن، هو مدى استقبالتها لدى الآخر وفي أي شكل صاغها؟؟ وهل كل من تأثر بها

من أدباء حقّقوا الذبوع والصيت قد أقرّوا بارتكازهم عليها؟

لا مواربة في أنّ تأثير الثقافة الإسلامية على بقيّة المعارف الأجنبية حظي بترك

بصمات مشرّفة عليها وبالأخص على آدابها بمختلف الأجناس وامتدت الأعمال المعرفية

المكتوبة بالعربية إلى انجلترا في القرون الوسطى من خلال مرشح الثقافات واللغات

الأوروبية الأخرى وقد اضطلع الأدب الإنجليزي الحديث بالتأثر بها على قدر مميّز ومنفرد

في بعض الجوانب. وفي رواية ملك الخواتم مثال حيّ على ذلك التأثير. إذ لم يصغ الروائيّ

تولكين تأثره بها في حقل معيّن والقرائن المستنبطة منها شهدت على أن الباحث الناقد

والدارس المقارن ما يكاد يحسبها درسا لسانياً في قالب روائيّ، فإذا به يجد حاله يجابه

تيارات ميثولوجية تتخللها توجهات دينية قدمها في شيفرات تحيل عملية التنقيب على حقيقتها إلى حقل السيميائيات.

تجدر الإشارة إلى أن الرواية قد حققت منذ ظهورها مبيعات تجاوزت الـ 150 مليون نسخة حول العالم، وتُرجمت إلى عديد لغات العام - إن لم نقل كلّها - لتصبح واحدة من أكثر الروايات الأدبية انتشارًا على الإطلاق في القرن العشرين.

فعلا هي رواية يمكن لنا أن نقول عن مؤلفها لم يكن يكتبها بل عزفها في سمفونية خيالية خارقة نوطاتها جميع الحقول المعرفية، ما تكاد ترسو بقارئها عند شطّ النهاية فإذا بتيّار معرفي آخر يظهر من جديد ليجذبه إليه. هذا لأنّ العديد من المؤثرات اجتمعت في هذه الرواية العالمية. وكلّها اتضحت بجلاء، يمكن إجمال أبرزها فيما يلي:

■ تداخل حقول معرفية متباينة كاللسانيات، الميثولوجيا، السيميائيات، الدين، السياسية.

مردّ توظيفها السيرة الأدبية للروائي **تولكين** إذ كان فيلولوجيًا لإتقانه اللغات القديمة والحديثة كما أنّ تأثره بالعامل السياسي دفع به أن ينخرط في صفوف جيش الحرب العالمية الأولى لمدة إحدى عشرة شهرًا، حينها لاحظ ما لم يتوقعه من أهوال تجاوزات لبعض القادة، إذ خاطب زوجته في رسالة إليها: "إن المهذبين قلة قليلة بين القادة، بل

حتى الكائنات البشرية شديدة الندرة بحق".

لهذا كان المحور الرئيسي للرواية ينصبّ حول الحروب بين قوى الخير والشرّ وكلّ منهما يتأهّب للملحمة الكبرى.

■ اطلاع على حضارات الشرق الغابرة ومعرفته ببعض أسرارها المستوحاة من الكتب الدينيّة القديمة وكذا أساطيرها وتأثره بالليالي السمريّة كان جليّاً. إذ رمّز في خريطة الأرض الوسطى إلى بلاد تقع بين نهرين - ونعلم أن بلاد ما بين النهرين هي أرض بابل - كما تحدّث عن سلسلة جبال منتهأها يكون عند عين حارّة. نجد لها مقابلاً لسلسلة جبال تقع بين أرمينيا وأذربيجان كان قد ذكرها الطبريّ في تفسيره للقرآن العظيم بالتحديد في سورة الكهف. وحدّدها كموقع لخروج يأجوج ومأجوج، يقابلهم جيش الأورك في روايته. كما محور الشخصيات العجيبة كعناصر أساسيّة في خلق حبكة فنيّة فريدة، كلّهم كانوا من الأقزام، السحرة، الجنّ والغيلان. وهذا ما وظّفته شهرزاد كشباك لإيقاع المتلقي في دائرة السحر الكلامي.

■ تأثره بمذهبه الكاثوليكيّ خصوصاً و أنّه تتلمذ على يد القس فرانسيس مورغان - الوصي القانوني عليه - إذ جسّد أسطورة الكأس المقدسة في روايته وكذا الترميز إلى الملك آرثر

والمائدة المستديرة التي كان بها مقعد مخصص لمن يعثر على الكأس المقدسة لتكتمل الدائرة. تتقاطع هذه النقطة مع رواية ملك الخواتم في مجلس الهوبيت وافتقادهم للقرمز فرودو الساعي إلى إيصال الخاتم السلطوي للعين الحارة بجبل الهلاك.

■ تداخل العديد من الثقافات يعكس امتداد مسارها، إلا أن النظرة اتجاه الثقافة الإسلامية لم يصرح بها على وجهها الصحيح، الأمر الذي يملّي على أيّ باحث أن يفترض العديد من النظريات تأتي في طليعتها، الصورة السلبية التي قد يكون آخذ بها الروائي رونالد تولكين عن الثقافة الإسلامية، إذ لم يضمن شخصية عربية كعنصر بطولي في روايته على الرغم من توظيفه لكافة الأجناس، بل حوّل لها دوراً ثانوياً يمثل قوى الشر جسده في أولئك الأشخاص ذوو الزي العربي الذين يركبون فيلة. هذه الأخيرة التي لا يمتطيها الغربي أثناء حروبه. لكنّ قبل الجزم بهذه الفرضية، لزاماً علينا التعرّيج عند ما آل إليه الراهن الثقافي الإسلامي وهو يجابه زحمة صراع الفرد مع ذاته، تائه بوقوفه عند الحدّ الفاصل بين: إمّا الانسياق نحو الفكر الغربي أو يُنعت إليه أنّه رجعي متخلّف!!

وقد وصل الأمر لهذا الحدّ، نتيجة لعدم التشبث بمقوّمات الهوية العربية الإسلامية والانسياق نحو مالا يتوافق والذات الأصيلة وأصبح المسلم لا ينشر ثقافته السمحاء إلا على خجل وإن أسدى لها خدمات، فإنّها لا تكاد تتجاوز فترة محدودة تحوّل لها في

سياق متّصل بحقول أخرى ضمن مؤتمرات دولية لا تكون وليدة فكرة شخصية بقناعة وإلحاح، إنما أفرزتها منظمات إسلامية أو حتى أطراف أجنبية متذرّعة بمبدأ حوار الأديان أو لإضمار نوايا لا يعلمها العربيّ المسلم.

وقد يكون مردّ هذا التراجع والشكّ في أصالة الثقافة الإسلامية من قبل العربيّ المسلم، راجع إلى عديد العناصر أهمها تفكّك وحدة البلدان واستفحال قضية التمايزات والمفاضلات بين ذاك وذاك وأصبح الكلّ يتماشى بمقولة " أنا وبعدي الطوفان". إذ غدت نظرة كلّ مجتمع لا تعدو نطاق حدوده المفتعلة والإشادة بالانتماء أضحيّ ينحصر في رقعة جغرافية محدودة، متجاهلين الانتماء الحقيقيّ لحضارة و ثقافة إسلامية، خدمت شعوب الأرض قاطبة على مرّ الأزمنة و اتساع الأمكنة. كانت قد جعلت العربيّ يعيش في وطن لا عالم!!

هذه الوحدة التي لم يسمح لها بالدوام، كانت قد بنيت على آداب وعلوم عربية إسلامية محضة، تشرب منها الآخر لحدّ الارتواء والدليل تجلّى لديهم في التظاهرات الحضارية، ولن يطرح هذا البحث في ختامه تساؤلا حول: كيف للغرب أن دنسوا مقدّسات الثقافة الإسلامية وتآمروا على وحدة شعوبها أو لماذا لم يكافؤوا بالاعتراف بشرعيّتها ورقّيها دون باقي الثقافات على الرغم من تأثرهم بها؟! أو نقع باللوم على

الروائي روناك تولكين لماذا رفض الاعتراف. هذا لأن العربي المسلم بحد ذاته، تناسى

دورها الطليع، وإن بقي عالقا في ذهنه، فسيكون على أبعد الحدود كالواقف على أطلال

يبكي ما فاتته من مآثر وفضائل. بل ما يملّي على الطرح الإفصاح به هو:

- لماذا اكتفى العربي المسلم بالوقوف عند سفح صرح شاهق شيده أجداده ووقف في أعلى

قمته غيره!!

- كيف له أن يثني على أمجاد سلبت منه على بصره وبصيرته - إن وجدت - وهي بين

يدي ساليها؟!

- أيعقل أن يتفنن في التصفيق لغيره الذي يحصل على جوائز عالمية وهو على وعي بأن ما

نال إنما قدّم على طبق من ثقافة إسلامية محضة؟!

- أم أنه أصبح ينظر إلى أن التبعية والانسياق نحو الآخر بأي شكل من الأشكال يزيد من

رفعته؟! مع أن الآخر لم يجبر نظيره بحمل حباله التنتة التي رماها، بل الراهن المؤسف

يفصح أن هذا الأخير هو الذي حملها ووضعها كربطة عنق يفاخر بها...

- إلى متى تبقى الثقافة الإسلامية بهذه الرؤية؟ ما هي السبل الناجعة لاستعادة أمجادها؟

كمّ من التساؤلات وفيض من الافتراضات تجعل الطرح لا يجزم بنتائج حتمية أو

حتى افتراضية - لأنه سبق طرحها في جملة تساؤلات، بل خاتمة تقف عند نقاط من

الاستفهام والتعجب والمزید من البحث...

يقول القاضي عبد الرحيم البيساني في رسالة بعث بها إلى العماد

الأصفهاني:

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غُيِّرَ هذا
لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك
هذا لكان أجمل، وهذا لعمري من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء
النقص على جملة البشر"

والحمد لله رب العالمين

مسرح

حجر الرشيد وألواح الحيثيين وتلّ العمارنة وألواح مدينة نينوى:

-حجر الرشيد: كتلة من البازلت الأسود عليها نقوش تمجّد بطليموس الخامس الفرعونيّ

بالكتابة الهيروغليفية، وربما سميت كذلك للعثور عليها في قلعة الرشيد قرب نهر النيل.

-ألواح الحيثيين: احتوت هذه الكتابة على لغز خفيّ قام بحلّه الإنجليزي سايس، مؤدّي

هذا الحل هو أن الأحجار المنقوشة تلك، ينبغي أن تنسب جميعاً إلى الحيثيين. أول من

عثر عليها هم الألمان.

-ألواح تل العمارنة: مجموعة من الرسائل الدبلوماسية للملوك المصريين منقوشة على

ألواح الصلصال في تل العمارنة وقد ورد فيها مرات عديدة ذكر الحيثيين.

-ألواح مدينة نينوى: شمال العراق - الموصل حالياً- اكتشف فيها أبداع فنون العمران

والنقوش للحضارة الآشورية، وأشهر ما ترجم منها ملحمة جلجاميش وكذلك قانون

حمورابي 1700 ق.م.

-النوستاليجيا: مصطلح معرب أصله nostalgic ويعني الحنين بالعودة إلى الماضي وفي

أغلب الأحوال ترتبط لفظة النوستاليجيا أثناء الحديث عن حرقه الشوق للوطن.

-الهوية من المنظار الفيزيوتاريخي: هو مخلوق صغير الحجم اكتشفه العلماء من

خلال حفريات في جزيرة فلوريس الإندونيسية عام 2003، وكان يعتبر هذا الكائن من

أشبهه الإنسان الأول، لكن الآن أصبح هناك جدلاً حول حقيقة أصل هذا الكائن. كائن الهوبيت الذي عاش واختفى منذ حوالي ما بين 15 إلى 18 ألف عام، لا يزيد طوله عن 110 سنتيمتر ووزنه 25 كيلوغرام، والغريب أن حجم جمجمته كطول مخ الشامبانزي المعاصر.

مؤخراً قام أنطوان بولزو من متحف التاريخ الطبيعي في فرنسا مع فيليب تشارليه الباحث في جامعة باريس، بفحص صور عالية الدقة للجمجمة الوحيدة المتكاملة المتوفرة للمرة الأولى، والتي كشفت عن أن جمجمة الهوبيت لا يمكنها بتاتا أن تشبه جمجمة الإنسان الحديث، فهم لم يكونوا بشرا عاقلين بل كائنات غريبة¹

- **الهوبيت عند الكاتب رونالد تولكين:** هي رواية خيالية بقلم الكاتب البريطاني ج. ر. ر. تولكين، والكتاب حائز على جائزة أفضل كتاب أطفال والقصة في بداية الثلاثينات من القرن العشرين لتسلية أبنائه الثلاثة. كتبت كتقليد للقصص الحوارية. نشرت في 21 سبتمبر، 1937. مؤخراً، اعتبرت الهوبيت " كأهم رواية للقرن العشرين (للقراء الكبار)" لكتب الأطفال ومجلات الأطفال. بيع منها أكثر من 100 مليون نسخة حول العالم

منذ نشرها لأول مرة.¹

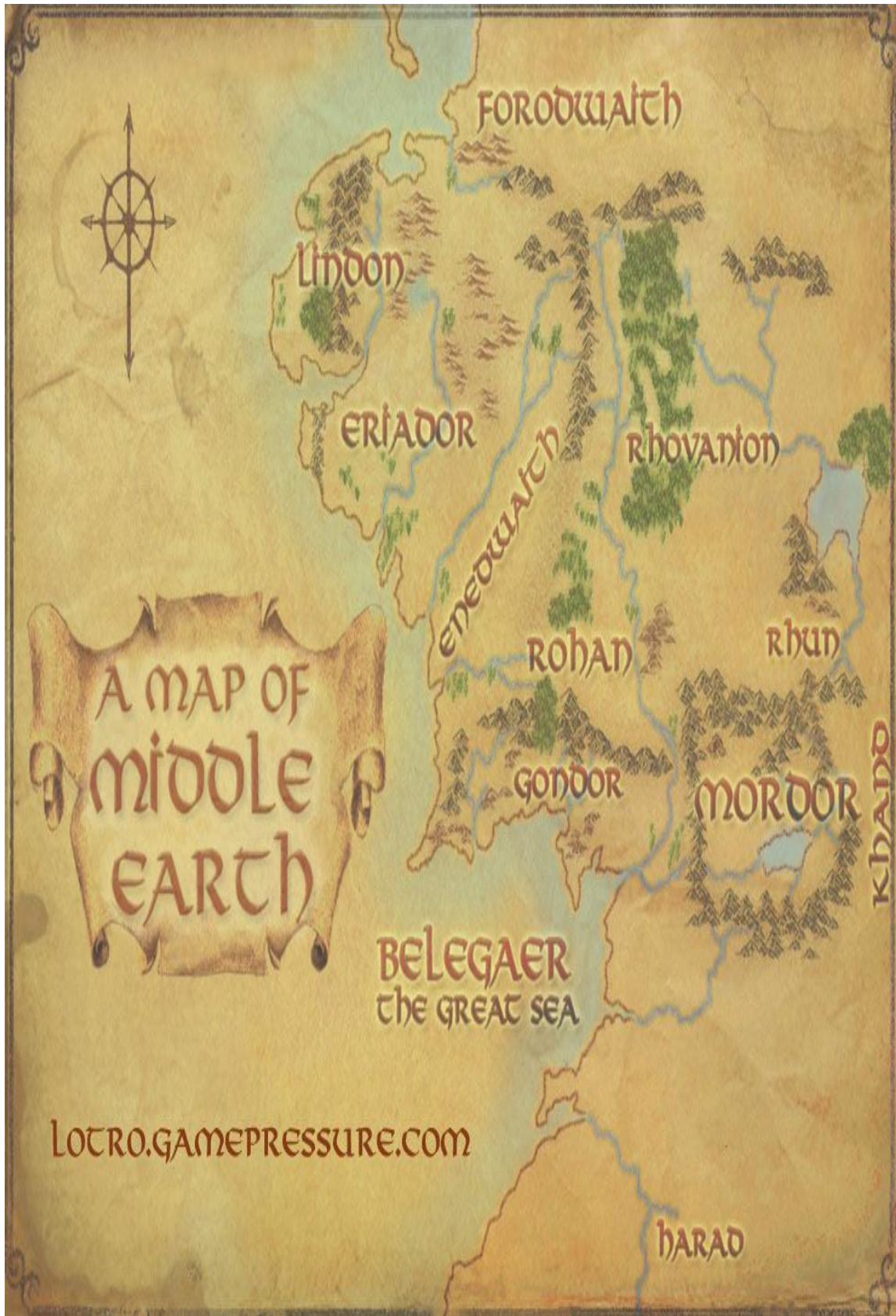
- عرق الهوييت: يطلق على الهوبييت (القوم الصغار) أو (الشعب الصغير) أو (نصف الكاملين)، يتراوح طولهم بين اثنين وأربع أقدام، لهم آذان مدببة، أقدامهم كبيرة جداً ولا يرتدون أبدا الأحذية وشعرهم مجعد. الهوبييت بطبيعته قروي، ولا يثق بما يمكن أن يجده في العالم الخارجي. بعض الهوبييت يعيشون 130 عام ومتوسط أعمارهم 100 عام وفي عمر الـ 33 عام كما هو عمر فرودو باجنز يكون سن الرشد. يتكلمون بلهجة خطاب مشتركة تسمى ويسترون.

وهم مخلوقات طيبة القلب، رقيقة المشاعر، مع عشقهم للخضار والاستمتاع بالحياة، إلا أن متعتهم الحقيقية تكمن في السلام وصفاء الذهن.²

¹ <https://ar.wikipedia.org/wiki/الهوييت>

² هوييت (العرق)، <https://www.wikipedia.com/>

1- الأرض الوسطى في رواية ملك الخواتم:



دليل مناطق خريطة الأرض الوسطى:

- **يربور:** معقل ثرور وهي مملكة تقع في أقصى الشرق استوطنها الأقزام منذ القدم، أهم معالمها الجبل الوحيد الذي يعتبر قلعة الملك.

- **إيريد لوين:** هي نفسها منطقة الجبال الزرقاء التي فرّ إليها الأقزام بقيادة الأمير ثورين بعد طردهم من مملكتهم إيربور، تقع نحو الغرب قليلاً منها.

- **التلال الحديدية:** منطقة يستوطنها الأقزام، تقع على الشمال والشرق من إيربور، اكتسبت اسمها من غناها بالحديد، فصارت تُعرف أيضاً بمقاتليها الأشداء، يحكمها دين قريب ثورين.

- **الشاير:** مقاطعة يسكنها الهوبيت وتُزال من الأحداث وهي تقع في الشمال الغربي من القارة.

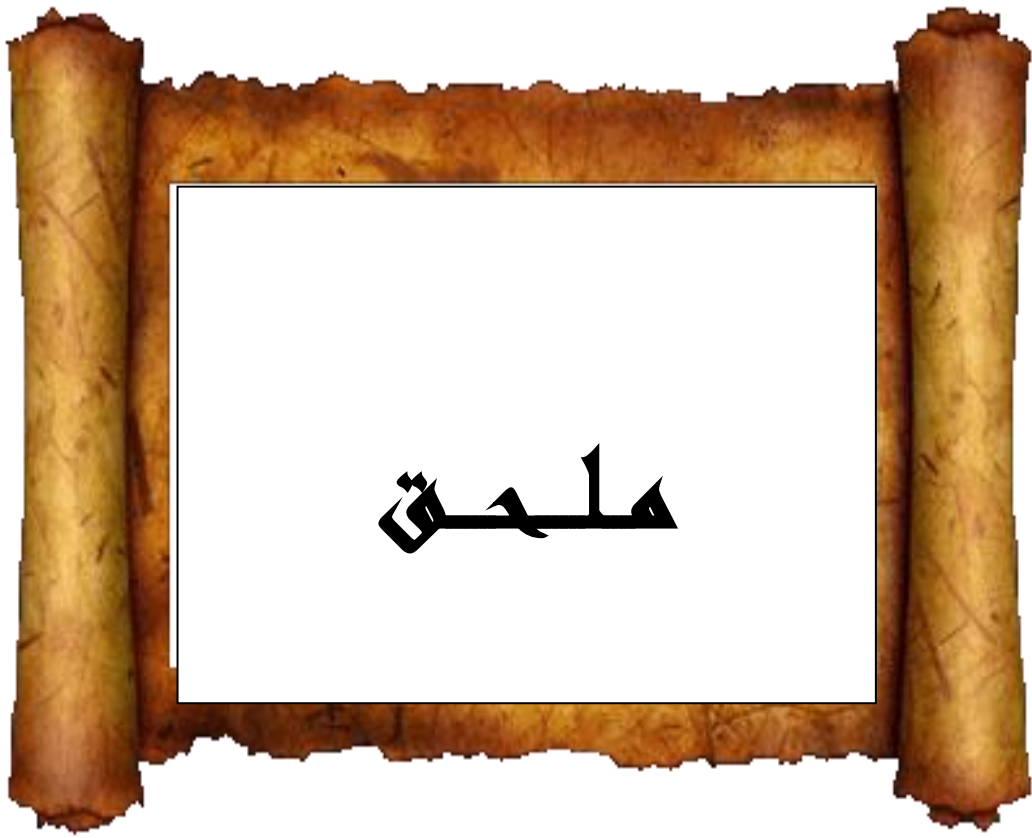
- **موريا:** تُعرف أيضاً بخازام دوم، أقدم ممالك الأقزام، بناها زعيم الأقزام دورين تحت الجبل الرئيسي في سلسلة جبال الضباب، سكنها الأقزام ونقّبوا فيها عميقاً عن حجارة "الميثريل" حتى أيقظوا المخلوق بالروغ الذي دمّرها، فأخلاها الأقزام وهجروها.

- الوادي المخفي: قد يكون بإيلات الواقعة بين الأرض و فلسطين فقد اختلف حول مكان تحديد المعركة، لهذا قال عنه تولكين الواد المخفي.
- إيتنمور: المنطقة التي جاء منها الغيلان.
- الغابة الخضراء: غابة توجد بها القلعة القديمة حيث يسكن مستحضر الأرواح.
- دول غولدور: معناها هضبة السحر الأسود، كانت قلعة شخصية لسيد الظلام يمارس فيها طقوسه وتعتبر بؤرة لنفث سمومه.
- موردور: الطريق الشرقي العظيم معقل ساورون سيد الظلام، اختارها لأنها تتشكل أساسًا من جبال بركانية شاهقة، أغلب أراضيها بور يغطيها الغبار البركاني الناتج عن بركان جبل الهلاك وهناك صُنع خاتم القوة.
- أنغمار : هي المملكة التي أسَّسها الملك الساحر في الشمال ليُضعف قوّة مملكة البشر في الشمال أرنور¹.

2- لغة الكوينيه: يقال باليونانية كويني دياليكتوس أي الكلام العامي، و قد نشأت

هذا اللغة أو بالأحرى اللهجة المختلطة نتيجة اتصال بين جماعة متميزة بخصائص في لغتها، والتقاءهم الذي يملي عليهم التواصل لغويًا أنتج هذه اللهجة.

¹ الأرض_الوسطى/ <https://www.know.cf/enciclopedia/AR/>



جون رونالد رويل تولكين John Ronald Reuel Tolkien يناير - توفي بتاريخ 2 سبتمبر 1973. فيلولوجي إنكليزي وكاتب روائي وأستاذ جامعي عرف بشكل خاص في سلسلته الملحمية المدعوة "سيد الخواتم" ورواية "الهوبيت". منحت الملكة إليزابيث الثانية تولكين وسام الإمبراطورية البريطانية من رتبة قائد في 28 مارس 1972 في مدينة بلومفونتاین في أورانج فري ستيت (دولة أورانج الحرة) (مقاطعة فري ستيت الحالية في جنوب إفريقيا). كان أبوه "آرثر رويل تولكين" 1857. 1896 مديراً لأحد البنوك البريطانية فيلومفونتاین. وكان لجون تولكين أخ واحد هو "هيلاري آرثر رويل" الذي ولد في 17 فبراير 1894..

وعندما بلغ تولكين الثالثة، اصطحبته أمه مابل تولكين مع أخيه الأصغر إلى إنجلترا في زيارة عائلية. غير أن الأب توفي في جنوب أفريقيا متأثراً بالحمى الروماتيزمية قبل أن يلحق بهم، تاركاً الأسرة بلا دخل، ممّا حدا بالأم إلى الانتقال بهما للعيش مع والديها في كينغز هيث ببرمينغهام، ثم في سيرهول، ثم في إحدى قرى مقاطعة وورسترشاير، وقد تأثرت كتابات تولكين بمشاهداته وتجاربه في تلك البلاد..

وقد اضطلعت الأم بنفسها بتعليم ابنيها، وكان رونالد (وهو الاسم الذي كان يعرف به تولكين في محيط العائلة) تلميذاً مجتهداً، فعلمته أمه علم النبات ونمت فيه

الإحساس بالجمال في النباتات. كما كان تولكين يحب دروس اللغات إذ " بلغ من ولعه بتعلم اللغات أن تعلم اللاتينية والفرنسية والألمانية والانجليزية المتوسطة والانجليزية القديمة واليونانية واللغة الآيسلندية القديمة والقوطية والاسبانية والفنلندية والويلزية الحديثة والقديمة والاطالية. كما انه لديه معرفة جيدة باللغات الروسية والسويدية والداغرية والنرويجية واللومباردية، بل إنه هو نفسه اخترع 14 لغة لها أبجدياتها وقواعدها الخاصة استعملت إحداها (لغة سندارين) في فيلم سيد الخواتم.¹ " وقد بدأت أمه في تعليمه مبادئ اللاتينية في سن مبكرة، وسرعان ما تمكن تولكين من القراءة في سن الرابعة، ثم ما لبث أن أجاد الكتابة أيضاً، فقرأ بعض الكتب تحت إشراف والدته، ولم تعجبه رواية جزيرة الكنز لروبرت لويس ستيفنسون ولا "زمار هاملن"، وكان رأيه في رواية أليس في بلاد العجائب أنها "ممتعة، ولكنها مربكة"

أصول العائلة:

ترجع أصول عائلة تولكين إلى مملكة سكسونيا الألمانية، إلا أن العائلة استقرت في إنجلترا منذ القرن الثامن عشر، و"سرعان ما تطبعت بالطابع الإنجليزي"^[2]. ويقال إن لقب العائلة "تولكين" بالإنجليزية Tolkien: مشتق من الكلمة الألمانية Tollkühn

¹ - <http://www.startimes.com/?t=19694004>

التي تعني "المتهور". ويعتقد بعض الكتاب الألمان أن الاسم مأخوذ من اسم قرية تولكين بالألمانية (Tolkynenn) التي كانت تقع في مقاطعة بروسيا الشرقية التاريخية، والتي ضمت إلى الأراضي البولندية بعد الحرب العالمية الثانية وسميت "توكيني Tołkiny" باللغة البولندية.

أمّا جدا تولكين من ناحية الأم (جون وإديث جين سافيلد) فقد كانا من أبناء الكنيسة المعمدانية، وكانا يقطنان مدينة برمينغهام ويمتلكان متجرًا في وسط المدينة. وقد أدارت عائلة سافيلد العديد من الأعمال التجارية في نفس المكان منذ أوائل القرن التاسع عشر.

عمله الأكاديمي والأدبي:

عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، كانت أول وظيفة مدنية يلتحق بها تولكين هي العمل في قاموس أوكسفورد الإنجليزي، حيث كان عمله الأساسي هو البحث في تاريخ وأصول المفردات ذات الأصل الجرمانى بدءاً من الحرف w. وفي سنة 1920 التحق بالعمل في تدريس اللغة الإنجليزية بجامعة ليدز، وفي سنة 1924 ترقى إلى درجة أستاذ بالجامعة. وأثناء عمله بجامعة ليدز قام بوضع كتاب "مفردات الإنجليزية الوسيطة.

A Middle English Vocabulary . كما اشترك مع إريك فالنتاين غوردون 1896 . 1938 في ترجمة وتحقيق الرومانس الفروسي الإنجليزي سير غواين والفارس الأخضر عن اللغة الإنجليزية الوسيطة، وهما الكتابان اللذان ظلا . لعقود تالية . يحتفظان بمكانة أكاديمية راسخة. كما ترجم تولكين كلاً من "سير غوين" وقصيدة "بيرل" والقصيدة السردية "سير أورفيو"، وهي من الأعمال الأدبية المكتوبة أيضاً بالإنجليزية الوسيطة . وفي عام 1925 عاد تولكين إلى جامعة أكسفورد أستاذاً لكرسي اللغة الأنجلوساكسونية، مع زمالة بكلية ييمبروك، إحدى كليات جامعة أكسفورد.

تقاعدته وشيخوخته:

حظي تولكين خلال السنوات التي تلت تقاعده (من 1959 وحتى وفاته سنة 1973) بشهرة واسعة ورواج أدبي كبير، وقد راجت مؤلفاته وأدرت عليه أرباحاً كبيرة جعلته يبدي الندم على عدم التقاعد مبكراً . وقد كون معجبوا تولكين رابطة لهم كان تولكين في البداية يرد على خطاباتهم بحماس، إلا أنه بدأ فيما بعد يضيق بهؤلاء المعجبين، وخاصة أولئك الذين كانوا ينتمون إلى حركة الهيبيز في الولايات المتحدة الأمريكية. ومع تزايد اهتمام المعجبين واتصالاتهم بتولكين، لجأ إلى حذف رقم هاتفه من

دليل الهواتف العالم، ثم انتقل مع زوجته إلى بورنماوث، التي كانت آنذاك منتجاً ساحلياً يسكنه أثرياء بريطانيا.

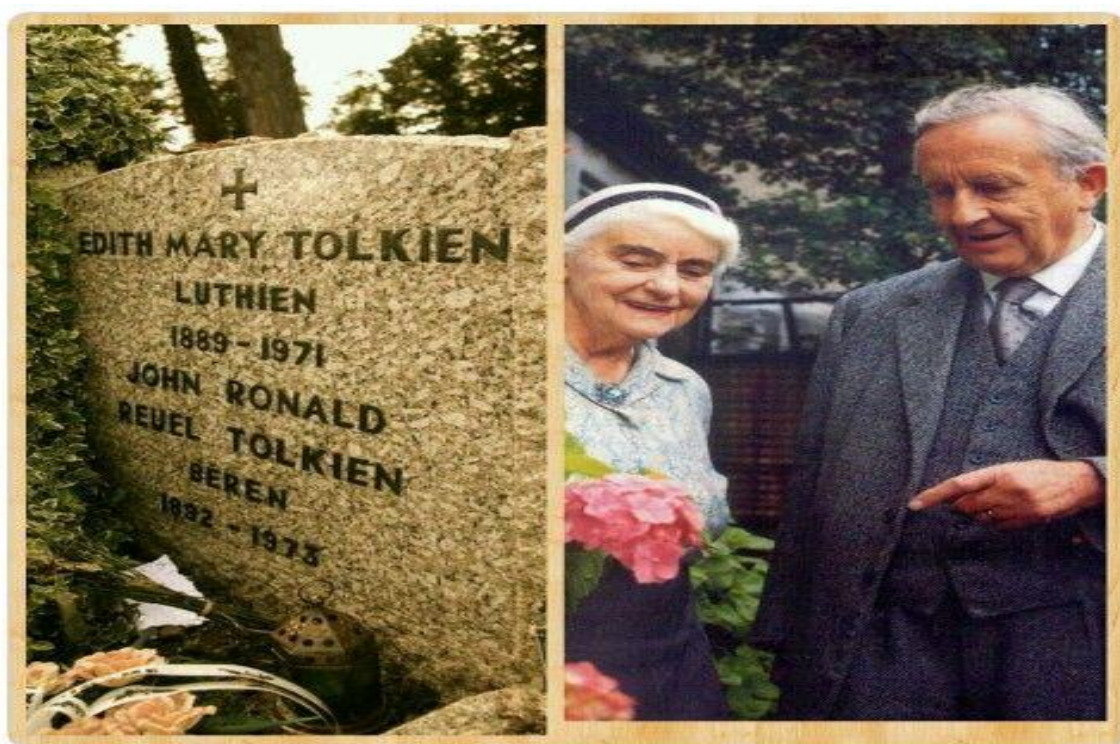
منحت الملكة إليزابيث الثانية تولكين وسام الإمبراطورية البريطانية من رتبة قائد، ضمن قائمة الشرف للعام الجديد في 1 يناير 1977، حيث قُلد الوسام في قصر بكنغهام في 28 مارس 1972 .

وفاته: توفيت إديث . زوجة تولكين . في 29 نوفمبر 1971 ، وهي في الثانية والثمانين من عمرها، فدفنها تولكين في مقبرة وولفركوت بمدينة أكسفورد، ونقش على قبرها اسم "لوثيان" بالإنجليزية (Lúthien) : وهو اسم معشوقة خيالية، بطلة إحدى قصص الغرام التي خلدها تولكين في أعماله. وعندما لحق تولكين بزوجته بعد 21 شهراً في 2 سبتمبر 1973 دفن معها في نفس القبر، ونقش أسفل اسمه اسم "بيرين" (بالإنجليزية Beren) : وهو أمير وعاشق خيالي، خلد تولكين قصة حبه للوثيان.

نقلا عن الرابط الإلكتروني: https://ar.wikipedia.org/wiki/جون_ر._تولكين



القبر الذي دفن فيه مع زوجته





قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

برواية ورش لقراءة نافع

المصادر العربيّة:

1- ابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق، الفهرست، تحقيق رضا، تجدد المازندراني، طهران، 1971.

2- ابن خلدون، المقدمة، طبعة دار الجليل المصورة، بيروت، (د.ت).

3- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، مجلد 14، 1414^{هـ} 1994^م

4- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، بيروت، دار الفكر، د، ت.

5- أبو السعود محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

6- أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت ، 1412^{هـ} - 1992^م.

7- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح في اللغة و العلوم، تحديد عبد الله العلايلي نديم مرعشلي، دار الحضارة، مجلد 1 - ط1، 1974 -

8- الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الآفاق للطباعة و النشر، بيروت.

9- إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم

- للملايين، بيروت، المجلد 1، ج 2، سبتمبر 1987
- 10- أنور الجندى - معلمة الإسلام - المجلد الأول - المكتب الإسلامي - بيروت - 1980م.
- 11- الطبري أبي يحيى محمد بن صمادح التجيبي - من مختصر تفسير الإمام الطبري، دار الفجر الإسلامي، ط. 6، دمشق، 1998.
- 12- حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن عربيًا وعالميًا، دار الفكر، دمشق، سوريا 1999
- 13- عبود عبده، الأدب المقارن، مشكلات وآفاق، اتحاد كتاب العرب دمشق، 1999،
- 14- علي بن الحسن المسعودي - مروج الذهب ومعادن الجوهر / 5 - موفم للنشر - الجزائر - 1990.

المراجع العربية:

- 1- ابن هشام، السنة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط 1، دار الفنى للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م.
- 2- أبو حيان علي بن محمد التوحيدى - الرسالة البغدادية - تحقيق عبود الشالجي - منشورات الجمل كولن - ألمانيا 1997
- 3- أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي، المعروف بالحافظ الذهبي - كتاب العبر في خبر من غبر، تحقيق فؤاد سيد، ج 2، وزارة الإعلام الكويت 1984.
- 4- أحمد أمين - النقد الأدبي - مطبعة المعارف - القاهرة - ط 4 - 1972

- 5- أحمد بهجت - أنبياء الله - دار الشروق - القاهرة - ط 3 - 273 - 1975.
- 6- ألف ليلة وليلة من أصوله العربية الأولى - حققه وقدمه محسن مهدي - شركة أ. ي. بريل للنشر - ليدن - 1984.
- 7- حسام الخطيب. الأدب المقارن بين العالمية والعولمة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، قطر. 200.
- 8- داود سلوم- الأدب المقارن- مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة- ط 1 2003.
- 9- ريمون طحان- الأدب المقارن والأدب العام- دار الكتاب اللبناني- بيروت- ط 1- 1972.
- 10- زينب عبد العزيز، موقف الغرب من الإسلام، محاصرة وإبادة - موقف الغرب من الإسلام، دار الكتاب العربي - دمشق، القاهرة ط 1 - 2004.
- 11- سالم العيس، الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، اتحاد الكتاب العرب- 1999م.
- 12- الشفيق الماحي أحمد، يأجوج ومأجوج- فتنة الماضي والحاضر والمستقبل، دار ابن حزم، ط 1، لبنان 1996.
- 13- شفيق البقاعي، الأنواع الأدبية مذاهب ومدارس في الأدب المقارن، عز الدين للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط 1، 1985.
- 14- صباح محمد علي كاظم - حاشية على كتاب الفهرست للنديم - مطبعة شفيق بغداد- 1982.
- 15- صلاح عبد الفتاح الخالدي- القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل الأحداث-

- دار القلم- دمشق- ط1- ج3. 1998/1419
- 16- عبد العزيز بن عثمان التويجري - في البناء الحضاري للعالم الإسلامي، ج 2 - منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - الرباط 1997.
- 17- عبد الله بن سليمان الغفيلي، أشراف الساعة، ج1، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المملكة العربية السعودية 1422هـ.
- 18- عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة- دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، 1989.
- 19- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، شعبان 1998.
- 19- عبد النبي اصطيف - صورة محمد - ص - في الكتابات الأنجلوأمريكية - منشورات الهيئة العام السورية للكتاب - وزارة الثقافة - دمشق - 2008.
- 20- عبد الوهاب المسيري - الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ - رؤية حضارية جديدة - دار الشروق - القاهرة - 1997.
- 21- عز الدين إسماعيل - المكونات الأولى للثقافة العربية- ط2- دار الشؤون الثقافية - بغداد - 1986.
- 22- عزيزة مريدن- القصة والرواية - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر..
- 23- عياد كامل - أثر صقلية في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى الأوروبيين - ضمن أبحاث المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية - دمشق - أبريل 1981
- 24- فهمي جدعان- أسس التقدم عند مفكر الإسلام في العالم العربي الحديث -

- المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ط 2 / 1981.
- 25- مبارك محمد علي مجذوب، خلق الإنسان في القرآن - معهد إسلامية المعرفة، جامعة الجزيرة - دار المركز الإسلامي الإفريقي - السودان - 1994م.
- 26- مجدي وهبة - الأدب المقارن - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - دار نوبار للطباعة - مصر، ط 1، 1991.
- 27- محمد أبو القاسم الحاج أحمد، ابستمولوجيا المعرفة الكونية، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 2004.
- 28- محمد أحمد خلف الله - الفن القصصي في القرآن الكريم - سينا للنشر القاهرة - ط 4 - 1999
- 29- محمد الدعيمي - الاستشراق (الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي) مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط 1 فبراير 2006.
- 30- محمد أمين حسن محمد بن عامر - المستشرقون والقرآن الكريم - إريد: دار الأمل ، 2004م. . ص 223. . نقلاً عن محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني. سيرة سيّد المرسلين-دار نهضة مصر، القاهرة.
- 31- محمد شحرور - القصص القرآني - قراءة معاصرة - المجلد 1 - مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة - ط 1 - 2010 - بيروت، لبنان.
- 32- محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب القاهرة سنة 2000.
- 33- محمد علي العويني، الإعلام الإسلامي الدولي بين النظرية والتطبيق، ط 2، القاهرة

1986.

- 34- محمد غنيمي هلال- الأدب المقارن- دار العودة والثقافة- بيروت- ط5.
- 35- محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، ط2 (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1993م.
- 36- محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني، سيرة سيد المرسلين، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
- 37- محمود طرشونة / مدخل إلى الأدب المقارن، وتطبيقه على ألف ليلة وليلة / دار الشؤون الثقافية العامة بغداد / 1988.
- 38- مديحة عتيق , فصول في الأدب المقارن, دار ميم للنشر , الجزائر, ط 1 , 2011.
- 39- الملا أحمد عياد - أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبيّة - دار الفكر - بيروت - ط 3 - 1417هـ - 1996 م
- 40- موريس بوكاي - دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة - دار المعارف - ط 4 - القاهرة - 1977 م
- المراجع المترجمة إلى العربيّة:
- 1- أحمد ديدات - الاختيار بين الإسلام والنصرانيّة - تر: أكرم ياسين الشريف - مكتبة العبيكان - الرياض - ط 1 - سنة 2008.
- 2- ادوارد سعيد - تعقيبات على الاستشراق- تر: صبحي حديدي - المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر - بيروت - 1966.

- 3- أرنولد سير توماس - تراث الإسلام - عربيه وعلق حواشيه جرجيس فتح الله - دار الطليعة - بيروت - ط 3 يوليو 1978.
- 4- بول فان تينغم- الأدب المقارن- تر: الحسام سامي مصباح- منشورات المكتبة العصرية- صيدا، لبنان- د.ت
- 5- بول فان تينغم- الأدب المقارن- تر: سامي الدروبي- دار الفكر العربي- القاهرة.
- 6- بيير برونيل، كلود بيشوا، اندريه ميشيل، ما الأدب المقارن؟ تر، غسان السيد، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1996.
- 7- جورج لوكاتش، نظرية الرواية، تر: نزيه الشوقي، ط 1، دمشق، 1987
- 8- جورج موان - اللسانيات والترجمة - تر: حسين بن زروق - ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية - بن عكنون - الجزائر.
- 9- جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، تر: محمد فتحي الشاعر، ط2، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب. د.ت
- 10- جون هالبرين، نظري الرواية، تر: محي الدين صبحي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1981.
- 11- ريتشارد نيكسون- الفرصة السائحة - تر: أحمد صدقي مراد - دار الهلال - القاهرة
- د، ت - نقلا عن ول ديورانت - عصر الإيمان
- 12- زيغريد هونكه - شمس العرب تسطع على الغرب - نقله عن الألمانية فاروق بيوض، كمال دسوقي، راجعه مارون عيسى الخوري، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط8 1993.
- 13- سيزر دومينيغيز، هاون سوسي، داريو فيلانوفيا، تر: فؤاد عبد المطلب، عالم المعرفة،

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس 2017.

14- فرانك كرمود، الرواية والمسرود، تر: محي الدين صبحي، منشورات الثقافة والإعلام،

سوريا، دمشق، 1981.

15- فردريش فون ديرلاين، الحكاية الخرافية، ترجمة نبيلة إبراهيم، بيروت، دار القلم

16- كاترينا مومسن، جوته وألف ليلة وليلة، ترجمة أحمد حمو، وزارة التعليم العالي -

دمشق، 1980.

17- لورا فيشيا فاغليري - دفاع عن الإسلام- تر: منير البعلبكي - دار العلم -

بيروت - ط 5 - 1981.

18- هربرت شيلر، الاتصال والهيمنة الثقافية، تر: وجيه سمعان عبد المسيح، سلسلة

الألف الكتاب الثاني، رقم 135، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة 1993.

19- وليام منتوغمري وات: أثر الإسلام في أوروبا القرون الوسطى - تر: الطاهر عبد

السلام حافظ - مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع - المدينة المنورة - السعودية - 1989 -

المصادر الأجنبية:

1- Aziz Atiya. Crusade. Commerce and culture. Indiana-university -Press Bloomington - 1962.

2- George Sarton- Introduction to the history of science - Vol 2. Part 1 Published by Williams and Wilkins Company. Baltimore. 1931.

3- Introduction to the history of science - Vol 2. Part 1 - Published by Williams and Wilkins Company. Baltimore. 1931

4- J.R.R Tolkien-the lord of the ringd- Allen/ Unwin, United

- Kingdom, 1968.
- 5- J.R.R Tolkien. The lord of the ring. Harper Collins Publishers- London.
- 6- John L Esposito – The oxford History of Islam – Oxford university press – New York – 1999- P 223.
- 7- Joseph T shiply , Dictionary of world literary terms , London ,1979 .
- 8- Miche Clouscard -La Nouvelle Critique - Paris, 1973.
- 9- Mikhail Bakhtine- claude prevost - Epopée et roman, Les Éditions De la nouvelle Critique – Paris, 1973.
- 10- Philip K. Hitti, the Arabs, ashort history -Regnery Publishing, 1 oct. 1996.
- 11- R.W.Southern Western views of islam in the middle ages- Combridge- Harvard university press – 1978.
- 12- Richard Burton – Arabians nights – Penguin popular classic.
- 13- Robert Scholes - The Nature of the Narrative ,Oxford University Press, Oxford, 1971.
- 14- Roland Eluerd: Anthologie de la littérature francaise, Larousse, Paris, 1985.
- 15- Tierry Eagleton – The english novel- an introduction – Blackwell Publishing – USA – 2005.
- 16- Todorov, les catégories du récit, in communication, N 8, Seuil, 1966

قائمة المجالات:

- 1- ثابت عيد - ترجمة معاني القرآن للألمانية بين سموم المستشرقين وجهود المسلمين - جريدة الحياة - العدد 1990.
- 2- دراسة بعنوان The cultural contribution of islam to christendom نقلا عن كتاب " أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبيّة، الشعبة القوميّة المصريّة للتربيّة والعلوم والثقافة - القاهرة 1987م.
- 3- رجب سعيد شهوان وآخرون. "مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية" مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد2، محرم 1410هـ.
- 4- عبد العزيز محمد حسن- اللغة العلميّة في القرن 19- مجلّة كليّة دار العلوم - العدد 31 - القاهرة - 2004م.
- 5- مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية"- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد2، محرم 1410هـ.
- 6- نصر الدين البهرة- الحضارة العربيّة والترجمة - مجلّة التراث - اتحاد الكتاب العرب- دمشق- العدد 63 - أبريل 1966.

قائمة الرسائل وبحوث التخرج للدراسات العليا:

7- سارة بنت سليمان السلامة، بحث في إطار الدراسات العليا بإشراف د. عبد الله الأوصيف، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

8- محمد فضل الله - أثر الترجمة في الأخطاء الشائعة في اللغة العربية - أطروحة دكتوراه - جامعة الخرطوم - السودان - نوفمبر 2009م

دراسات الملتقيات والمؤتمرات:

9- عياد كامل - أثر صقلية في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى الأوروبيين - ضمن أبحاث المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية - دمشق - أبريل 1981.

10- محاضرة المفكر الراحل مالك بن نبي في ندوة خاصة بطرابلس - لبنان يوم الأحد 28 حزيران - 1959. أعيدت كتابتها في كتاب - مشكلات الحضارة - تأملات - دار الفكر - دمشق - 1423 هـ - 2002 م.

11- مصلح النجار، صورة الأنا عند الآخر وتأثيره، أعمال مؤتمر " الدراسات الثقافية والدراسات ما بعد الكولونيالية، الجمعية الأردنية للبحث العلمي، ط 1، الأردن 2008.

الشبكة العنكبوتية:

- 1- -http://kissassad.blogspot.com/2016/03/blog-post_52.html
- 2-[fatwa.islamweb.net/fatwa/index.ph](http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php)
- 3-<http://lsaidbiasl.blogspot.com/2014/01/hobbit-Freemasonry-Antichrist>
- 4-<http://midad.com/article/196491>
- 5-<http://midad.com/article/196491>.
- 6-<http://www.almeshkat.net/vb/showthread.php>
- 7-<http://www.startimes.com/?t=19694004> -
<http://www.youm7.com/story/2015/12/17>
- 8-<https://letterpile.com/books/The-Epic-Definition-Types-Characteristics>
- 9-<https://literarydevices.net/fantasy>
- 10- <https://saaaid.net/Minute/m69.htm>
- 11- <https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books>
- 12- <https://www.know.cf/enciclopedia/AR/> الأرض_الوسطى
- 13- www.iath.virginia.edu/elab/hflo255.html
- 14- ألف ليلة و ليلة، قراءة في تاريخ الأمم القديمة و هويتها، سامي مهدي،
<https://majalatalandalus.wordpress.com>
- 15- <https://pulpit.alwatanvoice.com> سعيد ابراهيم عبد الواحد،
- 16- <http://www.startimes.com> شريفني عبد الواحد،

- 17- غانداالف <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- 18- فـرودو_ـباجينز <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
- 19- مقال لياسين أحمد سعيد، مجلّة إضاءات، داخل جدران الجسد، 2016/10/29 نقلا
عن الرابط الإلكتروني www.ida2at.com/within-the-walls-of-the-body



فهرس الموضوعات

الصفحة	فهرس الموضوعات
	البسمة
	شكر وعرفان
	إهداء
	قول أدونيس
أ-ي	مقدمة
29 - 12	مدخل
	التأثير والتأثر، تضارب الآراء بشأن المصطلح
	الفصل الأول
	الحركة الثقافية لمعارضة الإصالح العربية
42-31	المبحث الأول
	مفاهيم الثقافة وموضوعاتها
54-43	المبحث الثاني
	الثقافة الإسلامية أمام الغيرية وصلتها بالعلوم الأخرى
68-55	المبحث الثالث
	الفصل الترمجي في الإثراء الثقافي
	الفصل الثاني:
	تجليات الثقافة العربية الإسلامية. ثبات ومالمية
97-70	المبحث الأول
	المنار البياني للقصص القرآني

82-70	أ- التنبيه وقوة التأثير	
97-83	ب-آراء العرب والغرب	
135-98	مكانة الليالي العربية من العالمية	المبحث الثاني
126-98	أ-تاريخية الحكايات وعوامل عالميتها	
135-127	ب-الليالي العربية أمام المترجم الدولي	
الفصل الثالث: الرواية الإنجليزية الحديثة مفاهيم و استحواذ العالمية		
149-137	الرواية الإنجليزية الحديثة بين تعددية المفاهيم	المبحث الأول
166-150	علاقة الرواية بالملحمة، الفانتازيا	المبحث الثاني
178-167	نماذج من روايات انجليزية عالمية	المبحث الثالث
الفصل الرابع دراسة مقارناتية بين نماذج إسلامية و عربية		
207-180	استحضار ملخص قصتي سيدنا سليمان عليه السلام وقصة يأجوج ومأجوج	المبحث الأول
216-208	عرض حكاية الصياد و العفريت، ألف ليلة وليلة	المبحث الثاني
236-217	ملخص رواية ملك الخواتم: The lord of the ring	المبحث الثالث
254-237	ابرار أوجه الاختلاف والائتلاف	المبحث الرابع

263-256	خاتمة
270-264	مسرد
277-271	ملحق
291-278	قائمة المصادر و المراجع
فهرس الموضوعات	
ملخص	

الكلمات المفتاحية:

التأثير والتأثر - الثقافة الإسلامية - الأدب الإنجليزي الحديث - رواية ملك الخواتم -
الائتلاف والاختلاف.

الملخص:

إنّ ما يُعدّ بشرى لحقل الدراسات المقارنة هو الترجمات العديدة لذخائر الفكر العربيّ الذي ازدهر بين شعوب الأرض قاطبة بفضل حركتي التأثير والتأثر التي تنامت مع امتداد جسر الثقافة. وليس هناك ما هو أثري من الثقافة الإسلامية والليالي العربيّة اللذان عنيت بهما الدراسات الغربيّة، إذ اعتبرا منهلان للنهضة الأدبيّة الأجنبيّة، هذا لأن التأثير والتأثر هو الدراسة الأجدر التي انفردت بتبيان معالم فكريّة ما كان لها أن تظهر وذاع صيتها لدى المجتمعات الأخرى وعلى وجه التحديد لدى الأدباء الإنجليز في رواياتهم. الأمر الذي أملى علينا طرح إشكال بني على جملة من التساؤلات الآتية: إلى أيّ مدى تحقّقت الوصلة الرصينة بين حركتي التأثير والتأثر وحقل الدراسات المقارنة؟ ما هي الدوافع التي استرعت انتباه بحوث الأدباء الإنجليز للتأثر بالثقافة الإسلامية؟ لماذا أضحت تجليات التأثير في الرواية أكثر من أيّ جنس أدبيّ آخر؟ وما هي مظاهر التأثير الإسلاميّ في الرواية الإنجليزيّة الحديثة؟

للإجابة على هذه التساؤلات، سار الطرح وفق خطة تمفصلت في مدخل موسوم ب: التأثير والتأثر، تضارب الآراء بشأن المصطلح. يليه ثلاثة فصول نظريّة وفصل تطبيقيّ، أما الفصل الأوّل فورد في ثلاثة مباحث تحورت حول الحركة الثقافية لمنارات الإشعاع الإسلاميّة، فيما تبنّى الفصل الثاني تجليات الثقافة العربيّة الإسلامية، ثبات وعالمية اندرج في إطاره مبحثين أفرزا بدورهما فروع سعت لإبراز وقع الثقافة

الإسلامية وواقعها. ثم فصلا ثالثا جاء موسوما ب: الرواية الإنجليزية الحديثة، مفاهيم واستحواذ للعالمية. بدوره انقسم لثلاثة مباحث تضمنت الإطار العام للرواية الإنجليزية الحديثة مفهومها وراهنها. ثم فصلا تطبيقيا سعى لإبراز أوجه الائتلاف والاختلاف بين النماذج الإسلامية والرواية الإنجليزية. وحيث إنه يستوجب على الدارس المقارن الاهتمام بالجزئيات للوصول إلى نتائج أكثر دقة كان لا بد من تتبع المنهج التاريخي، الوصفي والمقارن مستندين على الأداة الإجرائية التحليلية ورؤى استدلالية تكون لنا سندا في إقناع المتلقي بالأفكار المرجو إثبات معالم حقيقتها التي خلصنا إليها في خاتمة الطرح وتأتي في طليعة هذه النتائج، أن رواية ملك الخواتم تضمنت اللسانيات، الميثولوجيا، الدين في قالب أدبي عكس قوة الخيال والإبداع الإنساني، إلا أن هذا البذخ الخيالي الخارق حاول طمس العديد من المعالم الإسلامية التي باتت بين مدّ المؤيدين وجزر المعارضين لها.

Mots clés :

Effet et Influence – Culture Islamique – Littérature Anglaise Moderne – Roman du Seigneur des Anneaux- convergence et divergence.

Résumé

Le champ des études comparées a été enrichi par de nombreuses traductions des classiques de la littérature arabe qui ont traversé le monde grâce aux mouvements de l'effet et l'influence, ayant nourri le principe de l'inter culturalité.

Notons à ce stade la culture islamique et les nuits arabes qui n'ont cessé d'intéresser les auteurs occidentaux, car ils ont été considérés comme une source d'inspiration pour la renaissance

littéraire occidentale, et aussi par ce que le créneau de l'effet et l'influence a été l'étude, par excellence, des pensées et réflexions qui n'auraient jamais pu voir le jour chez les autres sociétés notamment chez les romanciers anglais.

Et sur la base de ce qui a été dit plus haut, nous avons formulés notre problématique autour des interrogations suivantes :

A quel point s'est réalisée la symbiose entre les mouvements d'effet et d'influence et le champ des études comparées ? Quels sont les raisons de l'influence de la culture islamique sur les études littéraires anglaises ? Pourquoi l'influence a-t-elle marqué le roman plus que n'importe quel autre genre littéraire ? Quels sont les aspects de l'influence islamique dans le roman anglais contemporain ?

Et afin de pouvoir répondre à ces questions, nous avons organisé notre étude selon le plan suivant réparti en une introduction intitulée ; L'effet et l'influence, où on a constaté des avis divergents autour de la terminologie, suivi de trois chapitres théoriques et une étude pratique. Le premier chapitre divisé lui-même en trois sous chapitres a traité du sujet du mouvement culturel des centres de rayonnement islamique, quant au deuxième chapitre, il s'est consacré tout au long de ses deux sous chapitres aux aspects de la culture arabe islamique, et son effet sur l'autre par le biais de sa stabilité, sa persistance et de son universalité. De sa part le troisième chapitre s'est intéressé au roman anglais contemporain, lui-même réparti en trois sous chapitres qui ont voulu tracer le cadre général du roman anglais

contemporain dans sa conception et sa situation actuelle. Notre étude pratique a eu pour but de mettre en évidence les convergences et les divergences entre les modèles islamiques et le roman anglais. Et étant donné qu'il est primordial pour le comparatiste de s'intéresser aux détails afin d'aboutir à des résultats exacts, nous avons suivi une approche historique, descriptive et comparée usant des modèles analytiques et argumentatives pour arriver à persuader le récepteur à propos des idées qu'on a tenté de prouver l'existence, dans le cadre de notre conclusion à titre de résultat comme le fait de dire que le roman du seigneur des anneaux a introduit la linguistique, la mythologie et la religion sous une forme littéraire qui a reflété la force de l'imagination et la créativité humaine, cependant cette opulence imaginaire a voulu effacer de nombreux repères islamiques qui se sont retrouvés entre le flux des partisans et le reflux des adversaires.

Key Words: Impact and vulnerability - Islamic culture - Modern English Literature - The Lord of the Rings novel - Coalition and difference.

Abstract: What is considered a precursor to the field of comparative studies is the many translations of the munitions of Arab thought that flourished among the peoples of the whole earth thanks to the influence that grew with the extension of culture. And there is nothing that is enriched by the Islamic

culture and the Arabian nights that Western studies are concerned about, as they were considered to be the masters of the foreign literary revival, This is because the influence and impact is the best study that has been unique in identifying the intellectual features that would not have appeared and became known to other societies and specifically to the English writers in their novel. I want to put up a problem based on a number of the following questions: to what extension has the close link between the influence and impact and the field of comparative studies been achieved? What motivated the English researchers of English literature to be influenced by Islamic culture? why did the manifestations of influence in the novel become more than any other literary genre? What are the manifestations of Islamic influence in the modern English novel? In order to answer these questions, the proposal proceeded in accordance with a plan that was elaborated at the entrance of the theme: impact and vulnerability, conflicting views on the term. Followed by three theoretical chapters and an applied chapter, the first chapter deals with three aspects of the cultural movement of the beacons of Islamic radiation, stability and universality in which two subjects emerged in addition to branches that sought to highlight the impact of Islamic culture and its reality. Then a third chapter came as a theme: the modern English novel, concepts and acquisition to universality, In its turn it divided into three questions, including the general framework of the modern English novel concept. Then an applied chapter sought to highlight the

aspects of the coalition and the difference between Islamic models and the English novel, and since it requires the comparative student to put interest in the particles to reach more accurate results than follow the historical approach descriptive and comparative evidence based on analytical procedural tool and thoughts that we have the support to convince the recipient of ideas to prove the reality of what we concluded at the end of the subtraction and comes at the forefront of these results that the Lord of the Rings novel expands linguistics, mythology, and religion in a literary form, that reflect the power of imagination and human creativity, but this extraordinary superstition tried to blur many of the Islamic features that have become between agreed and disagreed.

الملخص:

إن ما يُعدّ بشري لحقل الدراسات المقارنة هو الترجمات العديدة ل ذخائر الفكر العربيّ الذي ازدهر بين شعوب الأرض قاطبة بفضل حركتي التأثير والتأثر التي تنامت مع امتداد جسر المثقافة. وليس هناك ما هو أثري من الثقافة الإسلاميّة والليالي العربيّة اللذين عُيّيت بهما الدراسات الغربيّة و تأثرت بهما الرواية الانجليزية الحديثة " ملك الخواتم " لرونالد تولكين. Ronald Tolkien هذه الرواية التي انبثق منها فيض من التساؤلات وكَمّ من الاستفسارات التي تملي على أي باحث الاستناد على الأداة الإجرائية التحليليّة والرؤى الاستدلاليّة لتكون سندا في اقناع المتلقي بالأفكار المرجوة إثبات معالم حقيقتها المبيّنة في الفصل المقارن.

الكلمات المفتاحية:

التأثير والتأثر – الثقافة الإسلاميّة – الأدب الإنجليزي الحديث – رواية ملك الخواتم – الائتلاف والاختلاف.

Résumé

Le champ des études comparées a été enrichi par de nombreuses traductions des classiques de la littérature arabe qui ont traversé le monde grâce aux mouvements de l'effet et l'influence, ayant nourri le principe de l'inter culturalité.

*Notons à ce stade la culture islamique et les nuits arabes qui n'ont cessé d'intéresser les auteurs occidentaux, car ils ont été considérés comme une source d'inspiration pour la renaissance littéraire occidentale. "Le roman du **Seigneur des Anneaux**" de **Ronald Tolkien**, a donné naissance à plusieurs questions et à pleins d'interrogations qui dictent à tous chercheur l'utilité de s'appuyer sur l'outil procédural et analytique approprié et d'avoir une vision basée sur des preuves afin de persuader le récepteur des idées à prouver dans la partie pratique de l'étude.*

Mots clés :

Effet et Influence – Culture Islamique – Littérature Anglaise Moderne – Roman du Seigneur des Anneaux- convergence et divergence.

Abstract: *Comparative studies have been enriched by a number of translations of classic works of Arab Literature that flourished among the peoples of the whole earth thanks to the influence that grew with interculturality. And there is nothing richer than the Islamic culture and the Arabian nights which influenced Western Literature. The novel of "**the Lord of the Rings**" of **Ronald Tolkein** gave rise to many questions that make each scholar following a procedural and analytical method and a vision of proofs in order to convince the receptor about the idea to be proved in practical study.*

Key Words: *Effect and influence - Islamic culture - Modern English Literature - The Lord of the Rings novel - convergence and divergence.*